ISSN:2707-8655
EISSN: 2707-8663

مجلة المهرة

للعلوم الإنسانية

مجلة علمية حولية محكمة- تصدرها كلية التربية - المهرة

جامعة حضرموت

- في تعلُّم النحو العربيّ وتعليمه قراءة في بعض الإشكالات والأدوار
- أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء دراسة نحوية دلالية
- دلالة حرف الجر (مِن) عند النحويين وأثره في استنباط الأحكام الشرعية
- لفظة (لامس) في آيتي الطهارة دراسة لغوية شرعية
- النحو بين المعيارية والدلالة
- الرَّمز في شعر فيصل البريهي
- التشكيل اللغوي والدلالة في شعر أحمد دحبور
- ميمية المُرقِّش الأصغر قراءة في البناء الفني والأسلوب البلاغي
- الوسائل الإلكترونية وأثرها في تحقيق رضا العملاء في الخدمات المصرفية دراسة ميدانية لعملاء مصرف الكريمي في محافظة تعز
- موقع هران (دراسة أثرية توثيقية)

العدد الثامن
يونيو 2020م

مجلة المهرة

جامعة حضرموت
مجلة المهرة
للعلوم الإنسانية
كلية التربية - المهرة

مجلة المهرة

مجلة علمية حولية محكمة

تصدر عن كلية التربية بمحافظة المهرة

تهتم بنشر الأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية

العدد الثامن - يونيو- 2020م

حقوق الطبع محفوظة لمجلة المهرة للعلوم الإنسانية

المشرف العام

د. عادل كرامة معيلي

رئيس التحرير

أ.د. محمد علي جبران

مدير التحرير

أ.د. أمين عبد الله اليزيدي

سكرتير المجلة

د. هلال محمد السفياني

التدقيق اللغوي

أ.د. عبدالكريم حسين رعدان

هيئة التحرير:

الاســـــــم	التخصص	الجامعــة
أ.د. عامر فائل محمد	نحو وصرف	نجران - السعودية
أ.م. د. سالم أحمد بافطوم	علم نفس	حضرموت
أ.م. د. قائد حسين المنتصر	قياس وتقويم	حجة
أ.م. د. علي حمود السمحي	أدب ونقد	إب
أ.م. د. علي أحمد اليزيدي الحاوري	إذاعة وتلفزيون	الحديدة
د. عصام حفظ الله واصل	أدب ونقد	ذمار
أ.م.د. فؤاد عبد الغني الشميري	آثار إسلامية	ذمار
أ.م. د. منير سعيد الحميري	فنون جميلة	الحديدة

الهيئة العلمية والاستشارية للمجلة:

م	الاسم	التخصص	الجامعة - البلد
1	أ.د. عبدالقادر أحمد رباعي	أدب ونقد	اليرموك - الأردن
2	أ.د. عبد الحميد سيف الحسامي	أدب ونقد حديث	الملك خالد - السعودية
3	أ.د. هادي سالم الصبان	تربية رياضية	حضرموت - اليمن
4	أ.د. هيثم عبد الحميد خزنة	فقه وأصوله	ماردين - تركيا
5	أ.د. رياض فرج عبدات	فقه مقارن	سيئون - اليمن
6	أ.د. الخضر عبد الله حنشل	حقوق	عدن - اليمن
7	أ.د. أحمد صالح قطران	أصول فقه	الملك خالد - السعودية
8	أ.د. عبد الكريم حسين رعدان	بلاغة ونقد	حضرموت - اليمن
9	أ.د. شرف أحمد الشهاري	أصول التربية	الأندلس - اليمن
10	أ.د. محمد أحمد غالب العامري	أدب ونقد قديم	سبأ - اليمن
11	أ.د. عبد الكريم مصلح البحلة	لسانيات عربية	ذمار - اليمن
12	أ.د. حسن عبيد الفضلي	لغة إنجليزية	حضرموت - اليمن
13	أ. د. حمود أحمد الفقيه	فقه مقارن	حضرموت - اليمن

الرقم المحلي للمجلة:

1564 للعام 2020م

الترقيم الدولي:

ISSN:2707-8655

EISSN: 2707-8663

ايميل: almahrajh@gmail.com

قواعد النشر:

تصدر مجلة **(المهرة) للعلوم الإنسانية** عن كلية التربية- المهرة- وفقًا للقواعد الآتية:

* تطبع البحوث المرسلة وتقدم للنشر على برنامج (Microsoft Word) ويتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بأبعاد 2.5 من جميع الاتجاهات، على النحو الآتي:

1) في البحوث المكتوبة باللغة العربية: خط (Arabic Transparent) بحجم (14) للمتن، و(12) للهوامش، وحجم (16) للعناوين الرئيسة و(14) للعناوين الفرعية بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (1.5)، بحجم الخط (12) للجداول والأشكال وحجم (10) للملخص.
2) في البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية: خط (Times New Roman) حجم (12) للمتن وبحجم (10) للهوامش، والعناوين الرئيسة بحجم (14) بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن لا تقل عن (1.5)، وحجم الخط (11) للجداول والأشكال التوضيحية وحجم (9) للملخص والهوامش.
3) يسلم الباحث ملخصين للبحث: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز كلمات كل واحد منهما عن (200) كلمة، ويحتوي على كلمات مفتاحية لا تزيد عن ست كلمات، مشتملا على الموضوع / المشكلة، والمنهجية، والنتائج التي توصل إليها البحث.
4) تنشر المجلة مجانا لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة، ويدفع الباحثون اليمنيون من داخل اليمن (15000) ريالا. ويدفع الباحثون من خارج اليمن (50) دولارا أمريكيا.
5) يفضل ألا تزيد عدد صفحات البحث عن (25) صفحة، وفي حالة الزيادة يدفع الباحث ألف ريال يمني عن كل صفحة زائدة.

التوثيق:

يشار إلى المصادر والمراجع على هيئة هوامش مرقمة في نهاية البحث، تعتمد فيها الأصول المتعارف عليها، وترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائياً في القائمة حسب اسم المؤلف وفقًا للآتي:

1- **البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات والمجلات:** يكتب اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة، "عنوان البحث،" اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

2- **الكتب:** اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، عنوان الكتاب ، اسم الناشر، سنة النشر.

3- **الرسائل العلمية:** اسم صاحب الرسالة بدءًا باسم العائلة، "عنوان الرسالة،" يذكر رسالة ماجستير أو دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

4- **النشرات والإحصائيات الصادرة عن جهة رسمية:** اسم الجهة، عنوان التقرير ، المدينة، أرقام الصفحات، سنة النشر.

5- **إذا كان المرجع موقعا إلكترونيًا:** اسم المؤلف بدءًا باسم العائلة ، عنوان الموضوع ، سنة النشر، الرابط الالكتروني و تاريخ آخر زيارة للرابط.

6- **المستلات:** اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة،. "عنوان البحث،" اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

7- **وقائع المؤتمر:** اسم الباحث (الباحثين) بدءًا باسم العائلة، عنوان البحث، اسم المؤتمر، رقم المجلد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

8- في حالة أن يكون التوثيق في المتن فيكون على النحو الآتي: (اللقب، عام النشر، الصفحة)

9- ترفق قائمة بالمصادر مرتبة هجائيا متضمنة المعلومات الأساسية: المؤلف، المرجع، بلد النشر، رقم الطبعة، تاريخ النشر.

يمنح الباحث نسخة من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح كاتبو المناقشات والمراجعات والتقارير وملخصات الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

المرفقات المطلوبة مع البحث:

1) رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدَّد فيها التخصص الدقيق للبحث.
2) تعهد خطي من الباحث بأن بحثه أصيل لم ينشر، و لم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءًا من كتاب منشور.
3) نسخة من البحث بصيغة وورد وأخرى بصيغة بي دي اف.
4) سيرة ذاتية مختصرة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، ودرجته الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقم هاتفه الثابت والنقال ورقم هاتف الواتس اب.
5) نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

قائمة المحتويات

- كلمة المشرف العام 9
- كلمة العدد، العقل ودوره في الحياة 10
- في تعلُّم النحو العربيّ وتعليمه قراءة في بعض الإشكالات والأدوار

أ. د. عامر فائل محمد بلحاف..... 15
- أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء دراسة نحوية دلالية

أ.د. صادق يسلم العي 52
- دلالة حرف الجر (مِن) عند النحويين وأثره في استنباط الأحكام الشرعية

د. عبد الله إسماعيل عبد الله هادي..... 94
- لفظة (لامس) في آيتي الطهارة دراسة لغوية شرعية

د. محمد عبدالقادر العيدروس 130
- النحو بين المعيارية والدلالة

د. بشير عبد الله علي المساري 172
- الرَّمز في شعر فيصل البريهي

د. عبده عبدالكريم عبدالله مقبول 232
- التشكيل اللغوي والدلالة في شعر أحمد دحبور

أ.م.د. محمد حيدر..... 273
- ميمية المُرقِّش الأصغر قراءة في البناء الفني والأسلوب البلاغي

أ.د.عبد الكريم حسين رعدان 305
- الوسائل الإلكترونية وأثرها في تحقيق رضا العملاء في الخدمات المصرفية
دراسة ميدانية لعملاء مصرف الكريمي في محافظة تعز

أ . م.د .محمد نعمان محمد عقلان، أ. معاذ حمود محمد الحميدي 339
- موقع هران (دراسة أثرية توثيقية)

د. عايض أحمد عتيق البحري..... 383

كلمة المشرف العام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن كلية التربية المهرة سعت ومنذ نشأتها في إيجاد منبر بحثي علمي إيماناً منها بأهمية البحث العلمي ، وتشجيعاً لكادر الكلية في تطوير قدراتهم البحثية، ونشر إبداعاتهم ونشاطهم البحثي، وإسهاماً في حل القضايا المجتمعية بصورة علمية، فكان إنشاء مجلة المهرة العلمية بداية بجهود ذاتية من الكلية لاستيعاب بحوث أعضاء هيئة التدريس؛ فصدرت سبعة أعداد من المجلة ثم توقفت لظروف وأسباب عدة، ورأت عمادة الكلية بعد تغلبها على الظروف والأسباب التي أعاقت استمرار المجلة، وبدعم من المجلس المحلي بمحافظ المهرة أن تواصل إصدارها بصورة علمية محكمة، وقدمت تصوراً متكاملاً للجامعة عبر الأطر الرسمية، وتوجت الجهود بموافقة رئاسة الجامعة باعتبارها مجلة علمية محكمة، بموجب قرار مجلس الجامعة في دورته الاعتيادية السادسة للعام الجامعي 2019- 2020م المنعقدة بتاريخ 26/ 2/ 2020م، بقرار رقم(39/2019-2020) فهذا الإصدار باكورة الإنتاج العلمي المحكم إسهاما منها في خدمة الباحثين في مجالات العلوم الإنسانية وطلبة الدراسات العليا، بما تقدمه ونظيراتها من المجلات العلمية من خدمة النشر العلمي، والاطلاع على نتاج الباحثين، ليستفيد المتابع من عملهم وأساليبهم في معالجة الموضوعات المختلفة.

ومن خلال هذا الإصدار يطيب للمجلة دعوة الباحثين والمهتمين والقراء لرفدها بالدراسات والبحوث، وإثرائها بالملاحظات الفنية والعلمية ما يسهم في تطوير أدائها. وتأمل أن يكون للباحثين اهتمام بقضايا المجتمعات المحلية وعاداتهم وقضايا اللغات المحلية وآدابها؛ لتتعمق الصلة بين المؤسسات العلمية والمجتمع. ولا أنسى الشكر لإدارة المجلة على الجهود التي بذلت لإصدار المجلة وفي وقت قياسي.

وفق الله الجميع.

دكتور عادل كرامة بن معيلي
عميد الكلية المشرف العام

كلمة العدد
العقل ودوره في الحياة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداهم واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان قدرة عظيمة وطاقة هائلة عجيبة جعلته أعظم المخلوقات وأرفعها قدراً وأجلّها مهابةً، وأكثرها تحكماً في مخلوقات الكون الأخرى ...إلخ ، وهذه القدرة وتلك الطاقة هي ما تسمى بـ(العقل) الذي اختص الله به الإنسان دون سواه من المخلوقات، وأعطاه به القدرة على الحكم على الأمور وقياسها ومعرفة الضار من النافع، واستخلاص النتائج من المقدمات، والغوص في مناكب الأرض وأعماق البحار والنظر في ذرات الرمل ومكونات الهواء، وإرجاع النظر إلى السماء كرة بعد كرة، ونظرة بعد نظرة لمعرفة الحقائق الكونية والاستفادة منها وتوظيفها في صناعة الحياة المثلى وتكوين الحضارة المتميزة وإعمار الأرض والتعرف على أسرار الكون، والاستدلال به على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وكمال قدرته وحكمته من خلال رؤية إتقان المخلوقات وإحكامها، ومن هذا المنطلق منطلق أهمية العقل يمكن أن نستجلي مهمة العقل ودوره في الحياة والتي أرى أنها تنبثق من المنطلقات الآتية:

1- مكانة الإنسان ودوره في الحياة :

مكانة الإنسان في الحياة تنبع من المهمة الربانية التي أعطيت له في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ

إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ البقرة: ٣٠ - ٣٣

وفي هذه الآيات دلائل عديدة تبين دور الإنسان ومهمته ومكانته منها:

أ- **اختيار الله له بأنه سيجعله المسئول والخليفة في الأرض:** كما في الآية وقد اقتضت حكمته تعالى أن أودع له أسراراً عديدة وعظيمة في الكون وأعطاه المفتاح لتلك الأسرار وهو العقل الذي ميزه به عن غيره من المخلوقات.

ب- **ولأن العقل آلة عظيمة تكون سبباً في الصلاح وسبباً في الفساد:** تخوفت الملائكة من استخدام الإنسان لهذه الآلة في الإفساد ولكن إرادة الله قضت بتكليف الإنسان واستخلافه مع ما يحمله من قدرة على الفساد الذي عُبِّر عنه بتخوف الملائكة ولعل ما يحمله من الصلاح أعظم أو أن الله أراد ابتلاء الإنسان بعد أن أودع فيه القدرة على الفساد والقدرة على الصلاح؛ فاقتضت إرادته في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، بتمكينه واستخلافه في الأرض.

ج- **تسليم الملائكة بمقدرة آدام:** بعد أن أخبرهم بما علمه الله من الأسماء ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، وهذا التسليم يقتضي الإقرار بقدرة الإنسان على القيام بمهمة الاستخلاف نظرا لعظم ما أودعه الله في الإنسان وما ميزه به عن غيره من المخلوقات، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ النحل: ٧٨.

فقد ميز الله الإنسان أيضًا بالسمع والبصر إضافة إلى العقل وهي أدوات مهمة يحتاجها الإنسان لتكتمل لديه أدوات العلم والمعرفة ، وبهذا التكريم والتمييز تكتمل المسئولية على الإنسان وينبغي عليه ألا يقبل أن يكون دون المكانة التي اختارها الله له وخلقه من أجلها وأعطاه أسسها، ومن هذا المنطلق يأتي دور الإنسان في العلم والتعلم والتأمل والبحث والنظر عن وعي لما يريده الله منه؛ ومن هذا المنطلق يأتي المنطلق الثاني:

2- دور الإنسان في الحياة :

الدور الإيجابي القائم على العلم والتعلم والبحث والنظر المعتمد على إرشادات وتوجيهات من أعطاه هذه المكانة وزوده بالأدوات والقدرات اللازمة للعلم والبحث والاستدلال والتعرف على الأسرار والحكم ويمكن أن أجمل دور الإنسان في الحياة بعد استقراء عدد من الكتابات في هذا الباب في ثلاثة عناصر رئيسية هي:

أ- العبادة بمعناها الواسع: في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والبحثية والأخلاقية والسلوكية والتعبدية والمعاملاتية والحلال والحرام ...إلخ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات: ٥٦.

فكل جوانب الحياة وردت فيها التشريعات الربانية وامتثال ما ورد فيها عن علم ومعرفة ويقين يعد عبادة وامتثالا لأوامر الله سبحانه وتعالى .

ب- عمارة الأرض: قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ هود: ٦١.

والمقصود تحقيق كل ما فيه نفع للإنسانية، ولا يكون ذلك إلا باستعمال الأدوات التي أعطاها الله للإنسان والتي تقوم على العلم والمعرفة في جميع جوانب الحياة ومجالاتها.

ج- الخلافة بمفهومها الواسع: وليس فقط معنى الحكم والسيطرة، وإنما تعبيد الكون لله تعالى والتعامل في هذه الحياة وفقاً للمنهج الرباني المنبثق من معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة مقاصده من الخلق والتشريع، ومعرفة سننه في الحياة والكون، ومعرفة أوامره ونواهيه وإرشاداته وتوجيهاته بمختلف الألفاظ؛ العام والخاص والمطلق والمقيد والحقيقة والمجاز ..إلخ.

3- العلاقة بين التكريم والمسئولية :

معرفة الإنسان كون الله خلقه مسئولاً (خليفة) وزوده بأدوات العلم والمعرفة وميزه بالقدرة العظيمة والطاقة الهائلة وكرمه وميزه على سائر المخلوقات كما في قول القرطبي في معرض حديثة عن التكريم: "والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب"[1] فالعقل من أعظم ما كرم به الإنسان بعد الهداية للإسلام، وفضائل الله ونعمه على الإنسان عديدة لا تحصى، وعليه يمكن تلخيص ما يجب الإنسان عمله اتجاه هذا التكريم فيما يأتي:

أ- **الإدراك بأن هذا التكريم بالعقل وبالإسلام وبالسمع والبصر وبالخَلْق في أحسن تقويم:** ينبني عليه مسئوليات كلف الإنسان بها ينبغي أن يقوم بها، ومنها الواجبات التي يجب عليه أن يعرفها وأن يتعلمها، ومجملها الالتزام بالإسلام قولا وعملاً.

ب- **مسئوليات يقوم بها من منطلق التكليف الرباني له والخلافة التي أنيطت به:** وهي التعريف بالإسلام والدفاع عنه، وبيان حقيقته من خلال حواراته ومؤتمراته وكتاباته ومقالاته وأبحاثه ورسالاته... إلخ، واستخدام العقل في التعرف على أسرار الكون والاستفادة منه بما يحقق مراد الله من الخلافة والاستعمار وتحقيق العبودية الواسعة.

ج- **من منطلق مسئولياته التي كلف بها ودوره المثمر في توريث الإسلام وتعاليمه** بالسلوك والقدوة ونشر تعاليمه وعدم الحياد عن الدين في القول والفعل، وفي السلوك والأخلاق، وإيصال ذلك لكل من يمكن أن يصل إليهم من البشرية.

فهذه هي المهمة الأساسية التي خلق الإنسان لأجلها وزود بأدوات التفضيل والتكريم أحببت أن تكون اللفتة إليها هي افتتاحية مجلة المهرة للعلوم الإنسانية في هذا الإصدار لتكون

(1) تفسير القرطبي (264/10) ..

تذكيراً بدور الباحثين العظيم ورسالتهم السامية وأمانتهم العلمية، وأن ما يقومون به ليس من باب الترف العلمي وإنما هي رسالة يؤدونها بحكم الاستخلاف الذي اقتضته إرادة الله للإنسان ، وهذا العدد من المجلة يصدر في وضع استثنائي لما نعيشه من الحالة النفسية العصيبة التي اقتضاها الوضع العام لتفشي وباء كرونا وما أحدثه من أزمة نفسية في المجمل العام، ومع ذلك نجد همة الشباب تعلو فوق كل الظروف وتنتج عددا من الإسهامات العلمية الرزينة في مجالات النحو والأدب والاقتصاد والآثار في عشر دراسة مهمة تعالج قضايا عملية تسهم في فتح زوايا تنويرية، وبدورنا نحرص أن تكون جميع إصدارات المجلة ذات قيمة علمية عالية لتكون مجلة رائدة، ونأمل أن تكون المجلة في أعدادها القادمة مشتملة على عدة بحوث في مختلف العلوم الإنسانية، وعليه ندعو الباحثين والمهتمين والقراء إلى الإسهام بالدراسات والبحوث العلمية الرصينة في الأعداد القادمة.

والله أسأل أن يوفق الجميع،،،،

رئيس التحرير
أ.د. محمد علي جبران

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

في تعلُّم النحو العربيّ وتعليمه
قراءة في بعض الإشكالات والأدوار

أ. د. عامر فائل محمد بلحاف*

الملخص:

سعى هذا البحث إلى قراءة بعض الإشكالات في حقل النحو العربي تعلُّمًا وتعليمًا، مستعينًا بمادة علمية تراثية قديمة، وأخرى تربوية معاصرة حديثة في محاولةٍ منه للجمع بين علم النحو وأسلوب تدريس النحو في زمن تعالت فيه الأصوات من صعوبته. ولتحقيق هذا الهدف قُسّمت الدراسة على ثلاثة مباحث، حاول الأول الإجابة عن سؤال: هل المشكلة في نظرية العامل؟ فتحدث عن العامل النحوي، ونظرة القدماء له، وأنْ لا مشكلة فيه، بالإضافة إلى الحاجة لتجديد النحو. وفرّق الثاني بين النحو العلمي والنحو التعليمي بالإجابة عن سؤال: عن أيّ نحو نتحدث؟ مؤكدًا ضرورة التمييز بين المادة النحوية التي تُقدّم للمتخصصين، والمادة التي تُقّدم لغيرهم. وسعى الثالث إلى عرض مجموعة من الأدوار التي يُتوقع أن يقوم بها أستاذ النحو وهي: التحول من النحو النظري إلى النحو التطبيقي، وتوظيف مصادر التعلم، وتنويع مستويات المعرفة. وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها من أهمها: أنّ تجديد النحو مطلب ملحّ في عصرنا هذا، ولابدّ من تدريسه بطريقة تختلف عن ما مضى، انطلاقًا من مبدأ أنّ كلّ شيء في عالمنا المتسارع الذي نعيش فيه يتبدّل، وكل شيء من حولنا يتغيّر.

الكلمات المفتاحية: العامل النحوي، تجديد النحو، النحو العلمي والتعليمي، النحو التطبيقي.

* أستاذ اللغة والنحو – كلية العلوم والآداب بشرورة – جامعة نجران –المملكة العربية السعودية.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663

Learning and Teaching Arabic Grammar: Readings of some Problems and Roles

Dr.Amer Fael Mohammad Balhaf

Abstract:

This research tries to investigate some problems in the field of learning and teaching Arabic grammar, with the help of an old traditional scientific material, and modern educational trying to combine grammar science and the system of teaching grammar at the time of difficulty. In order to accomplish this goal, the study was divided into three sections. The first one has tried to answer a question: Does the problem lie in the grammar itself? It has explored the grammatical factor, and the old view of it, and that there is no problem with it, in addition to the necessity to renew the grammar.

The second one has distinguished between scientific and educational grammar answering a question: What are we talking about? Emphasizing the need to differentiate between the grammatical material presented to experts, and the material provided to others. The third section has strived to present a set of roles that a teacher of grammar is expected to play: shifting from theoretical grammar to applied grammar, provide work for learning resources, and expanding levels of knowledge. The research has ended with a conclusion that comprised the most significant outcomes reached. The most important of which are the revitalization of grammar as an urgent demand of our time, and it should be taught in a way that differs from the past, starting from the principle that everything in this rapid world is changing, and thus everything around us get changing thoroughly.

Key Words: Grammatical Factor, Grammar Revitalization, Scientific and Educational Grammar, Applied Grammar.

مقدمة:

الحديث عن تعلّم النحو العربي وتعليمه حديث ذو شجون؛ ذلك أنّه يمسّ المتعلم والمعلم – على حدّ سواء – مسًّا مباشرًا، وغالبًا ما صار يمثّل في أيامنا هذه معضلة يشكو منها الكثير، إذ لا تنفكّ الأصوات تتعالى شاكية من صعوبته وتعقيده، ومُطالِبةً بتيسيره وتسهيله، وهو أمر يوجب على الباحثين فيه أن يقفوا وقفة جادة وصولاً إلى حل، ولا ينبغي لهم – بأي حال من الأحوال – أن يتجاهلوا مثل هذه الأصوات، ولا أن يكتفوا بدور المتفرج الذي يرى المشكلة من غير أن يسعى إلى معرفة أسبابها ويسهم في تذليلها.

من هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة التي تحمل عنوان (في تعلّم النحو العربيّ وتعليمه: قراءة في بعض الإشكالات والأدوار) أن تستشرف أسباب المشكلة وتسهم في اقتراح بعض الحلول، من خلال توطئة مقتضبة وثلاثة مباحث؛ أمّا التوطئة فكان الحديث فيها دائرًا على بعض محاولات التيسير في النحو قديمًا وحديثًا، مع ذكر أهم الأسباب التي عقّدت هذا النحو من وجهة نظر بعض الدراسات الحديثة. وأمّا المبحث الأول فحاول الإجابة عن الأسئلة: هل المشكلة في العامل؟ وهل مثّلت هذه النظرية القديمة معضلةً في تعليم النحو العربي وتعلّمه؟ ثمّ هل نحن بحاجة إلى إلغاء هذه النظرية؟ أم أنّنا بحاجة إلى تجديد النحو وتخليصه من بعض الزيادات والخلافات؟ وخُصّص المبحث الثاني للإجابة عن سؤال: عن أي نحو نتحدث؟ ففرّق بين نحوين: نحو علميّ خاص بالمتخصصين في اللغة العربية والباحثين في قواعدها، ونحو تعليميّ لغير المتخصصين من طلاب وإعلاميين وأرباب مهن تحتاج للنحو كعلم آلة، وحاول وضع عدد من الضوابط لكلا الفئتين، لتُختم الدراسة بمبحث ثالث عن أدوار الأستاذ في تعليم النحو من حيث: الانتقال به من علم نظري جاف إلى علم تطبيقي حياتيّ، والإفادة من

مصادر التعلم والتكنولوجيا الحديثة، وتنويع مصادر المعرفة، والتدقيق في نظم التقويم المتبعة، لتنتهي بأهم النتائج التي توصلت إليها.

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة هذا البحث في صعوبة تلقي النحو العربي عند فئات من الطلاب بعضهم متخصص في اللغة العربية، وبعضهم الآخر غير متخصص، وعند غير الطلاب ممّن لا غنى لهم عن النحو في أعمالهم، لذا يسعى هذا البحث إلى اقتراح حلول لهذه المعضلة بتقديم عدد من الرؤى التي قد تساعد في تجاوز الإشكال المزمن، أو الحدّ من تفشيه في أوساط العامة والخاصة.

توطئة:

كثرت في السنوات الأخيرة الشكوى من النحو وقواعده، وطال الحديث عن صعوبته المتخصصين فيه وغير المتخصصين على حد سواء، وتعالت الأصوات التي تطالب بالتيسير والتسهيل في زمنٍ تنوعت فيه مصادر المعرفة ووسائلها، وتسارعت فيه التكنولوجيا وتطبيقاتها، ليغدو تيسير النحو مطلبًا وغايةً عند كثيرين.

والحقّ أنّ هذه الدعوات لم تكن وليدة اليوم، بل سُمع لها صدى منذ عصور العربية الغابرة، إذ هاجم ابن ولّاد المصري (ت 332 هـ) تقديم القياس النظري على المادة اللغوية المسموعة، وطالب بالوقوف عند هذه المادة، ولم يجز تصحيح ما لم يرد عن العرب بمقتضى هذا القياس، كما هاجم التأويل والتقدير في النحو وادّعاء الحذف والإضمار[1]. وثار الشاعر أبو العلاء المعري (ت 449 هـ) ثورة عارمة على التقدير والتأويل، ورفض تخريج الأبيات على غير حقيقتها للاستشهاد بها على الآراء الخاصة، مسدّدًا سهامه لنحاة البصرة الذين أفرطوا في هذا

الجانب[2]. وظهر في القرن السادس الهجري ابن مضاء القرطبي (ت 592 هـ)، الذي ألّف كتابه (الردّ على النحاة)، وشنّ فيه هجومًا عنيفًا على نحاة المشرق من بصريين وكوفيين في دعوة تعدّ من أشهر دعوات التجديد والإصلاح في النحو العربي، وتلخصت في: إلغاء نظرية العامل النحوي، وإبطال العلل الثواني والثوالث، وإبطال القياس العقلي، وترك المسائل النظرية، وإسقاط كل ما لا يفيد في النطق[3]. ومثل هذه الدعوات وغيرها[4] ما كان لها أن تظهر لولا وجود إشكال في تعليم النحو العربيّ وتعلّمه، وصعوبة في تلقيه وتلقّفه، ما دفع بعض المتقدمين إلى المطالبة بإصلاح جوانب من النحو أفرط فيها النحاة، وتجاوزوا الغاية فيه ومنه، فالمشكلة إذن في أسلوب تقديم النحو لا النحو نفسه.

وتُرجع بعض الدراسات الحديثة صعوبة النحو العربيّ إلى أسباب منها:

1. اعتماد النحاة في وضعهم لعلم النحو على منطق العقل (المعيارية)، دون الاهتمام بمنطق اللغة وطبيعتها (الوصفية).
2. تأثر النحاة بعلماء الكلام في أنّ كلَّ أثر لا بدّ له من مؤثر، وما انتهت إليه بحوثهم من عامل وعلل، وعلل العلل.
3. كثرة ما في القواعد من أقوال ومماحكات واختلاف في المسائل.
4. جفاف النحو وبعده عن الحياة العملية.
5. كثرة العوامل النحوية، وتشعب التفاصيل وتزاحمها[5].

وكنتيجة طبيعية لما ذُكر، ظهرت في العصر الحديث محاولاتٌ عدة لتيسير النحو العربي وتجديده، وقد حملت هذه المحاولات عنوانات متنوعة، كإحياء النحو، وتيسير النحو، وتهذيب

النحو، وتجديد النحو، والنحو الواضح، والنحو الوظيفي، والنحو المصفى، وغيرها كثير. وكما تنوعت مسميات هذه المؤلفات، تنوعت أيضاً المنطلقات التي انطلق منها كل مُؤلَّف؛ فمنها ما اكتفى بتنظيم أبواب النحو وتشذيبها، ومنها ما دعا إلى إلغاء أسس فكرية قامت عليها صناعة النحو العربي.

وتحاول هذه الدراسة أن تتعقب جوانب محددة من هذه المعضلة بأنّ تبحث أولاً في مصدر المشكلة، لتفرّق بعدها بين النحو الذي يحتاجه المتخصص والنحو الذي يحتاجه غير المتخصص، لتخلص إلى بعض الأدوار التي يُتوقّع من أستاذ النحو أن يقوم بها، وبما يكفل أن تصل المادة النحوية إلى متعلّمها بيسر وسهولة. وعلى هذا الأساس فالبحث سيجمع بين مادة علمية تراثية قديمة وأخرى معاصرة حديثة، سيجمع بين مادة النحو وبين أسلوب تدريس النحو في محاولة للإسهام في حل هذه المشكلة التي أضحت شغلاً شاغلاً للمعلمين والمربين وأساتذة الجامعات على حدّ سواء.

المبحث الأول: هل المشكلة في نظرية العامل؟

تظهر نظرية العامل في النحو العربي – كما نراها في أعمال المتقدمين – الأساس الذي قامت عليه صناعة هذا العلم، والقاعدة التي انبنت عليها أبوابه، ولا غرو أن يصف بعض الباحثين هذا العامل بـ (أهم مسألة من مسائل النحو في اللغة العربية)، بل أنْ يعدّه المسألة الكبرى، والأولى والأخيرة[6]، بعدّها المنطلق الفكري لموضوعات النحو العربيّ جميعها، وتتلخص هذه النظرية في أنّ الكلمة المرفوعة أو المنصوبة أو المجرورة أو المجزومة لابدّ لها من عامل أو سبب عمل فيها الرفع والنصب والجرّ والجزم.

1. تعريف العامل:

عرّف بعض المتقدمين العامل النحوي، فقال الرماني (ت 384 هـ): "عامل الإعراب: هو موجبٌ لتغيير في الكلمة على طريق المعاقبة لاختلاف المعنى"[7]، وقال الشريف الجرجاني (ت 816 هـ): "ما أوجبَ كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب"[8]. ومن المحدثين مَن عرّف العامل بـ: "الكلمة الملفوظة أو المقدرة، التي تملك القدرة على التأثير في الكلمات التي تقع بعدها مِن الناحيتين الشكلية والإعرابية .... وتأثير العوامل في مدخولاتها ينحصر في الرفع والنصب والجر والجزم، وما قد ينوب عن الجزم من حذف"[9].

إن التعريفات الثلاثة تشير إلى معنى (التأثير)، حيث يؤثر العامل فيما بعده تأثيرًا شكليًّا باجتلاب حركة معينة، وإعرابيًّا بتحديد موقعه من الجملة، وهذا التأثير يتحقق نتيجة اختلاف المعنى. بيد أنّ السؤال الذي ينبغي أن يُطرح هنا: إذا كانت نظرية العامل قد بسطت سلطانها على النحو العربيّ كلّه من أوله إلى آخره، فهل مثّلت مشكلةً في تعليم هذا النحو أو تعلّمه؟

2. العامل النحويّ بين القبول والردّ:

درس المتقدمون العوامل النحوية دراسة شافية وافية، وظهر أثر تلك الدراسات في مؤلفاتهم وآثارهم، كما ظهر في مواقفهم من تلك النظرية بين مرسٍ لأسسها وهم الأغلب، وناقضٍ لبعض دعائمها وهم الأندر، ولا يُعرف عن نحويّ نقض هذه النظرية نقضًا كاملاً، وطالب بإلغائها باستثناء ابن مضاء القرطبي، الذي تلخصت اعتراضاته في:

- الاعتراض على تقدير العوامل المحذوفة كتلك التي في أبواب النداء والاشتغال، ...
- الاعتراض على تقدير متعلق المجرور كـ (كائن واستقر).

- الاعتراض على تقدير الضمائر المستترة في المشتقات في نحو: (ضاربٌ، ومضروبٌ، وضرَّابٌ).
- الاعتراض على تقدير الضمائر المستترة في الأفعال في نحو: (زيدٌ قامَ) [10].

ومجمل اعتراضات ابن مضاء يمكن تلخيصها في اعتراض واحد هو: الاعتراض على تقدير المحذوفات، وهذه الدعوى تتناسب تماماً مع المذهب الظاهري، الذي دعا إلى العودة إلى الأصول – أي القرآن الكريم والسنة النبوية – وحمل الناس على الظاهر. وبعد أن نقض ابن مضاء نظرية العامل في كتابه الذائع الصيت (الرد على النحاة) وعد بتقديم رؤية جديدة بديلة عنها، فذكر أنّه يعكف على تأليف كتاب يعرض فيه آراءه، ويدلّل فيه على اعتراضاته [11]، بيد أنّ الكتاب لم يظهر! ولم تنقل الكتب التي ظهرت بعده لنا شيئًا من ذلك، فبقيت رؤيته غير مكتملة تفتقر إلى بديل مناسب، وبقي العامل صامدًا لا غنى لأرباب النحو عنه.

وقد تردد صدى هذه الدعوى عند عدد من الباحثين المعاصرين، لعل من أشهرهم الأستاذ/ إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو)، وهو من أوائل العلماء المحدثين الذين انتقدوا نظرية العامل في النحو، وعنوان الكتاب – بحد ذاته – معبرٌ عن رؤية جديدة لدى المؤلف، الذي انتقد فكرة العامل النحوي في الأمور التالية:

- الإكثار من المقدرات عندما لا يكون هناك عامل.
- إضاعة حكم النحو بسبب الإكثار من هذه المقدرات، إذ لم يعد النحو كلمة حاسمة وقولاً باتاً، بل كثرت أوجه الكلام وأنواع الإعراب.
- إضاعة معاني الكلام بسبب العناية بالعامل.

- كثرة الخلاف بين النحاة في كل عامل يتصدون لبيانه.
- الاعتراف بالعامل المعنوي بعدما اشترط النحاة أن يكون متكلماً به، أو مقدراً في الكلام[12].

وربّما كان إبراهيم مصطفى محقًّا في بعض هذه الأمور التي ذكرها، إذْ لا يختلف اثنان في أنّ نحاة البصرة والكوفة قد بالغوا في خلافهم واختلافهم في مواطن كثيرة ومسائل عديدة، وبخاصة عند تقدير المحذوفات، بل وتكلُّف التقدير في بعض الآراء، وللتدليل على هذا الرأي يكفي الباحث فقط أن يعود إلى موضوعي الاشتغال والتنازع ليرى ما فيهما من مبالغة في التقديرات لا حاجة لها، ولا طائل منها.

قدّم مصطفى في كتابه بعد ذلك رؤية جديدة لمعاني الإعراب تتلخص في التالي:

1. الضمة: علمُ الإسناد، ودليلُ أنّ الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويتحدث عنها.
2. الكسرة: علم الإضافة، وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة.
3. الفتحة: ليست علامة إعراب، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب[13].

وختم حديثه بقوله: "لن تجد هذه النظرية من بعد سلطانها القديم في النحو، ولا سحرها لعقول النحاة، ومن استمسك بها، فسيحس ما فيها من تهافت وهلهلة ... وتخليص النحو من هذه النظرية وسلطانها هو عندي خيرٌ كثير، وغاية تقصد" [14]. ولم يُكتب لهذه الرؤية أيضًا البقاء في الحقل النحويّ، إذ لم يلتفت إليها المعاصرون، ولم تحظَ بنصيب وافر من الدرس والبحث، وكأنّ العامل النحويّ وُجد ليبقى، لا بديل عنه ولا مفرّ منه.

3. لا مشكلة في العامل:

لا مشكلة في العامل نفسه، ولا معضلة في هذه النظرية العتيدة التي صلحت منذ قرون خلت لتفسير مسائل النحو وأبوابه وموضوعاته، بل المشكلة في بعض النحاة الذين أفرطوا في العامل: تقديرًا وقياسًا وتعليلاً. ومن يلقي نظرة فاحصة في تراث العربية من العوامل يدرك تمام الإدراك أنّ هذه النظرية ضبطت أصول هذا العلم، وجعلت منه علمًا مُتقَنًا، وربّما كان عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) من أوائل العلماء الذين خصّوا العوامل بمؤلَّف مستقل هو العوامل المائة، وهي رسالة لطيفة لا تزيد عدد ورقاتها عن خمس، وشرحها الشيخ خالد الأزهري (ت 905 هـ). ويظهر تقسيم عبد القاهر في رسالته هذه تقسيمًا منهجيًّا واضحًا، وتفريعٌ الأنواع تفريعًا يسيرًا قبل الخوض في التفاصيل، هدفه من ذلك أن يقدّم صورة تعليمية لمن يرغب في تعلم عوامل النحو. وهذه العوامل يظهرها الجدول التالي:

العوامل	أقسامها	أنواعها		المجموع
		ذكر الأنواع	عددها	
اللفظية	اللفظية السماعية	حروف الجر	17	91
		حروف تنصب الاسم وترفع الخبر	6	
		حرفان يرفعان الاسم وينصبان الخبر	2	
		حروف تنصب الاسم المفرد فقط (واو المعية، إلّا، يا، أيا، هيا، أي، الهمزة)	7	
		حروف تنصب المضارع	4	
		حروف تجزم المضارع	5	
		أسماء تجزم المضارع (أسماء الشرط)	9	
		أسماء تنصب على التمييز (كنايات العدد)	4	

		أسماء الأفعال	9	
		الأفعال الناقصة (كان وأخواتها)	13	
		أفعال المقاربة(كاد وأخواتها)	4	
		أفعال المدح والذم	4	
		أفعال الشك واليقين	7	
	اللفظية القياسية	الفعل، اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، المصدر، الاسم المضاف، الاسم التام.	7	7
المعنوية		عامل الرفع في المبتدأ والخبر. عامل الرفع في الفعل المضارع.	2	2

إنَّ طريقة تقسيم العوامل هذه طريقةٌ تعليميةٌ ميسرة، استطاع فيها عبد القاهر الجرجاني أن يقدِّم أبواباً نحوية متشعبة في لوحة واحدة، وهو ما يتلاءم مع من يقبل على تعلم العربية والإلمام بقواعدها، لذا ختم عبد القاهر رسالته هذه بقوله: " فهذه مائة عامل، فلا يستغني الصغيرُ ولا الكبير، ولا الوالي ولا القاضي، ولا الرفيع ولا الوضيع عن معرفتها واستعمالها"[15]. وعلّق الدكتور البدراوي زهران محقق الكتاب على عوامل عبد القاهر هذه بقوله: "ومَن ينظر إلى تلك اللوحة نظرة سريعة يدرك على الفور أنَّه أمام عمل تعليمي، الهدف منه التقريب والتسهيل وجمع الكثير في لفظ قليل"[16]، وهذا ما نجح فيه عبد القاهر نجاحًا مشهوداً.

يضاف إلى ذلك أنّ هذه الطريقة في العرض تُقدّم قواعد اللغة للمتعلمين – وبخاصة المبتدئين منهم – ليسهل حفظها وفهمها واسترجاعها بكل يسر، ذلك أنّها تقتصر على الأصول العامة للفن، وتبتعد عن التفصيل والتشعب، فتقرّب بذلك المسائل للمتعلمين، كما تساعد في ضبط أساسيات العلم، حيث جمعت فيها المادة العلمية بعبارة موجزة دقيقة ما يوفّر على المتعلم

الجهد والوقت. والغريب أنّ هذه الطريقة رغم فوائدها لم تلق الرواج المتوقع في عصر عبد القاهر وبعده، فلم نرَ العلماء يقبلون عليها في ذلكم القرن وما بعده من القرون، باستثناء المطرزي (ت 610 هـ) في كتابه المصباح في علم النحو، والبركوي (ت 981 هـ) في كتابه العوامل الجديدة، إذ يظهر تأثرهما واضحًا بطريقة عبد القاهر هذه.

4. الحاجة إلى تجديد النحو:

لا نحتاج أن نلغي نظرية العامل في النحو العربي، إذْ لا بديل إلى الآن استطاع أن يحلّ محلها، ولم تستطع أي رؤية قديمة كانت أم حديثة أن تقدّم نظرية تتوافق مع أحكام هذا النحو وقواعده، وإذا كان الأمر كذلك – ومع بقاء الشكوى من النحو وصعوبته وتعقيده – فلا مناص من تجديده – وفق نظرية العامل – وتيسيره، وربّما كانت محاولات التجديد أجدى على نحو ما صنع الدكتور شوقي ضيف، حيث حاول في كتابه (تجديد النحو) أن يقدِّم نحوًا مجددًا، يظهر في الأمور الآتية:

- إعادة تنسيق أبواب النحو بحيث يضاف إليها مبحث في نطق الكلمة، ودقة التلفظ بحروفها، وتحذف أو تضم لغيرها أبواب: الإعلال، وكان وأخواتها، وكاد وأخواتها، والمشبّهات بليس، وظن وأخواتها، وأعلم وأرى، والتنازع، والاشتغال، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، والتعجب، وأفعال المدح والذم، وكنايات العدد، والاختصاص، والتحذير والإغراء، والترخيم، والاستغاثة والندبة [17].
- إلغاء الإعرابين التقديري والمحلي، وأدخل في هذا البند:

أ- إلغاء تقدير متعلق للظرف والجار والمجرور.

ب- إلغاء عمل (أنْ) المصدرية في المضارع مقدرة.

ج- إلغاء العلامات الفرعية للإعراب [18].

- الإعراب لصحة النطق [19].
- وضع ضوابط وتعريفات دقيقة لمثل: المفعول المطلق، المفعول معه، والحال [20].
- حذف زوائد كثيرة كشروط اشتقاق اسم التفضيل والتعجب، وقواعد التصغير، وغيرها [21].
- إضافات متنوعة في أبواب كثيرة [22] .

والدكتور/ شوقي ضيف في رؤيته هذه حاول أن يقدّم نحوًا ميسرًا، مضيفًا إلى أبوابه تارة وحاذفًا منها تارة أخرى، ومتأثرًا بآراء ابن مضاء القرطبي في مواضع ومجتهدًا في مواضع أخرى. ومهما يكُ من أمر فإنّ التجديد أضحى مطلبًا ملحًّا في عصرنا هذا، والنحو صار بحاجة إلى أنْ يُقدّم بطريقة تختلف عن طريقة تقديمه فيما مضى، فكلّ شيء في عالمنا المتسارع الذي نعيش فيه يتبدّل، وكل شيء من حولنا يتغيّر بخطى لا يكاد يدركها مُدرك، ولابدّ أن يواكب العلمُ – أي علم – تبدلات الزمن ورياح التغيير، وهي سنة خضع لها النحو العربيّ ذاته قديمًا؛ إذْ بدأ بكتاب سيبويه، فدار النحاة في فلكه مدة من الزمن شرحًا وتفسيرًا، ثمّ ظهرت بعد مدة ألفية ابن مالك، فدار نحاة عصرها في فلكها أيضًا شارحين ومفسرين، والأمر ذاته ينطبق على كافية ابن الحاجب من قبل، وكأنّ لسان حالهم يردّد: لكلّ عصرٍ نحوُه.

المبحث الثاني: عن أي نحوٍ نتحدث؟

مِن المهم بمكان أنْ تميّز الكتب النحوية التي تُدرّس للطلاب بين نحوٍ ونحو، فالطالب المتخصص في الجامعة الذي يقبل على دراسة اللغة العربية يدرس إحدى شروح الألفية كشرح

ابن عقيل، أو أوضح المسالك لابن هشام أو غيرهما، ولا تُفرّق المناهج الجامعية عادة بين الطالب المتخصص وغير المتخصص؛ فطالب الدراسات الإسلامية والشريعة، أو الإعلام والصحافة، أو القانون يدرس النحو كما يدرسه الطالب المتخصص، ومن المعلوم أنّ لكل طالب من هؤلاء احتياجاته النحوية الخاصة التي تختلف عن غيرها، الأمر الذي يستدعي أنْ نفرّق بين المادة النحوية المقدمة لكل فئة.

1. هناك نحوان:

فرّق علماء اللغة المتقدمين بين نحو ونحو، بل جاء هذا التفريق على لسان مؤسس النحو العربي ومشيّد بنيانه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ)، حيث تطالعنا المصادر المعتبرة بمقولة له تحتاج منّا إلى وقفة وتأمل ليسا بالعابرينِ، قال ابن يعيش (ت 643 هـ) في مفتتح كتابه شرح المفصل: "قال الخليل بن أحمد رحمه الله: من الأبواب ما لو شئنا أن نشرحه حتى يستوي فيه القوي والضعيف لفعلنا، ولكن يجب أن يكون للعالم مزية بعدنا" [(23)].

إنّ مقولة الخليل هذه صريحة في أنّ مسائل النحو العربي وأبوابه بعضها للقوي وبعضها للضعيف، أو بعبارة أخرى: بعضها للباحث وبعضها للمتعلم، أو بعبارة ثالثة: هناك فرقٌ بين النحو العلمي والنحو التعليميّ، فلا نحوَ واحدًا للقوي والضعيف، ولا نحوَ مشتركًا بين الباحث والمتعلم، ولا نحو يصلح للمتخصص وغير المتخصص على حد سواء، بل ثمة فرق جليّ بين النحو العلمي والنحو التعليمي. ولا ينبغي أنّ يُفهم من عبارة الخليل أنّ متقدمي النحاة تعمدوا تعقيد النحو وإضفاء طابع الصعوبة عليه: لا، هم فقط رسموا حدودًا بين نحو ونحو، وربّما لم يتفطّن من جاء بعدهم إلى هذه الحدود والرسوم، فصارت القواعد زاخرة بالأقوال والاختلاف وربّما المماحكات، كما صارت المسائل مليئة بالتفاصيل المتشعبة المتزاحمة.

وقد تنبّه بعض المعاصرين إلى التفريق بين النحو العلمي والنحو التعليمي، فألّف الأستاذ/ عبد العليم إبراهيم كتابه (النحو الوظيفي)، وميّز في مقدمته بين نوعين من النحو: النحو الوظيفي: وقصد به القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو، وهي: ضبط الكلمات، ونظام تأليف الجمل، ليسلم اللسان من الخطأ في النطق، ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة. والنحو التخصصي: الذي يحوي المسائل المتشعبة، والبحوث الدقيقة التي حفلت بها الكتب الواسعة[24]. كما أكّد في كتابه العناية بالتدريبات النحوية عناية فائقة، وبناه على فلسفة قائمة على عدة أسس، نذكر منها:

- الكتاب في النحو الوظيفي لا التخصصي، وهو مقدمٌ لمن اجتازوا المرحلة الأولى في تعلم النحو.
- عنى الكتاب بالمواضع الإعرابية للكلمات (نحو المعربات)، لأنّه مصدر اللحن.
- جمع المتفرقات في موطن واحد إذا اتحدت حالتها الإعرابية نحو: المفعول به، المستثنى، المنادى، الإغراء والتحذير، ....
- العناية المزيدة بالتدريبات[25].

فإذا علمنا أنّ هناك نحوين: واحدًا علميًّا للمتخصص في دراسة اللغة العربية، وآخر تعليميًّا لغير المتخصص، وجب علينا أن نحدّد المادة النحوية التي تصلح لكل فئة انطلاقًا من حاجاتها اللغوية، ووصولًا إلى الهدف العام وهو صون اللسان عن الخطأ.

2. النحو التعليمي (نحو غير المتخصصين):

تضم فئة غير المتخصصين عادة: أرباب الصحافة والإعلام، والباحثين، وطلاب الجامعات والمدارس في مستوياتهم العليا، ومجمل من يحتاج إلى استعمال اللغة الفصيحة، فهؤلاء

بحاجة إلى ما يسدّ حاجتهم، ويفي بظروف عملهم أو دراستهم بعيداً عن المسائل الدقيقة، والبحوث المتشعبة. وينبني التصور الخاص بهذه الفئة على المبادئ التالية:

- الاعتماد على النحو الوظيفي.
- تجنب ذكر فلسفة العوامل النحوية، وتشعب التفاصيل وتزاحمها.
- الاكتفاء بالقول المشهور، والبعد عن الخلافات.
- الاستغناء عن الإعراب التقديري.
- ربط المادة العلمية بالحياة العملية.

ولو حاولنا أن نطبّق هذه المبادئ على باب من أبواب النحو العربي، وليكن باب الأسماء الستة مثلاً، وهو باب تتفق معظم كتب النحو في عرض مادته العلمية، وإن ظهر هناك اختلاف فهو عائد إلى الإسهاب أو الإيجاز؛ فبعض الكتب تسهب وإسهابها يقتضي ذكر تفاصيل أكثر وخلافات أشد، وبعضها يميل إلى الإيجاز، وفي العموم ترسم هذه الكتب معالم المادة العلمية لهذا الدرس في محاور هي: شروط إعرابها بالحروف، والأقوال المختلفة في إعرابها، ومسائل متفرقة فيها[26]. فانطلاقًا من هذه المبادئ سيذكر أنّ الأسماء الخمسة (لا الستة) هي: أبوك، وأخوك، وحموك، وفوك، وذو أخلاق، وهي أسماءٌ ترفع بالواو، وتنصب بالألف، وتجر بالياء، شريطة أن تكون مضافة إلى غير ياء المتكلم. وسيترتب على ما ذكر الآتي:

1. تحذف (هن) من الدرس؛ لأنّها ميتة في الاستعمال، وحذفها كذلك يقتضي حذف خلاف الفراء على سيبويه من أنّ الأسماء الخمسة معربة بالحروف ما عدا (هن) [27].

2. تحذف من الشروط العامة لهذه الأسماء أيضًا قولهم:

- أن تكون مفردة غير مثناة ولا مجموعة، لأنّها حينئذٍ ستعرب إعراب المثنى والجمع.
- أن تكون مكبرة، فإن هي صغرت أعربت بالحركات.

لأنّ سياق: أخوك، أبوك، .... يوحي بأنّها مفردة غير مثناة أو مجموعة، كما يوحي بأنّها غير مصغرة، ولأنّ ذكر مثل هذه التفاصيل تشعب وتزاحم.

3. تحذف من الشروط أيضاً الشروط الخاصة بـ(ذو) و(فم)، وكان النحاة قد اشترطوا في (فم) إزالة الميم، فإن بقيت أعربت بالحركات، واشترطوا في (ذو) أن تكون بمعنى (صاحب)، فإن كانت موصولة فإنّها مبنية، وكل هذا تفصيلٌ لا طائل منه.

4. الاكتفاء بالقول المشهور في إعراب هذه الأسماء، وهو أنّها تعرب بالحروف نفسها، وكان النحاة قد ذكروا في إعرابها اثنا عشر وجهًا!! هي:

- الأحرف نفسها هي الإعراب، وهي نائبة عن الحركات، وهذا الرأي هو المشهور، وعليه قطرب والزيادي والزجاجي من البصريين، وهشام الضرير من الكوفيين.
- هي معربة بحركات مقدرة في الحروف، وأنّها أتبع ما فيها ما قبل الآخر للآخر، فإذا قلت: قامَ أبوك، فأصله: قامَ أبَوُك، فأتبعت حركة الباء لحركة الواو، فقيل: أبُوُك، ثمّ استثقلت الضمة على الواو فحذفت، واستدل لهذا القول بأنّ أصل الإعراب أن يكون بحركات ظاهرة أو مقدرة، فإذا أمكن التقدير مع وجود النظير لم يعدل عنه، وهذا الرأي لسيبويه والفارسي وجمهور البصريين.
- هي معربة بالحركات التي قبل الحروف والحروف إشباع، وهذا الرأي للمازني والزجاج.

- هي معربة بالحركات التي قبل الحروف، وهي منقولة من الحرف، وهذا الرأي للربعي.
- هي معربة بالحركات التي قبل الحروف وليست منقولة، بل هي الحركات التي كانت فيها قبل أن تضاف، فثبتت الواو في الرفع لأجل الضمة، وانقلبت ياء لأجل الكسرة، وألفاً لأجل الفتحة، والرأي للأعلم.
- هي معربة من مكانين: بالحركات والحروف معًا، وعليه الكسائي والفراء.
- هي معربة بالتغير والانقلاب حالة النصب والجر، وبعدم ذلك حالة الرفع، وعليه الجرمي.
- (فوك) و (ذو مال) معربان بحركات مقدرة في الحروف، و(أبوك، وأخوك، وحموك وهنوك) معربة بالحروف، وعليه السهيلي.
- عكس الثامن.
- قال الأخفش: الحروف دلائل إعراب، واختلف في معناه، فقال الزجاج والسيرافي: المعنى أنّها معربة بحركات مقدرة في الحروف التي قبل حروف العلة، ومنع من ظهورها كون حروف العلة تطلب حركات من جنسها.
- وفسر ابن السراج قول الأخفش السابق بأنّها حروف إعراب، والإعراب فيها لا ظاهر ولا مقدر، فهي دلائل إعراب بهذا التقدير.
- هي معربة في الرفع بالنقل، وفي النصب بالبدل، وفي الجر بالنقل والبدل معًا؛ فالأصل في: جاءَ أبوك: جاء أبَوُك، فنقلت حركة الواو إلى الباء، والأصل في: رأيتُ أباك: رأيتُ أبَوَك، فأبدلت الواو ألفاً، والأصل في: مررتُ بأبيك: مررتُ بأبَوِك، فنقلت حركة الواو إلى الباء، فانقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، حكاه ابن أبي الربيع [28].

فلا حاجة إلى ذكر الاثني عشر وجهاً إطلاقاً، لأنه سيجرّ إلى تأويلات وتفسيرات واختلاف لا يفيد منه طلاب هذه الفئة، كما سيجر في مواضع إلى الإعراب التقديري والحديث عنه، وهو ما استغنينا عنه ضمن المبادئ.

5. يُستغنى عن المسائل المتفرقة جميعها في هذا الباب، وهي لغات هذه الأسماء، وإفرادها، ووزنها، حيث جرت عادة النحاة أن يذكروا اللغات التي وردت بها الأسماء الستة، ففي (هن) النقص: وهو الإعراب بالحركات، وهو فيه أشهر من الإعراب بالحروف. وفي (أب) النقص كقول الراجز:

بِأَبِهِ اقتدى عديٌّ بالكرمْ ومَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَما ظَلَمْ

والقصر كقول الآخر:

إنَّ أبَاها وأبَا أباها قد بَلَغَا من المجدِ غايتاها

والتشديد: نحو: هذا أبُّك، وأفصحها القصر، ثمّ النقص، ثمّ التشديد. وفي (أخ) الثلاثة: سمع في القصر: (مكرهٌ أخاك لا بطل)، وحكى أبو زيد: جاءني أخُّك، وفيه: أخوٌ، قال الشاعر:

ما المرءُ أخْوَك إنْ لم تُلفِهِ وَزراً عندَ الكريهةِ مِعْواناً على النّوَبِ

وفي (حم) النقص والقصر. وفي (فم) عدة لغات: النقص، والقصر، وتشديد الميم، مع فتح الفاء وضمها وكسرها، وممّا ورد في القصر:

يَا حَبّذا عَيْنا سُلَيمى والفَمَا [29].

والحقّ أنّ إقحام اللهجات العربية القديمة بصفاتها وخصائصها المختلفة كان سببًا من أسباب تعقيد النحو، وعن ذلك قال الدكتور/ أحمد مختار عمر: "إنّ النحويين القدماء حين

قعّدوا قواعدهم أقحموا اللهجات العربية القديمة بصفاتها وخصائصها المتباينة، ونظروا إليها على أنّها صور مختلفة من اللغة المشتركة، ممّا خلق مشاكل معقدة أيسرها اختلاف الأقوال في المسألة الواحدة، ومحاولة التوفيق بين المذاهب والشواهد المتناقضة، والإكثار من الأمور الجائزة، وكثرة التقسيمات والتشعيبات، والإسراف في وضع الشروط "[30].

كما جرت عادتهم الحديث عن إفرادها، فيجوز إفراد: (أب، وأخ، وحم، وهن) من الإضافة، لا (ذو)، وأمّا (فوك) فلا يفرد إلاّ ويصير بتلك اللغات، قال العجّاج:

خَالِطْ مِنْ سَلْمى خياشَيمَ وفَا

فجاء منصوباً بالألف من غير الإضافة، فخصّه البصريون بالضرورة، وجوّزه الأخفش والكوفيون، وتابعهم ابن مالك في الاختيار تخريجاً على أنّه حذف المضاف إليه[31] .

وجرت العادة أخيرًا أن تذكر الكتب النحوية في هذا الباب الوزن الصرفي لهذه الأسماء، فتورد رأي الخليل في (ذو) وأنّه على وزن (فَعْل) بالفتح والإسكان، وتذكر رأي البصريين بأنّها على وزن (فَعَل) بفتح الفاء والعين بدليل جمعها على (أَفْعَال)، إلاّ (فوك) فوزنه (فَعْل) بفتح الفاء وسكون العين، كما تسوق رأي الفراء بأنها على وزن (فَعْل) بالفتح والإسكان، وأمّا (فوك) فـ (فُعْل)، بضم الفاء والإسكان[32].

فلا حاجة للغات هذه الأسماء، وإفرادها، ووزنها، ويندرج ضمن هذا الأمر: الاستغناء عن الشواهد الشعرية جميعها، ما يجعل الخلاف في هذا الموضوع أقل والشروط أيسر، وصولًا إلى مادة نحوية واضحة.

6. تعزز القاعدة المذكورة بأمثلة من الحياة العامة، تربط غير المتخصص في المحيط الذي يعيش فيه، وحبذا أن تكون هذه الأمثلة من عيون الأدب وروائع البيان، على نحو ما صنع الأستاذان علي الجارم ومصطفى أمين في (النحو الواضح)، وهو كتابٌ مدرسيٌّ تعليمي وضعه المؤلفان للتلاميذ كي "يكشف لهم من مسائل العلم ما يلائم عقولهم، ويأخذ بأيديهم في طريق ممهدة هوناً إلى الغاية، ويبعث فيهم حب العربية" [33]، وقد اتّكأ المؤلفان في تأليف الكتاب على المبادئ التالية:

- اعتماد طريقة الاستنباط في التأليف والتدريس.
- الإكثار من الأمثلة التي تستنبط منها القواعد.
- إتباع الأمثلة بشرح موجز، تحت عنوان (البحث).
- الإكثار من التمارين التطبيقية في نهاية كل درس، مع مراعاة تنوعها وسهولة معانيها.
- الإفادة من كلام العرب والأشعار والحكم والأمثال في ضرب الأمثلة وصوغ التمارين[34].

وهذه المحاولة محاولة جادة في تيسير النحو وتوضيحه، ولاسيما أنّ المؤلفين وضعاه لمستويات دراسية محددة (الإعدادية والثانوية)، والكتاب – لهذه المستويات – لا يقل في قيمته العلمية عن الكتب المؤلفة حديثاً، وهو بحق يعدّ مرجعاً جيداً لغير المتخصصين.

3. النحو العلمي (نحو المتخصصين):

المتخصصون في اللغة العربية من طلاب الجامعات تحديدًا بحاجة إلى الإلمام بقواعد النحو العربي ومسائله، هذا أمر لا جدال فيه، فإنْ درس أحدهم مثلاً موضوع الأسماء الستة

فلابدّ له من الإحاطة بالمادة العلمية النحوية لهذا الدرس بما فيه من شروط وآراء وتفريع، بيد أنّ معالجة بعض المذاهب النحوية له قد تختلف؛ فالناظر لدرس (الأسماء الستة) في نتاج النحاة يرى في النحو الكوفي طرحاً أقرب إلى التيسير والوضوح، طرحاً تظهر فيه الفكرة مقبولة للأذهان، بعيدة عن التشعب والتشتيت، وقد أورد أبو البركات الأنباري (ت 577 هـ) هذا الطرح في كتابه (الإنصاف) فقال: "ذهب الكوفيون إلى أنّ الأسماء الستة المعتلة وهي: أبوك، وأخوك، وحموك، وهنوك، وفوك، وذو مال، معربة من مكانين... قالوا : أجمعنا على أنّ هذه الحركات – التي هي الضمة والفتحة والكسرة – تكون إعراباً لهذه الأسماء في حال الإفراد نحو قولك: هذا أبٌ لك، ورأيتُ أباً لك، ومررتُ بأبٍ لك، وما أشبه ذلك. والأصل فيه: أبوٌ، فاستثقلوا الإعراب على الواو، فأوقعوه على الباء وأسقطوا الواو، فكانت الضمة علامة للرفع، والفتحة علامة للنصب، والكسرة علامة للجر. فإذا قلت في الإضافة: هذا أبوك، وفي النصب: رأيتُ أباك، وفي الجر: مررتُ بأبيك، والإضافة طارئة على الإفراد، كانت الضمة والفتحة والكسرة باقية على ما كانت عليه في حال الإفراد؛ لأنّ الحركة التي تكون إعراباً للمفرد في حال الإفراد، هي بعينها تكون إعراباً له في حال الإضافة؛ ألا ترى أنّك تقول: هذا غلامٌ، ورأيتُ غلاماً، ومررتُ بغلامٍ، فإذا أضفته قلت: هذا غلامُك، ورأيتُ غلامَك، ومررتُ بغلامِك، فتكون الضمة والفتحة والكسرة التي كانت إعراباً له في حال الإفراد هي بعينها إعرابٌ له في حال الإضافة، فكذلك هاهنا، والذي يدل على صحة هذا تغير الحركات على الباء في حال الرفع والنصب والجر، وكذلك الواو والألف والياء بعد هذه الحركات، تجري مجرى الحركات في كونها إعرابًا بدليل أنّها تتغير في حال الرفع والنصب والجر، فدلّ على أنّ الضمة والواو علامة للرفع، والفتحة والألف علامة للنصب ، والكسرة والياء علامة للجر، فدلّ على أنّه معربٌ من

مكانين، ومنهم من تمسك بأن قال: إنّما أعربت هذه الأسماء الستة من مكانين لقلة حروفها تكثيراً لها، وليزيدوا بالإعراب في الإيضاح والبيان، فوجب أن تكون معربة من مكانين، على ما ذهبنا إليه".(35)

إنّ هذا العرض – من وجهة نظر البحث – سيساعد في: دراسة النحو دراسة وصفية، واختزال الاختلافات وتعدد الآراء التي صعّبت النحو، ولجأ إليها النحاة – في بعض الأحيان – لا لشيء سوى إثبات التميز، كما سيساعد في تقديم تعليلات وتأويلات مقبولة، بعيدة عن التفلسف والمنطق.

يُضاف إلى ذلك التوسع في مسائل درج الأساتذة فيها على الاختصار، أو الاقتصار على أمور بعينها، كالشاهد الشعري – وهو له ما له من الأهمية والضرورة – حيث يحوي هذا الدرس (درس الأسماء الستة) مجموعة من الشواهد الشعرية ساق البحث عددًا منها، وشاع لدى الدارسين في عرض هذا الشاهد الاهتمام بموطن الشاهد فقط، بيد أنّ ذكر قائل الشاهد إن كان له قائل، والإلماح إلى العصر الذي عاش فيه، وذكر مناسبته، وشرح ألفاظه من شأنه أن يرسخ الشاهد والقاعدة التي يخدمها، كما سيضفي على درس النحوي نوعاً من التشويق.

يُضاف إلى ما سبق أيضًا عددٌ من الأدوار التي يُتوقع أن يقوم بها أستاذ النحو، وهي أدوار ستساعد المتعلم المتخصص في رفع كفاءته النحوية، وتجعل من تعلّمه للنحو تعلّمًا ذا أثر. ويتحدث المبحث الثالث عن بعض هذه الأدوار.

المبحث الثالث: أدوار الأستاذ الجامعي في تعليم النحو:

حرصت منظومة التعليم العالي في الوطن العربي بشكل عام على إيلاء الطالب الجامعي عناية خاصة، نظرًا للأدوار المستقبلية المهمة الملقاة على عاتقه، بحيث يكون خريج الجامعة ذا

حصيلة علمية مميزة وخبرة عملية متميزة، ما يجعله يحظى برضا سوق العمل، ويكون – بحقّ – موردًا بشريًّا عالي المواصفات، كما جاءت برامجها متضمنةً السعي إلى تطوير المناهج، وأساليب التعليم والتقويم لتحسين عمليات التعلم والتعليم وتجويدها بما يرفع مستوى التحصيل العلمي للطالب في مختلف المراحل الدراسية.

من هنا تظهر الحاجة إلى رفع مستوى هذا الطالب، ليستطيع المنافسة في المحيط العملي القادم إليه، ولا شكّ أن من يُناط به هذه المهمة – مهمة رفع مستوى التحصيل العلمي – هو الأستاذ الجامعي؛ إذ يُتوقع منه أن يقوم بمجموعة من الأدوار والأساليب التي تجعل من طالبه مطلبًا لأرباب العمل، وثروة مهمة للوطن. ولا شك أنّ الأستاذ الجامعي يقوم بداهةً بأدوار ومهام تتوزع بين التدريس، وتوجيه الطالب للبحث، وغيرها، غير أنّ السؤال الذي ينبغي أن يُطرح هنا: هل يحتاج الأستاذ الجامعي أن ينمي بعض المهارات الخاصة به ليستطيع رفع مستوى التحصيل العلمي للطالب وبخاصة في درس النحو؟ الإجابة: نعم، ويحاول هذ المبحث أن يُقدّم رؤية لبعض الأدوار التي يستطيع أن يقوم بها هذا الأستاذ.

1. الانتقال بالنحو من مقرر نظريّ إلى مقرر نظريّ تطبيقي:

تحدّد التوصيفات الخاصة بالمقررات الجامعية عادةً مفردات هذه المقررات والمواضيع التي يجب أن تتناولها، وعادة ما يقوم الأستاذ الجامعي بتقديم هذا المقرر بصورة نظرية باعتماد طريقة الإلقاء في المقام الأول، وربّما مزج بين هذه الطريقة وطرق أو أساليب أخرى كالحوار والمناقشة، أو العصف الذهني، أو غيرهما، بيد أن التحول بالمحاضرة إلى محاضرة نظرية تطبيقية هو الأجدى، وهو الأنسب لرفع مستوى التحصيل العلمي للطالب في مقرر النحو، فلو تناول الأستاذ درس الأسماء الستة مثلاً، فحبذا لو قدّمه بهذا الأسلوب:

الأسماء الستة وإعرابها:

الأسماء الستة هي: أبو، أخو، حمو، هنو، فو، ذو. وتُرفع هذه الأسماء بالواو نحو: جاءَ أبو زيدٍ، وتُنصب بالألف نحو: رأى محمدٌ أبا زيدٍ، وتُجرّ بالياء نحو: مرَّ محمدٌ بأبي زيدٍ.

نموذج إعراب: (مرَّ محمدٌ بأبي زيدٍ):

مرَّ: فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتح.

محمدٌ: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

بأبي: الباء حرف جر، وأبي: اسمٌ مجرور وعلامة جرّه الياء لأنّه من الأسماء الستة، وهو مضاف.

زيدٍ: مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة.

تطبيق: استخرج الأسماء الستة وبيّن علامة إعراب كلٍّ منها:

1. وأبونا شيخٌ كبير.
2. واذكرْ أخا عادٍ إذْ أنذرَ قومَه بالأحقافِ.
3. إذْ قال إبراهيمُ لأبيه.
4. إنَّ أبانا لفي ضلالٍ مبين.
5. أوْ إطعامٌ في يومٍ ذي مسغبة.
6. فطوّعتْ له نفسُهُ قتلَ أخيه فقتله.

وهكذا يسير أستاذ المقرر في جميع فقرات هذا الدرس وصولاً إلى نهايته، وتقديم المادة النحوية وفق هذا الأسلوب هو الأنفع للأسباب التالية:

- يثبّت المعارف والمهارات في ذهن الطالب أكثر.
- يبعد الملل والسأم الذي قد يسود جو المحاضرة.
- يزيد من تفاعل الطالب ويجعل دوره في المحاضرة دورًا محوريًّا، وبالتالي سيرتفع مستوى تحصيله العلمي.

بيد أنّ اتّباع مثل هذا الأسلوب يستدعي النظر في مرجع المقرر ومصدره، وهل يستطيع أستاذ المقرر أن يضفي عليه بعض التطبيقات؟ ثمّ هل ستسمح النظم المتبعة في أن يُصمّم الأستاذ منهاجًا؟ وأيًّا كانت الإجابة فإنّ المحاضرة النظرية – برأيي المتواضع – لم تعد مجدية في تدريس النحو.

2. مصادر التعلم:

إذا كانت المحاضرة النظرية لم تعد مجديةً اليوم في تعليم النحو، فإنّ التدريس لن يعود نافعًا ذا أثر من غير مصادر تعلم، في زمن تتسارع فيه المعرفة، وتتزايد فيه وسائل التعليم، لذا من المهم بمكان أن يستخدم الأستاذ الجامعي هذه الوسائل لدورها الكبير في إيصال المعلومة للطالب، ومن ثمَّ رفع مستوى تحصيله العلمي، وربّما كانت أيسر هذه المصادر (جهاز العرض data show)، أو السبورة الذكية في حال توافرها، لما لها من أثر في تقريب المعلومة، وتوفير زمن الطالب والأستاذ، وإضفاء طابع المتعة على الدرس.

ويبرز هنا دور الإدارة الأكاديمية في توفير هذه المصادر، وجعلها في متناول يد الأستاذ الجامعي، من خلال مخاطبة الأطر العليا وجهات الاختصاص في الجامعة لتوفير مصادر باتت موجودة في جميع مؤسسات التعليم العالي.

3. تنويع مستويات المعرفة:

تتناقل الأوساط التربوية هرمًا مشهورا لمستويات المعرفة يُعرف بـ (هرم بلوم) [36]، تظهر فيه عددٌ من المستويات المتتابعة تبدأ بالتذكر وتصل إلى التقويم، وعلى النحو الآتي:

ويعني هذا الهرم أنّ الطالب يبدأ تعلّمه عادةً بالحفظ وتذكر المعلومات، ومنها إلى الفهم والاستيعاب، وكلّما نضجت خبرته التعليمية انتقل إلى مستويات أعلى، فصار يُطبّق ويُحلّل ويركّب ويقوّم، فالهرم تصاعديّ يبدأ بمستويات معرفة متواضعة وصولاً إلى مستويات عقلية أعلى. كما تتناقل هذه الأوساط عددًا من الأفعال التي من المتوقع أن يقوم بها الطالب تحت كل مستوى من هذه المستويات[37]، ومن أمثلتها ما يلي:

التذكر	الاستيعاب	التطبيق	التحليل	التركيب	التقويم
يحدّد	يفسّر	يُشكّل	يبيّن	يكوّن	يحكم
يذكر	يعلّل	يستخدم	يوضّح	ينظّم	يقرّر
يعرّف	يلخّص	يصنّف	يميّز	يعدّل	يفنّد
يسترجع	يقارن	يرتّب	يربط	يؤلف	يقيّم
يعدّد	يشرح	يطبّق	يستدل	يركّب	يفاضل
يضع قائمة	يمثّل	يستخدم	يجزّأ	يبتكر	يختار
يسمي	يستخرج	يحلّ	يفرّق	يشتق	يحكم على

والسؤال الذي ينبغي أن يطرح هنا: ما هي أدوار الأستاذ الجامعي هنا؟ وبخاصة عندما يعلّم النحو؟ إنّ أدواره تنصب في تنويع مستويات المعرفة، وعدم الوقوف عند المستوى الأول فقط، فلا يكتفي بأن يعرّف الطالب ويذكر ويعدّد، بل يجب أن يترجم ويعلّل ويلخّص ويمثّل ويُعرب ....، بخاصة إذا علمنا أنّ هذه المستويات الثلاثة الأولى مهارات دنيا، ولن نستطيع – بأي حال من الأحوال – أن نرفع من مستوى التحصيل العلمي للطالب مادمنا قابعين في المستوى الأول، في تدريسنا وفي اختباراتنا، وربّما نوّع الأستاذ هذه المستويات في درس المثنى وجمع المذكر مثلاً على النحو التالي:

تطبيقات: استخرج المثنى أو جمع المذكر السالم ممّا هو آتٍ واذكر علامة إعرابه:

أ. ودخلَ معهُ السجنَ فتيانِ.

ب. إنّ اللهَ يحبُّ المحسنينَ.

ج. حتى أبلغَ مجمعَ البحرينِ.

د. وما أصابكم يومَ التقى الجمعانِ.

هـ. إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطينِ.

مثّل لما يأتي في جملة مفيدة:

1. مثنى مجرور.

2. ملحق بالمثنى.

3. جمع مذكر سالم مرفوع.

علّل نحويًّا:

أ. كلا وكلتا ملحقتان بالمثنى وليستا مثنى.

ب. عشرون ملحقة بجمع المذكر السالم وليست جمعًا.

ج. سنون ملحقة بجمع المذكر السالم وليست جمعًا.

أعرب إعرابًا كاملاً: الشطر الثاني من قول الشاعر:

وماذا تبتغي الشعراءُ مني وقدْ جاوزتُ حدَّ الأربعينِ

4. نُظم التقويم:

تنصّ لوائح التعليم العالي في جميع الدول العربية على عدد من الضوابط الخاصة بتقويم الطالب في المرحلة الجامعية، وتحدّد في موادها أن تتوزع درجة المقرر بين أعمال فصلية واختبار نهائي، وقد تحدّد في بند الأعمال الفصلية أن يكون هناك اختبار أو اختباران، مع وجود بعض الأنشطة كالبحوث والتطبيقات والأعمال غير الصفية. وقد درجت بعض المؤسسات على توزيع درجة المقرر الواحد (الـ 100 درجة) مناصفة بين الأعمال الفصلية والاختبار النهائي، ووزّعت درجة أعمال الفصل على اختبارين في الفصل لكل منها (20) درجة، و(10) درجات للتقويم البديل من أنشطة وبحوث. والسؤال هنا: أي هذه النظم أجدى للرفع بمستوى التحصيل العلمي للطالب في مقرر النحو؟

قد يختلف أعضاء هيئة التدريس في الإجابة عن هذا السؤال، وقد تختلف الأسباب التي تفضّل نظامًا على آخر، بيد أنّنا يجب أن نضع نصب أعيننا الأمور الآتية عند اختيار نظام تقويم معين، وهي:

- التقويم إصدار حكم[38] ، وهذا يعني أن النظام المتبع يجب أن يكون واضحًا لا لبس فيه ولا تداخل.
- نظام التقويم يجب أن يكون عادلاً يعطي كل ذي حقّ حقّه.
- نظام التقويم يجب أن يربط الطالب بالمقرر من أول الفصل إلى نهايته.
- نظام التقويم يجب أن يتوافق مع التوجه العام للجامعة، إذ لا مزيّة في أن تكون كلية مختلفة عن نظيراتها، ولا طائل من أن تكون الكلية مختلفة من أجل الاختلاف.
- نظام التقويم يجب أن يخضع لاعتبارات أكاديمية ليس غير، لا لاعتبارات إدارية أو تنظيمية أو ما شابهها.

فإذا علمنا ذلك أمكننا اختيار نظام التقويم الذي سيساعد بلا شك في الارتقاء بمستوى التحصيل العلمي للطالب الجامعي.

الخاتمة والنتائج:

حاول هذا البحث الذي يحمل عنوان (في تعلّم النحو العربي وتعليمه: قراءة في بعض الإشكالات والأدوار) أن يجيب عن تساؤلات هي: لِمَ يمثّل تلقي النحو العربي إشكالاً عند كثير من المتعلمين اليوم؟ وهل لهذا الإشكال علاقة ما بمنطلق النحو وأساسه نظرية العامل؟ وهل نحتاج أن نفرّق بين نحو ونحو؟ ثم هل هناك أدوار يتوقع من أستاذ النحو اليوم أن يقوم بها؟ لذا تعقّب البحث هذه التساؤلات نظريًّا وتطبيقيًّا، واجتهد في الإجابة عنها من خلال الوصف والتحليل مع الربط بواقع التعليم المعاصر، ليصل في نهايته إلى النقاط الآتية:

- لا مشكلة في العامل نفسه، ولا معضلة في هذه النظرية العتيدة التي صلحت منذ قرون خلت لتفسير مسائل النحو وأبوابه وموضوعاته، بل المشكلة في بعض النحاة الذين أفرطوا في العامل: تقديرًا وقياسًا وتعليلاً.

- تجديد النحو مطلب ملحّ في عصرنا هذا، فالنحو صار بحاجة إلى أنْ يُقدّم بطريقة تختلف عن طريقة تقديمه فيما مضى، فكلّ شيء في عالمنا المتسارع الذي نعيش فيه يتبدّل، وكل شيء من حولنا يتغيّر، ولابدّ أن يواكب العلمُ تبدلات الزمن وتطوراته.
- هناك نحوان: واحد علميّ للمتخصص في دراسة اللغة العربية، وآخر تعليميّ لغير المتخصص، ومن الواجب أن تحدّد المادة النحوية التي تصلح لكل فئة انطلاقًا من حاجاتها اللغوية، ووصولًا إلى الهدف العام وهو صون اللسان عن الخطأ.
- تُناط بالأستاذ الجامعي هذه الأيام عدد من الأدوار منها: الانتقال بالنحو من مقرر نظري إلى مقرر تطبيقي، والإفادة من مصادر التعلم الحديثة، وتنويع مصادر المعرفة في زمن لا يعرف اليوم من العلوم إلاّ التطبيقية المعتمدة على التكنولوجيا.

الهوامش:

(1) ينظر: عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، دار المعارف، مصر، 1971م، ص 130.

(2) ينظر: السابق، ص 131.

(3) ينظر: القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 1982م، ص76 – 141.

(4) هناك نحويون قدماء حملوا رؤى جديدة منهم قطرب (ت 206 هـ) الذي أكدّ أنّ العرب لم تُعرب كلامها للدلالة على المعاني المختلفة، بل لتناغم بين الحركات والسكنات في سياق الكلام، وقد نقل رأيه هذا الزجاجي، ينظر: الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، الطبعة السادسة، دار النفائس، بيروت، 1996م، ص70. ومنهم أبو الفتح ابن جني (ت 392 هـ) الذي قدّم رؤية تعتمد على المتكلم الذي يصنع التركيب معبّرًا عن المعاني التي يرمي إليها، ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الرابعة، دار

الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1990م، 110/1. وتابع الرضي الاسترابادي (ت 686 هـ) ابن جني فيما ذهب إليه من أنّ المتكلم هو الموجد لمعاني الإعراب، ينظر: الاسترابادي، رضي الدين، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تحقيق: عبد العال مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، 60/1.

(5) تنظر هذه الصعوبات في: السليطي، ظبية سعيد، تدريس النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، 2002م، ص 36-37.

(6) هو عباس محمد العقاد، ينظر: أشتات مجتمات في اللغة والأدب، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، 1988م، ص 29.

(7) الرماني، علي بن عيسى، رسالتان في اللغة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر، عمّان، 1984م، الحدود ص 69 .

(8) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004م، ص 122 .

(9) اللبدي، محمد سمير، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، الطبعة الثالثة، دار الرسالة ودار الفرقان، بيروت، 1988م، مادة (عامل) .

(10) ينظر: الرد على النحاة ، ص 77-90.

(11) قال ابن مضاء: "وقد شرعت في كتاب يشتمل على أبواب النحو كلها، فإن قضى الله تعالى بإكماله انتفع به من لم يعقه عند التقليد، وإلا فيستدل بهذه الأبواب على غيرها". ينظر: السابق، ص85.

(12) ينظر: مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992م.، ص 34 - 40.

(13) ينظر: السابق ، ص 50.

(14) ينظر: السابق ، ص194- 195.

(15) ما اختتم به عبد القاهر رسالته هذه غير مذكور في الكتاب الذي اعتمدتُ عليه ، بل هو مذكور في نسخة أخرى من العوامل المائة أخذ عنها الدكتور وليد عاطف الأنصاري في كتابه (نظرية العامل في النحو العربي) ص 56.

(16) الجرجاني، عبد القاهر، العوامل المائة النحوية، بشرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، تحقيق: البدراوي زهران، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، د.ت، ص 8.

(17) ضيف، شوقي، تجديد النحو، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، 1990م.، ص 11 ، 12 .

(18) ينظر : السابق : ص 23 ، 24 ، 25.

(19) ينظر : السابق : ص 26.

(20) ينظر : السابق : ص 30.

(21) ينظر : السابق : ص 34 – 35.

(22) ينظر : السابق : ص 41 .

(23) ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، تقديم: إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001 م، 39/1.

(24) ينظر : إبراهيم، عبد العليم، النحو الوظيفي، الطبعة التاسعة، دار المعارف، مصر، 1998م، مقدمة المؤلف (هـ ، و).

(25) ينظر : السابق، مقدمة المؤلف (و، ي ، ك ، ل ، م)

(26) ينظر ما ذكر في: الرضي الاسترابادي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، 1 / 66 . وابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د. ط. ت، ص (40). وابن عقيل، بهاء الدين، شرح ابن عقيل، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، الطبعة السادسة عشرة، دار الفكر، بيروت، 1974م، 1 / 49، والأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني على الألفية، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1998م، 1 / 77، والسيوطي، جلال الدين، همع

الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م، 1 / 122 – 123.

(27) ينظر: الهمع 124/1.

(28) تنظر الآراء في الهمع: 1/ 123 – 126، وهي كذلك أو بعضها في : شرح الرضي 1 / 66 ، وشرح ابن عقيل 1 / 44، وشرح الأشموني 77/1 – 79 .

(29) تنظر اللغات في: الهمع 1/ 128 ، وكذلك في: شرح شذور الذهب ص 42 ، شرح الأشموني 71/1

(30) عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 119.

(31) ينظر : ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، الطبعة الأولى، هجر للطباعة والنشر، 1990م، 50/1.

(32) ينظر : الهمع 130/1 – 131 .

(33) الجارم علي ومصطفى أمين، النحو الواضح، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2004م، ص17.

(34) ينظر : السابق ص17 – 18.

(35) الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة، مصر، 1961م، ص 17، 19، 20.

(36) ينظر: الجلحوي، حسين علي، المنهاج التربوي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2010م، ص 51.

(37) ينظر: السابق ص 51 – 55.

(38) ينظر: السابق ص 54.

المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، عبد العليم، النحو الوظيفي، الطبعة التاسعة، دار المعارف، مصر، 1998م.
2. الاسترابادي، رضي الدين، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.
3. الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني على الألفية، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1998م.
4. الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة، مصر، 1961م.
5. الأنصاري، وليد عاطف، نظرية العامل في النحو العربي عرضاً ونقداً، الطبعة الثانية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2004م.
6. البركوي، محمد بن بير علي، العوامل الجديدة (ضمن كتاب: متون في اللغة العربية)، دار ابن حزم، بيروت، 2005م.
7. الجارم علي ومصطفى أمين، النحو الواضح، الدار المصرية السعودية، القاهرة، 2004م.
8. الجرجاني، عبد القاهر، العوامل المائة النحوية، بشرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، تحقيق: البدراوي زهران، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.
9. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، التعريفات، تحقيق: محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004م.
10. الجلحوي، حسين علي، المنهاج التربوي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2010م.
11. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الرابعة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1990م.

12. الرماني، علي بن عيسى، رسالتان في اللغة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر، عمّان، 1984م.

13. الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، الطبعة السادسة، دار النفائس، بيروت، 1996م.

14. السليطي، ظبية سعيد، تدريس النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، 2002م.

15. السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م.

16. ضيف، شوقي، تجديد النحو، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، 1990م.

17. العقاد، عباس محمود، أشتات مجتمات في اللغة والأدب، الطبعة السادسة، دار المعارف، مصر، 1988م.

18. ابن عقيل، بهاء الدين، شرح ابن عقيل، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، الطبعة السادسة عشرة، دار الفكر، بيروت، 1974م.

19. عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، دار المعارف، مصر، 1971م.

20. القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 1982م.

21. اللبدي، محمد سمير، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، الطبعة الثالثة، دار الرسالة، ودار الفرقان، بيروت، 1988م.

22. ابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، الطبعة الأولى، هجر للطباعة والنشر، 1990م.

23. مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992م.

24. المطرزي، ناصر بن أبي المكارم، المصباح في علم النحو، تحقيق: ياسين محمود الخطيب، دار النفائس، بيروت، 1997م.

25. ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د. ط. ت.

26. ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، تقديم: إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001 م.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء
دراسة نحوية دلالية

أ.د. صادق يسلم العي *

ملخص:

أسلوب الاستفهام له قيمة جمالية يصبغها على النص لما يتميز به من قوة الظهور، وحسن الدلالة. وقد درس هذا البحث أثر أسلوب الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء، في مسعى منه إلى الإجابة عن تساؤل مركزي وهو: ما مدى أثر أسلوب الاستفهام في تحقيق مقاصد هذه السورة؟ فكان لزامًا الوقوف عند هذا الأسلوب بجمع الآيات المشتملة عليه، ودراستها. وخرجت من هذا البحث بنتيجة هي أن هذا الأسلوب قد حقق أربعة مقاصد في هذه السورة هي: الأول: بيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبيﷺ، واستقصاء مطاعنهم في القرآن الكريم. والثاني: إبطال الشرك والتنديد بأهله، وإقامة البراهين الكونية والعقلية على توحيد الله. والثالث: إقامة الحجة على المشركين بدلائل شواهد التاريخ وأحوال الأمم السابقة. والرابع: الدعوة إلى الإسلام، والإنذار بحلول وعيد الله. وقد جاء أسلوب الاستفهام في هذه السورة بنوعيه الحقيقي والمجازي للوصول إلى مقاصد السورة التي ذكرت.

الكلمات المفتاحية: الاستفهام، مقاصد، سورة الأنبياء.

* أستاذ النحو والصرف بجامعتي نجران وسيئون.

The Effect of Interrogation on Achieving the Purposes of Al-Anbiya Sura:

A Semantic Grammatical study

Dr. Sadeq Yaslam Alai

Abstract:

The interrogation style has an aesthetic value on the text that makes it has a distinguished appearance and good connotation. This research has studied the effect of interrogation method on achieving the aims in Al-Anbiya Sura. It seeks to answer the main question and what is effect of interrogation procedure to confirm the purpose of this chapter? It is necessary to stand on this method and collect verses that contain it, and study it. From this research, I came out with a valuable result. This procedure has confirmed four purposes in this Sura. First, statement the conditions to receive an advocating to the prophet peace be upon him and has investigated their criticism in holy Quran. The second is to put out the polytheism and denounce his family, and establish the evidence of universe and mental unification of Allah. The third is to set up the legal argument on polytheists with proofs of history and circumstances of ancient nations. Finally, the calling to Islam, and warning by the start of Allah's threat. The procedure question style has come in this Sura with two types actual and figurative to reach to the aims of the mentioned Sura.

Key Words; Interrogation, Purpose, Al-Anbiya Sura.

مقدمة:

النظر في كتاب الله عز وجل من أجل نعم الدنيا، فهو حياة الأرواح، وربيع القلوب، ونور العقول، وهو الكتاب الخالد الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، وما ذلك

إلا لتفرده في أساليبه التي من خلالها يتم تحقيق مقاصده. ومن هذه الأساليب المستعملة فيه هو أسلوب الاستفهام، الذي تكمن أهميته في الدور الذي يؤديه في عملية التواصل، ووظيفته التبليغية، وإذا كان التواصل لا يتم إلا عبر التخاطب، فإن الاستفهام أبرز أدوات التخاطب، ولما كان الاستفهام خطابًا فقد تنوعت أغراضه، إذ مع استعماله في حقيقته فهو يستخدم للتقرير، أو الانكار، أو التوبيخ، أو التعجب، أو الوعيد، أو التخويف، أو الأمر، أو النهي، أو التهكم، أو الاستبعاد، أو التهويل، أو التحقير، أو التنبيه على ضلال المخاطب، أو التمني، أو الاستبطاء، أو التعظيم، أو النفي، أو التكثير، أو التسوية. وأسلوب الاستفهام له قيمة جمالية يضيفها على النص لما يتميز به من قوة الظهور، وحسن الدلالة، والاستهلال بأسلوب الاستفهام راجع إلى أن التعبير بالاستفهام عن المعاني البلاغية التي يخرج إليها أبلغ منه بالإخبار المباشر، وأكثر قدرة على إيصال المعاني للمخاطبين. ولهذا يعد من أكثر الأساليب الإنشائية أهمية. ومن أجل ذلك كثر استخدامه في آيات الذكر الحكيم. وتأتي هذه الدراسة التي تحمل عنوان: (أثر الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء) محاولة لدراسة الأثر النحوي والدلالي لهذا الأسلوب في تحقيق مقاصد السورة.

ولذا انتظمت الدراسة في أربعة مباحث عبَّر كل مبحث عن مقصد من مقاصد السورة، وأخذ يتتبع أنماط الاستفهام في كل مقصد، وكيف استطاعت هذه الأنماط في تحقيق المعنى المراد، وإيضاح الدلالة المقصودة.

الدراسات السابقة:

يظهر أسلوب الاستفهام في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، وقد درسه بعض الباحثين الذين تنوعت مناهجهم في دراسة هذا الأسلوب، ومن هذه الدراسات:

1. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه. إعرابه. لعبدالكريم محمود يوسف، وهو كتاب مطبوع بدمشق، اقتصر فيه مؤلفه على ذكر الآية التي ورد فيها أسلوب الاستفهام، ثم يذكر غرضه، ويعرب أداة الاستفهام فقط.

2. بنية التشكيل الصوتي لأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، لتارا فائز سعيد. وهي رسالة مقدمة الى مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية بجامعة صلاح الدين كجزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية (2006م). وهي دراسة صوتية تتعلق بعلم الأصوات.

3. أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، لعبدالكريم السيد فودة، وهي رسالة ماجستير 1372هـ مسجلة بجامعة القاهرة.

4. أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، للدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود، وهي رسالة دكتوراة مسجلة بجامعة القاهرة.

ولكني لم أقف على دراسة ربطت الاستفهام بتحقيق المقاصد العامة لسورة بعينها.

مقاصد السورة:

سورة الأنبياء مكية إجماعاً، وآياتها مائة واثنتا عشرة في الكوفى، وإحدى عشرة في الباقين[1].

والموضوع الرئيس الذي تعالجه السور المكية هو موضوع العقيدة، فتعالجه في ميادينه الكبيرة: ميادين التوحيد، والرسالة والبعث. وسياق السورة يعالج ذلك الموضوع بعرض النواميس الكونية الكبرى وربط العقيدة بها. ومن ثم يجول بالناس.. بقلوبهم وأبصارهم وأفكارهم.. بين مجالي الكون الكبرى: السماء والأرض. الرواسي والفجاج. الليل والنهار. الشمس والقمر ... موجهًا أنظارهم إلى وحدة النواميس التي تحكمها وتصرفها، وإلى دلالة هذه الوحدة على وحدة الخالق المدبر، والمالك الذي لا شريك له في الملك. وكما أن العقيدة وثيقة الارتباط بنواميس الكون الكبرى، فكذلك ملابسات هذه العقيدة في الأرض. فالسنة التي لا تتخلف أن يغلب الحق في النهاية وأن يزهق الباطل، لأن الحق قاعدة كونية وغلبته سنة إلهية . ثم يستعرض السياق أمة الرسل الواحدة في سلسلة طويلة استعراضا سريعا. وفي هذا

الاستعراض تتجلى المعاني التي سبقت في سياق السورة. تتجلى. في صورة وقائع في حياة الرسل والدعوات، بعد ما تجلت في صورة قواعد عامة ونواميس[2].

وبناء على ما سبق يمكن أن نلخص أبرز مقاصد هذه السورة حيث جيء بأسلوب الاستفهام لتحقيقها هي:

1. بيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبيﷺ، وأذيتهم له.
2. وإبطال الشرك بإقامة البراهين الكونية والعقلية الدالة على توحيد الله.
3. وذكر قصص الأنبياء مع أممهم لإقامة الحجة على المشركين بدلائل شواهد التاريخ، وأحوال الأمم السابقة
4. الدعوة إلى الإسلام والانذار بحلول وعيد الله بالكفار[3].

فإذا ما بحثنا عن هذه المقاصد في المواضع التي ورد فيها أسلوب الاستفهام فهل سنجده حاضرًا في خدمة المعنى المراد ؟ الإجابة في المباحث الآتية.

المبحث الأول: أثر الاستفهام في بيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبي ﷺ، واستقصاء مطاعنهم في القرآن الكريم:

صُدرت السورة ببيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبي ﷺ بعدم تصديقه، والطعن فيه بكونه بشرًا تارة، وبكونه ساحرًا تارة أخرى، ووصفوا القرآن بأنه أضغاث أحلام، أو هو اختلاق اختلقه. ولما كان الحامل لهم على ذلك هو الكبر، والجحود فقد تفننوا في أذية النبيﷺ. وقد وظف أسلوب الاستفهام للإسهام في تحقيق هذا المقصد في ست آيات هذا بيانها:

1. قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[4].

الأداة المستخدمة للاستفهام هنا هي هل، وهي حرف استفهام تدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق الموجب، لا غير، نحو: هل قام زيد؟ وهل زيد قائم؟ فتساوي

الهمزة في ذلك[5]. والأصل أن توصل هل بفعل لفظًا أو تقديرًا نحو: هل يقدم هاشم من السفر؟ وهل هاشم يقدم من السفر؟ وذلك لاختصاصها بالتصديق، وتخليصها المضارع للاستقبال، فإن عدل عنها إلى الاسمية كان ذلك لنكتة تلاحظ لدى البلغاء، وهي جعل ما سيحصل كأنه حاصل موجود اهتمامًا بشأنه. ومن ثم كان قوله تعالى:﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[6] أدل على طلب شكر العباد من: أفأنتم شاكرون، فهل تشكرون، فهل أنتم تشكرون[7]. وقد دخلت هنا على الجملة الاسمية، وليس الغرض منها حقيقة الاستفهام، فليست لطلب التصديق، و إنما الغرض منها. كما يراه المفسرون. أحد ثلاثة أوجه: أولها أنه بمعنى النفي، فهو على معنى: ما هذا إلا بشر[8]. والثاني: أنه للاستفهام التعجبي، ففيه تعجب من قبل المشركين ممن يُصَدِّق النبيَّ ﷺ، أو كيف خص بالنبوة دونكم مع مماثلته لكم في البشرية[9]. والثالث: إنكاري يقتضي أنهم خاطبوا من قارب أن يُصدِّق بنبوة محمد ﷺ، أي: فكيف تؤمنون بنبوءته وهو أحد منكم[10]. ولا مانع من إرادة كل هذه المعاني، فالآية وإن كانت في ظاهرها تفيد الحصر بالنفي وإلاَّ فإن المقصود هو إنكار المشركين وتعجبهم من دعوة النبيﷺ وممن أراد أن يصدقه، فما يجد المشركون مناسبة إلا ويتهجموا على الرسولﷺ ليصدوا الناس عما جاء به.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يحتمل وجوها: أنه في حيز النصب على أنه مفعول لقول مضمر بعد الموصول وصلته هو جواب عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل: ماذا قالوا في نجواهم؟ فقيل: قالوا هذا إلخ[11]، أو بدل من أَسَرُّوا[12]. أو معطوف عليه، على تقدير: وأسروا النجوى وقالوا هذا الكلام[13]. وقيل: حال أي: قائلين هل هذا إلخ وهو مفعول لقول مضمر قبل الموصول[14]، وقيل مفعول للنجوى نفسها[15]؛ لأنها في معنى القول والمصدر المعرف يجوِّز إعماله الخليل، وسيبويه[16]، وقيل بدل من النجوى[17]، أي أسروا هذا الحديث. والقول الأول أولى؛ لأنه وواضح من السياق أنه حكاية قول المشركين. وقد قصد الأسلوب

القرآني هنا بيان صورة المشركين حين يتناجون فيما بينهم، وأن غاية ما يعترضون به على رسالة الإسلام: أن رسولها الذي أرسل ليبلغها بشر. وجاء أسلوب الاستفهام لأداء هذا المقصد.

2. قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[18].

والأداة المستخدمة في الاستفهام هنا هي الهمزة، وهي أم باب الاستفهام[19]، ولها صدر الكلام كما لغيرها من أدوات الاستفهام، وهي حرف مشترك: يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب التصديق، نحو: أزيد قائم؟ أو التصور، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ وتساويها هل في طلب التصديق الموجب، لا غير[20]. والهمزة أعم، وهي أصل أدوات الاستفهام[21].

ولأصالتها استأثرت بأمور، منها تمام التصدير بتقديمها على الفاء والواو وثم، في نحو:﴿أَفَلا تَعْقِلُون﴾[22]، ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا﴾[23]،﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَع[24]﴾، وفي هذه الآية: ﴿أَفَتَأْتُونَ﴾ وكان الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنها من الجملة المعطوفة. لكن راعوا أصالة الهمزة، في استحقاق التصدير، فقدموها بخلاف هل وسائر أدوات الاستفهام. هذا مذهب الجمهور[25]. والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام[26].

والاستفهام في الهمزة هنا ليس على حقيقته، وإنما هو إنكاري[27]، ويمكن أن يحتمل الاستفهام معنى التوبيخ[28]. و جاء نمط الجملة الاستفهامية هنا جملة فعلية، فقد دخلت الهمزة على فعل، وهي الأصل في الاستفهام، أي خصوصية الفعل بهل دون الاسم[29]، وفيها تصوير لحركة إتيانهم السحر؛ إذ الجملة الفعلية تدل على الحركة، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ حال من فاعل تأتون مقررة للإنكار مؤكدة للاستبعاد، مرسخة لتصوير حركة إتيانهم. وأطلق الإتيان على القبول والمتابعة على طريق المجاز أو الاستعارة؛ لأن الإتيان لشيء يقتضي الرغبة فيه[30]. وهذه الجملة من الآية معطوفة على ما قبلها، وهي جزء من تناجي المشركين مع بعضهم، إذ يزعمون أن من يستمع للنبي ﷺ فقد أتى السحر راغبًا فيه، مستسلمًا له. واستعمل أسلوب الاستفهام لتصوير هذا التناجي.

3. قوله تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾[31].

وقد جاء ليرد على أكاذيب المشركين حول دعوة النبي ﷺ، واستبعاد إيمانهم حين طلبوا المعجزات الدالة على صدق دعوته فكان الجواب هذه الآية.

فأداة الاستفهام هي الهمزة، وقد دخلت على جملة اسمية خبرها جملة فعلية. كل ذلك ليقرر بُعْد إيمانهم حين طلبوا المعجزات. فإيمان هؤلاء بعيد لا مطمع فيه نظرًا لجحودهم، وافترائهم. فهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها، فلما جاءتهم نكثوا أو خالفوا، فأهلكهم الله. فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث[32].

وفرعت جملة ﴿أفهم يؤمنون﴾ على جملة ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾ مقترنة باستفهام الإنكار[33]، أي إنكار الوقوع، أي: فهم لا يؤمنون لو أتيناهم بآية كما اقترحوا كما لم يؤمن الذين من قبلهم الذين جعلوهم مثالًا في قولهم: ﴿كما أرسل الأولون﴾[34]، وهذا أخذ لهم بلازم قولهم[35].

4. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[36].

وقد جاء ليدلل على حجية القرآن وأنه هو المعجزة الواضحة للنبيﷺ. وهذه الآية استئناف جواب عن قولهم: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأولون﴾[37]. فالآية مستأنفة مسوقة لتحقيق حقيقة القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة إعراض الناس عما يأتيهم من آياته، واستهزاؤهم به، واضطرابهم في أمره، وبيان علو مرتبته إثر تحقيق رسالته ﷺ[38]، وذلك بإيقاظهم إلى أن الآية التي جاءتهم هي أعظم من الآيات التي أُرسل بها الأولون. ولقصد هذا الإيقاظ صُدِّرت الجملة بما يفيد التحقيق من لام القسم وحرف التحقيق، وجُعِل إنزال الكتاب إليهم كما اقتضته تعدية فِعْل (أنزلنا) بحرف (إلى) شأن تعدية فعل الإنزال أن يكون المجرور بـ (إلى) هو المنزل إليه فجعل الإنزال إليهم لكونهم بمنزلة من أنزل إليه نظرًا إلى أن الإنزال كان

لأجلهم ودعوتهم. وذلك أبلغ من أن يقال: لقد أنزلنا لكم. وتنكير (كتابًا) للتعظيم إيماء إلى أنه جمع خصلتين عظيمتين: كونه كتاب هدى، وكونه آية ومعجزة للرسولﷺ، لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله أو مدانيه[39]. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير التفخيمي من كونه جليل القدر بأنه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة[40]. والذكر: يحتمل أن يكون في الذكر الذي أنزله الله تعالى إليكم بأمر دينكم وآخرتكم ونجاتكم من عذابه، فأضاف الذكر إليهم حيث هو في أمرهم ويحتمل أن يريد فيه شرفكم [41].

وعلى المعنيين يكون لتفريع قوله تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾ أحسن موقع؛ لأن الاستفهام الإنكاري لنفي عقلهم متجه على كلا المعنيين فإن من جاءه ما به هديه فلم يهتد ينكر عليه سوء عقله، ومن جاءه ما به مجده وشرفه وسمعته فلم يَعْبأ به ينكر عليه سوء قدره للأمور حق قدرها.

5. قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (34)﴾[42].

عنيت الآيات من أول السورة باستقصاء مطاعن المشركين في القرآن ومن جاء به. وكان من جملة أمانيهم لما أعياهم اختلاق المطاعن أن كانوا يتمنون موتهﷺ، أو يرجونه أو يدبرونه قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾[43] ، وهنا قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾.

دَخَلَتْ همزةُ الاستفهامِ على جملةِ الشرطِ. والجملةُ المقترنةُ بالفاءِ جوابُ الشرطِ، وليسَتْ مَصَبَّ الاستفهامِ[44]، هذا مذهب سيبويه[45] فهو يرى أنه إذا اجتمع شرطٌ واستفهام أُجيب الشرطُ. قال الأخفش: «حرف الاستفهام قد وقع على (إِنْ) فلا يحتاج خبره إلى الاستفهام؛ لأن خبرها مثل خبر الابتداء. ألا ترى أنك تقول: أَزَيْدٌ حَسَنٌ ولا تقول: أَزَيْدٌ أَحَسَنٌ، وقال الله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ ولم يقل (أَهُمُ الْخالِدُنَ) لأنه جواب المجازاة»[46]. والفاء

دخلت عَلَى جوابَ الجزاء، كما تدخل في قولك: إنْ زُرْتني فأنا أخوك، ودخلت الفَاءُ على (هم) لأنها جواب (إنْ)[47]. ورأى يونس[48] أنَّ الاستفهامَ مُنْصَبٌّ على الجملةِ المقترنةِ بالفاء، وأنَّ الشرطَ معترضٌ بين الاستفهامِ وبينَها، وجوابه محذوف. وبناء على قوله فهمزة الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط وقدمت في أول الجملة لأن الاستفهام له صدر الكلام والتقدير: أفهم الْخَالِدُونَ إن مت. وقال بهذا القول من المفسرين ابن عطية[49]. وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه إذ لو كان على ما زعم يونس لكان التركيب: أفإن مت هم الخالدون بغير فاء[50].

والغرض من الاستفهام هنا هو الإنكار[51]؛ إذ لما كان تمنيهم موته وتربصهم به ريب المنون يقتضي أن الذين تمنوا ذلك وتربصوا به كأنهم واثقون بأنهم يموتون بعده فتتم شماتتهم، أو كأنهم لا يموتون أبدًا فلا يشمت بهم أحد، وجه إليهم استفهام الإنكار على طريقة التعريض بتنزيلهم منزلة من يزعم أنهم خالدون[52].

وسبب نزول هذه الآية حين قال مشركو مكة: نَتَرَبَّصُ بِمُحَمَّدٍ رَيْبَ الْمَنُونِ[53]. وكانوا يقدّرون أنه سيموت فيشمتون بموته، فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا، أي: قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرًا، فلا أنت ولا هم إلا عرضة للموت. فإذا كان الأمر كذلك فإن مت أنت أيبقى هؤلاء؟ وفي معناه قول القائل[54]:

فَقُل للشّامتين بنا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشّامتون كما لقينا

وفي الآية إيماء إلى أن الذين لم يقدر الله لهم الإسلام ممن قالوا ذلك القول سيموتون قبل موت النبي عليه الصلاة والسلام فلا يشمتون به. ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ طريقة القول بالموجب، أي أنك تموت كما قالوا ولكنهم لا يرون ذلك . فالتفريع كان على ما في الجملة الأولى من القول بالموجب، أي ما هم بخالدين حتى يوقنوا أنهم يرون موتك. وفي الإنكار الذي هو في معنى النفي إنذار لهم بأنهم لا يرى موته منهم أحد[55].

6. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (36)﴾[56].

هذا وصف آخر لما يؤذي به المشركون رسول اللهﷺ حين يرونه فهو أخص من أذاهم إياه في مغيبه، فإذا رأوه يقول بعضهم لبعض: أهذا الذي يذكر آلهتكم.

حرف الاستفهام الهمزة دخل على جملة اسمية، ليدل على الثبوت والحالة الدائمة للمشركين حين يروا النبيﷺ، والغرض من الاستفهام هنا الانكار، والسخرية، والتعجب[57]، وهو إنكار ثابت من قبل المشركين، ففيه تصوير لحالهم الدائمة مع النبي ﷺ، فلا يلاقونه إلا وهم منكرون عليه، ساخرون منه، قائلون: أهذا الذي يعيب آلهتكم، على سبيل السخرية والاستهزاء. واسم الإشارة مستعمل في التحقير، بقرينة الاستهزاء.

والهُزُؤ مصدر هزأ به، إذا جعله للعبث والتفكه. والهُزُؤ: السُّخْرِيةُ[58]. ومعنى اتخاذه هزؤًا أنهم يجعلونه مستهزأ به فهذا من الإخبار بالمصدر للمبالغة، أو هو مصدر بمعنى المفعول كالخلق بمعنى المخلوق[59].

وجملة ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴾ مبينة لجملة ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ فهي في معنى قول محذوف؛ لأن الاستهزاء يكون بالكلام. وكلامهم مسوق مساق الغيظ والغضب، ولذلك أعقبه الله بجملة الحال وهي ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [60] أي: يعيبون عليه ذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء، مع أنهم بذكر الرحمن الذي هو المنعم الخالق المحيي المميت كافرون ولا فعل أقبح من ذلك، فيكون الهزء واللعب والذم عليهم يعود من حيث لا يشعرون، ويحتمل أن يراد بذكر الرحمن القرآن والكتب. والمعنى في إعادة (هم) أن الأولى إشارة إلى القوم الذين كانوا يفعلون ذلك الفعل، والثانية إبانة لاختصاصهم به، وأيضا فإن في إعادتها تأكيدا وتعظيما لفعلهم[61].

وفي جواب (إذا) قولان، أحدهما: أنه (إنْ) النافيةُ، فهي وما في حَيِّزها جوابُ الشرط. والثاني: أنه محذوفٌ، وهو القولُ الذي قد حكى به الجملةَ الاستفهاميةَ في قوله: ﴿أهذا الذي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ إذ التقديرُ: وإذا رآك الذين كفروا يقولونَ: أهذا الذي. وتكونُ الجملةُ المنفيةُ معترضةً بين الشرطِ وبين جوابِهِ المقدَّرِ[62]. والسياق يرجح القول الأول فما يرى الكفارُ الرسولَ ﷺ إلا سخروا منه قائلين: أهذا الذي يذكر آلهتكم، فجملة: (يقولون: أهذا الذي) حالية.

7. قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (39) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (40)﴾.

اسم الاستفهام الذي ورد في هذه الآية هو متى، وهو اسم مبني للسؤال عن الزمان يغني عن جميع أسماء الزمان فقولنا: متى السفر؟ يغني عن قولنا: أيوم الجمعة السفر أم يوم السبت، أم شهر كذا؟ أم سنة كذا؟ فهي في الزمان بمنزلة أين في المكان[63]. قال سيبويه: «وأمّا متى فإِنَّما تريد بها أن يوُقِّتَ لك وقتًا ولا تريد بها عددًا، فإنما الجوابُ فيه: اليومَ أو يومَ كذا، أو شهرَ كذا أو سنَة كذا، أو الآنَ، أو حينَئذٍ وأَشباهُ هذا»[64]. وتستعمل في الاستفهام عن الزمان ماضيًا كان أو مستقبلاً، قال أبو حيان: «أما (متى) فلتعميم الأزمنة، ولا تفارق الظرفية فتكون شرطًا نحو: متى تقم أقم، ولا تهمل حملاً على إذا، خلافًا لزاعم ذلك، واستفهامًا نحو: متى القيام فتكون خبرًا، ويليها الماضي والمستقبل»[65].

وقد دخلت هنا على جملة اسمية، والغرض من الاستفهام هنا التهكم[66]، و الهزء والتكذيب[67]، والاستهانة[68]، والانكار[69]. وهم يعنون وعد يوم القيامة[70]. وكانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى العلم والإقرار وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ، فأراد نهيهم

عن الاستعجال وزجرهم، فقدم أولًا ذم الإنسان على إفراط العجلة، وأنه مطبوع عليها، ثم نهاهم وزجرهم، كأنه قال: ليس ببدع منكم أن تستعجلوا فإنكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم[71].

ثم إنه سبحانه ذكر في رفع هذا الحزن عن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهين:

الأول: بأنْ بيَّن ما لصاحب هذا الاستهزاء من العقاب الشديد[72] فقال: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (39)﴾. وجملة ﴿لو يعلم الذين كفروا﴾ مستأنفة للبيان؛ لأن المسلمين يترقبون من حكاية جملة ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ . ماذا يكون جوابهم عن تهكمهم. وحاصل الجواب أنه واقع لا محالة ولا سبيل إلى إنكاره[73].

وجواب لو محذوف[74]، وحين مفعول به ليعلم، أي: لو يعلمون الوقت الذي يسألون عنه بقولهم: متى هذا الوعد، وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من قدام ومن خلف، فلا يقدرون على دفعها عن أنفسهم، ولا يجدون أيضًا ناصرًا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم. وإنما حسن حذف الجواب لأن ما تقدم يدل عليه. وهذا أبلغ[75]. وإنما خص الوجوه والظهور لأن مس العذاب لهما أعظم موقعًا، ولكثرة ما يستعمل ذكرهما في دفع المضرة عن النفس[76].

الوجه الثاني: في دفع الحزن عن قلب رسوله في قوله: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10)﴾[77] والمعنى: ولقد استهزئ برسل من قبلك يا محمد كما استهزأ بك قومك فحاق أي نزل وأحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن أي عقوبة استهزائهم وحاق وحق بمعنى. وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم[78].

المبحث الثاني: أثر الاستفهام في إبطال الشرك والتنديد بأهله، وإقامة البراهين الكونية والعقلية على توحيد الله

ندد الله بالمشركين الذين اتخذوا لهم آلهة من الأرض، أي من عالم الأرض، أو مأخوذة من أجزاء الأرض، وما كان كذلك لا يستحق أن يكون معبودًا، ثم عرض سبحانه لانتظام هذا الكون، فلو كان فيه آلهة متعددة لتعارضت الإرادات، و لأدى ذلك إلى فساد الكون. ثم كرر سبحانه موضوع اتخاذ المشركين آلهة لهم استفظاعًا لفعلهم، وتشنيعًا عليهم؛ لأنهم اتخذوها من غير حجة. وهكذا عرض سبحانه وتعالى من الدلائل الكونية والعقلية الدالة على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات، ما يدل على أنه هو المستقل بالخلق، المستبد بالتدبير، الذي لا إله غيره. فكيف يليق أن يعبد غيره أو يشرك به ما سواه. وقد وظف أسلوب الاستفهام للإسهام في تحقيق هذا المقصد في سبع آيات هذا بيانها:

1. قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)﴾[79].

هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة، قد آذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها[80]. ومذهب سيبويه أنها بمنزلة بل مع ألف الاستفهام، قال في باب (تبيان أم لِمَ دخلت على حروف الاستفهام ولم تدخل على الألف): «تقول: أم مَنْ تقول، أم هل تقول، ولا تقول: أم أتقول؟ وذاك لأن أم بمنزلة الألف»[81]. فهي عاطفة الجملة على الجملة عطف إضراب انتقالي هو انتقال من إثبات صدق الرسول ﷺ، وحجية دلالة القرآن إلى إبطال الإشراك، والتنديد بأهله. و (أم) تؤذن بأن الكلام بعدها مسوق مساق الاستفهام وهو استفهام إنكاري، أنكر عليهم اتخاذهم آلهة[82]. ويمكن أن يكون للتوبيخ، ففيه توبيخ لهم على عبادتهم جمادًا من

الأرض، لا يقدر على شيء[83]. ويمكن أن تكون للتقرير والتوقيف؛ بمعنى: هل اتَّخَذُوا آلِهَةً يحيون ويخترعون، أي ليست آلهتكم كذلك فهي غير آلهة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة[84]. ووصف الآلهة بأنها من الأرض تهكم بالمشركين، وإظهار لأفن رأيهم، أي جعلوا لأنفسهم آلهة من عالم الأرض، أو مأخوذة من أجزاء الأرض من حجارة أو خشب، تعريضًا بأن ما كان مثل ذلك لا يستحق أن يكون معبودًا. وجملة (هم ينشرون) صفة ثانية لـ(آلهة)[85]. واقترانها بضمير الفصل يفيد التخصيص أن لا ينشر غير تلك الآلهة. والمراد: إنشار الأموات، أي بعثهم. وهذا مسوق للتهكم وإدماج لإثبات البعث بطريقة سوق المعلوم مساق غيره المسمى بتجاهل العارف، إذ أبرز تكذيبهم بالبعث الذي أخبرهم الله على لسان محمد ﷺ في صورة تكذيبهم استطاعة الله ذلك وعجزه عنه، أي أن الأولى بالقدرة على البعث شركاؤهم فكان وقوع البعث أمر لا ينبغي النزاع فيه فإن نازع فيه المنازعون فإنما ينازعون في نسبته إلى الله ويرومون بذلك نسبته إلى شركائهم فأنكرت عليهم هذه النسبة على هذه الطريقة المفعمة بالنكت، والمشركون لم يدعوا لآلهتهم أنها تبعث الموتى ولا هم معترفون بوقوع البعث ولكن نزلوا منزلة من يزعم ذلك إبداعًا في الإلزام. ونظيره قوله تعالى ﴿أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ومَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُون﴾[86] [87].

ثم بين تعالى أمر التمانع بقوله: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا﴾ وذلك بأنه كان يبغي بعضهم على بعض ويذهب بما خلق، واقتضاب القول في هذا أن الإلهين لو فرضا فوقع بينهما الاختلاف في تحريك جرم وتسكينه فمحال أن تتم الإرادتان ومحال أن لا تتم جميعًا، وإذا تمت الواحدة كان صاحب الأخرى عاجزًا، وهذا ليس بإله، وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما. ثم وصف نفسه تعالى بأنه ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ وهذا وصف يحتمل معنيين: إما أن يريد أنه بحق ملكه وسلطانه لا يعارض ولا يسأل عن شيء يفعله؛ إذ له أن يفعل في ملكه ما يشاء، وإما أن يريد أنه محكم الأفعال واضع كل شيء موضعه فليس في أفعاله موضع سؤال ولا

اعتراض، وهؤلاء من البشر يسألون لهاتين العلتين لأنهم ليسوا مالكين، ولأنهم في أفعالهم خلل كثير[88]. ومجمل القول أن الآية صدرت بالاستفهام للإنكار على المشركين، وتوبيخهم على اتخاذهم آلهة مخلوقة لهم، لا تستطيع فعل شيء من أفعال الله، وكفى بهذا تنديدًا بفعلهم القبيح هذا.

2. قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24)﴾[89].

وهذا استفهام إنكار وتوبيخ[90]. وجملة ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ تأكيد لجملة ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ﴾[91]. كرره استعظاماً لكفرهم، واستفظاعاً لأمرهم، وتبكيتاً وإظهاراً لجهلهم، أو ضماً لإنكار ما يكون لهم سنداً من النقل إلى إنكار ما يكون لهم دليلاً من العقل[92]. فلقن الله رسوله ﷺ أن يقول: هاتوا برهانكم أي: هاتوا دليلاً على أن لله شركاء من شواهد الشرائع والرسل. أي أن كتب الذكر أي الكتب الدينية في متناول الناس فانظروا هل تجدون في أحد منها أن لله شركاء وأن الله أذن باتخاذهم آلهة[93]. وما في إضافة البرهان إلى ضميرهم من الإشعار بأن لهم برهانًا ضربٌ من التهكم بهم[94].

ثم قال سبحانه:﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ وذلك أنه سبحانه لما ذكر دليل التوحيد وطالبهم بالدلالة على ما ادعوه وبين أنه لا دليل لهم البتة عليه لا من جهة العقل ولا من جهة السمع، ذكر بعده أن وقوعهم في هذا المذهب الباطل ليس لأجل دليل ساقهم إليه، بل ذلك لأن عندهم ما هو أصل الشر والفساد كله وهو عدم العلم، ثم ترتب على عدم العلم الإعراض عن استماع الحق وطلبه[95].

3. قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[96]

قرأ الجمهور أولم- بواو بعد الهمزة- وهي واو العطف، فالجملة معطوفة عطف الاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول وما فيه من العجائب. وقرأ ابن كثير: ﴿ ألم ير﴾ بدون واو عطف(97).

وعلى القراءة الأولى تقدم حرف الاستفهام على حرف العطف؛ لأن له الصدارة، ودخل على جملة فعلية فعلها مضارع لأن هذا الدليل ماثل في الزمن الحالي تراه العقول والعيون. فالفعل (يرى) يمكن أن يكون للرؤية البصرية، ويمكن أن يكون للرؤية العلمية، والاستفهام صالح لأن يتوجه إلى كلتيهما لأن إهمال النظر في المشاهدات الدالة على علم ما ينقذ علمه من التورط في العقائد الضالة حقيق بالإنكار، وإنكار إعمال الفكر في دلالة الأشياء على لوازمها حتى لا يقع أحد في الضلال جدير أيضًا بالإنكار أو بالتقرير المشوب بإنكار(98).

والاستفهام على كلتا القراءتين إنكاري، توجه الإنكار على إهمالهم للنظر(99)، وتجهيل لهم بتقصيرهم عن التدبر في الآيات الكونية الدالة على عظيم قدرته وتصرفه، وكون جميع ما سواه مقهورًا تحت ملكوته على وجه ينتفعون به ويعلمون أن من كان كذلك لا ينبغي أن يعدل عن عبادته إلى عبادة حجر أو نحوه مما لا يضر ولا ينفع(100). أو هو لتوبيخ الكفار وتقريعهم، حيث يشاهدون غرائب صنع الله وعجائبه، ومع هذا يعبدون من دونه ما لا ينفع من عَبَدَهُ، ولا يضر مَنْ عصاه، ولا يقدر على شيء(101).

وَإِنَّمَا قَالَ: رَتْقاً عَلَى التَّوْحِيدِ وَهُوَ من نعت السماوات وَالْأَرْضِ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ وُضِعَ مَوْضِعَ الِاسْمِ، مِثْلَ الزَّوْرِ وَالصَّوْمِ وَنَحْوِهِمَا(102).

قال الزمخشري: «فإن قلت: متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه، فقام مقام المرئيّ المشاهد. والثاني: أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل، فلا بدّ للتباين دون

التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه»[103]. وعلى جميع التقادير فالمقصود من ذلك الاستدلال على أن الذي خلق السماوات والأرض وأنشأهما بعد العدم قادر على أن يخلق الخلق بعد انعدامه قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[104].

واختلف المفسرون في المراد من الرتق والفتق على أقوال: أحدها: وهو قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير، ورواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم أن المعنى: كانتا شيئًا واحدًا ملتزقتين ففصل الله بينهما، ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض. وثانيها: وهو قول أبي صالح ومجاهد أن المعنى: كانت السموات مرتتقة فجعلت سبع سموات، وكذلك الأرضون. وثالثها: وهو قول ابن عباس والحسن وأكثر المفسرين أن السموات والأرض كانتا رتقًا بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات والشجر، ونظيره قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع﴾[105]. ورابعها: قول أبي مسلم الأصفهاني: يجوز أن يراد بالفتق الإيجاد والإظهار[106]. والذي يبدو أن القول الثالث هو الراجح لقوله بعد ذلك: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ، وذلك لا يليق إلا وللماء تعلق بما تقدم ولا يكون كذلك إلا إذا كان المراد ما ذُكِر.

4. قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ (30)﴾[107].

وحرف الاستفهام هنا هو الهمزة، وجاء متصدرًا على حرف العطف، والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الإنكار أي: أيعلمون ذلك فلا يؤمنون. ولا النافية، ثم الفعل المضارع الدالان على الحالية والاستمرار. وجاء الاستفهام هنا بعد أن وجههم إلى وحدة مصدر الحياة، وتقريرها أن الماء هو مهد الحياة الأول. ثم فرع عليه ﴿أفلا يؤمنون﴾ إنكارًا عليهم[108]، وتبكيتًا لهم[109] مستمرًا دائمًا؛ لعدم إيمانهم الإيمان الذي دعاهم إليه محمد ﷺ، وهو الإيمان بوحدانية الله، وفيه

تبكيت لهم. فمنذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا كان القرآن الكريم يوجه أنظار الكفار إلى عجائب صنع الله في الكون، ويستنكر ألا يؤمنوا بها وهم يرونها مبثوثة في الوجود:﴿أَفَلا يُؤْمِنُونَ؟﴾ وكل ما حولهم في الكون يقود إلى الإيمان بالخالق المدبر الحكيم؟

5. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (42)﴾[110].

مَنْ اسم استفهام للعاقل، قال سيبويه «وهي للمسألة عن الأناسي، ويكون بها الجزاء للأناسي، ويكون بمنزلة الذي للأناسي»[111]. وقد أشار السكاكي إلى أنها للسؤال عن الجنس من ذوي العلم تقول: مَنْ جبريل؟ بمعنى: أبشرٌ هو أم مَلَكٌ أم جنيٌّ؟ وكذا: من إبليس؟ ومن فلان؟[112]. وقد دخلت هنا على فعل مضارع لتدل على الاستمرار، فالله هو الحافظ في كل وقت، ولكن الغرض من الاستفهام هنا هو الإنكار[113]، والتقريع[114]، والتوبيخ[115]، والمعنى: من يحفظكم مما يريد الرحمن إنزاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة؟ أي: لا أحد يفعل ذلك، فكيف تجهلون؟ والمعنى فيه أيضًا تهديد، وإقامة حجة، لأنهم لو أجابوا عن هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ[116]. ثم جيء بالإضراب بقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾، وهو ارتقاء من التقريع المجعول للإصلاح إلى التأييس من صلاحهم بأنهم عن ذكر ربهم معرضون فلا يرجى منهم الانتفاع بالقوارع، أي أَخِّرَ السؤال والتقريع، واتركهم حتى إذا تورطوا في العذاب عرفوا أن لا كالىء لهم[117].

6. قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (43)﴾[118].

وهي (أم) المنقطعة التي هي أخت (بل) مع دلالتها على الاستفهام. ومذهب سيبويه أنها بمنزلة بل مع ألف الاستفهام[119] كما سبق. ويرى بعضهم أن الميم صلة يعني: أَلَهُمْ آلهةٌ

تكلؤهم من دوننا تمنعهم[120]. والاستفهام للنفي والإنكار والتقريع[121]، أي: ما لهم آلهة مانعة لهم من دوننا. وهذا إبطال لمعتقدهم أنهم اتخذوا الأصنام شفعاء.

وجملة ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ مستأنفة معترضة[122]. وضمير يستطيعون عائد إلى آلهة أجري عليهم ضمير العقلاء مجاراة لما يجريه العرب في كلامهم. والمعنى: كيف ينصرونهم وهم لا يستطيعون نصر أنفسهم، ولا هم مؤيدون من الله بالقبول[123]. وفي معنى يُصْحبون أي أنها لا تصحب من الله بخير، أو على معنى: ولا هم منا ينصرون[124].

7. قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (44)﴾[125].

وحرف الاستفهام هنا هو الهمزة في الموضعين. وهي في الموضع الأول دخلت على فعل قلبي ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ﴾ ، والجملة بعده في تأويل مصدر سدت مسد معموليه. والغرض من الاستفهام هنا التعجب[126] من عدم اهتدائهم إلى أمارات اقتران الوعد بالموعود استدلالًا على قربه بحصول أماراته. أي اعجبوا من عدم اهتدائهم إلى نقصان أرضهم من أطرافها، وأن ذلك من صنع الله تعالى. والمعنى: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد ﷺ الآيات المستعجلو بالعذاب، أنا نأتي الأرض نخرّبها من نواحيها بقهرنا أهلها، وغلبتنا لهم، وإجلاؤهم عنها، وقتلهم بالسيوف، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به، ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف[127].

ثم وبخهم وأنّبهم على غفلتهم عن الحق بعد وضوحه فقال:﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ وهو الموضع الثاني من موضعي الاستفهام، وهو هنا بمعنى التوبيخ[128]، والتقرير والتقريع، والمعنى: بل نحن الغالبون وهم المغلوبون[129]. ويمكن أن يكون الاستفهام إنكاريًا، أي فكيف يحسبون أنهم غلبوا المسلمين وتمكنوا من الحجة عليهم[130]. واختيار الجملة الاسمية في

قوله تعالى: ﴿أفهم الغالبون﴾ دون الفعلية لدلالتها بتعريف جزأيها على القصر، أي ما هم الغالبون بل المسلمون الغالبون، إذ لو كان المشركون الغالبين لما كان عددهم في تناقص، ولما خلت بلدتهم من عدد كثير منهم.

المبحث الثالث: أثر الاستفهام في إقامة الحجة على المشركين بدلائل شواهد التاريخ وأحوال الأمم السابقة

جاءت قصص الأنبياء مع قومهم في هذه السورة للتدليل على أن الرسالة السماوية لم يتفرد بها النبي محمد ﷺ بل هي رسالة إبراهيم، وموسى، وداود وغيرهم. وقد وظف أسلوب الاستفهام للإسهام في تحقيق هذا المقصد في ثمان آيات هذا بيانها:

1. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[131].

وابْتُدئ بذكر موسى وأخيه مع قومهما لأن أخبار ذلك مسطورة في كتاب موجود عند أهله يعرفهم العرب، ولأن أثر إتيان موسى عليه السلام بالشريعة هو أوسع أثر لإقامة نظام أمة يلي عظمة شريعة الإسلام. وافتتاح القصة بلام القسم المفيدة للتأكيد لتنزيل المشركين في جهل بعضهم بذلك وذهول بعضهم عنه وتناسي بعضهم إياه منزلة من ينكر تلك القصة. ومحل التنظير في هذه القصة هو تأييد الرسول ﷺ بكتاب مبين، وتلقي القوم ذلك الكتاب بالإعراض والتكذيب[132]، ولهذا جاء الاستفهام بقوله: ﴿أفأنتم له منكرون﴾ وقد دخلت همزة الاستفهام على جملة اسمية لجعل المسند اسمًا دالًا على الاتصاف في زمن الحال، وجعل الجملة دالة على الثبات في الوصف؛ وذلك لكون إنكارهم للقرآن حاصلاً في حال الخطاب. والمقصود من هذا الاستفهام التقرير والتوبيخ للمشركين الذين أنكروه[133]. وقد جاء ذكر القرآن عقب سياق أن

موسى وهارون أوتيا الفرقان الذي هو ضياء وذكر للمتقين المؤمنين، وقد عقب هذا التعريض بذكر المقصود من سوق الكلام الناشئ هو عنه، وهو المقابلة بقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ .

2. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) ﴾[134].

أعقبت قصة موسى وهارون بقصة إبراهيم فيما أوحي إليه من مقاومة الشرك ووضوح الحجة على بطلانه، لأن إبراهيم كان هو المثل الأول قبل مجيء الإسلام في مقاومة الشرك إذ قاومه بالحجة وبالقوة وبإعلان التوحيد. فكانت قصة إبراهيم مع قومه شاهدا على بطلان الشرك الذي كان مماثلا لحال المشركين بمكة الذين جاء محمد صلى الله عليه وسلم لقطع دابره.

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾، وأداة الاستفهام هي: ما. قال سيبويه: «مبهمة تقع على كل شيء»[135]. وهي في الغالب، لما لا يعلم، وقد جاء في العالم قليلاً[136]. وإنما يسأل بها عن الأجناس والنعوت، تقول: ما هذا الشيء؟ فيقال: إنسانٌ أو حمارٌ أو ذهَبٌ أو فِضَّةٌ. وتسأل بها عن الصفات، فتقول: ما زيدٌ؟ فيقال: الطويلُ والقصيرُ، وما أشبه ذلك. فإن جعلت الصفة في موضع الموصوف على العموم جاز أن تقع على مَن يعقلُ. ومن كلام العرب: سبحانَ ما سبحَ الرعدُ بحمدهِ[137]. والغرض من الاستفهام هنا في قوله: ﴿ما هذِهِ التَّماثِيلُ﴾ تجاهل لهم وتغاب، ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها[138]. والاستفهام منصب على سؤاله عن هذه الأصنام التي عكفوا عليها يعظمونها، ويعبدونها، وهو يتضمن أولًا الاستهانة بها وتحقيرها بالإشارة؛ لأن الإشارة تتضمن أنها حجارة محسوسة لَا تضر ولا تنفع، ويتضمن ثانيًا استنكار العكوف عليها وعبادتها، والاستفهام ليس عن الماهية، بل عن أوصافها، وتنبيه إلى أنها لَا تضر، ولا مسوغ لعبادتها؛ لأنها

ليس فيها صفات الألوهية التي توجب العبادة[139]. واختياره لكلمة (التماثيل) تحقير لشأنها، وتوبيخ على إجلالها، فإن التمثال صورة لا روح فيها لا يضر ولا ينفع[140]. فلم يجدوا جواباً إلا اعترافهم بأنها تماثيل مصورة منحوتة، والتماثيل ما جُعِل من الصور مثالاً لغيره ونحي به نحوه، فأقروا بالعجز عن جواب مقنع، واستشعروا ما يلزمهم في عبادة ما يصنعونه بأيديهم، وتقدم وجودهم وجوده، فرجعوا إلى التقليد[141]. وفي خطابه لهم بقوله: أنتم استهانة بهم، وتوقيف على سوء صنيعهم[142].

3. قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ (55)﴾[143].

وحرف الاستفهام دخل على جملة فعلية وهو استفهام الغرض منه التعجب والاستبعاد[144] حيث قالوا: أجَدٌّ هذا القول منك أم لعبٌ يا إبراهيم؟[145]؛ وذلك ولإنكارهم أن يكون ما عليه آباؤهم ضلالًا، وإيقانهم أن آباءهم على الحق، شكوا في حال إبراهيم أنطق عن جد منه وأن ذلك اعتقاده فقالوا: ﴿أجئتنا بالحق﴾[146]. فبقوا متعجبين من تضليله إياهم، وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة، لا على طريق الجدّ، فقالوا له: هذا الذي جئتنا به، أهو جدّ وحق، أم لعب وهزل؟[147]. ويمكن أن يكون الاستفهام استعظاماً منهم إنكاره عليهم واستبعاداً لأن يكون ما هم عليه ضلال[148]. وجاء هو في جوابهم بالإضراب عن قولهم: أم أنت من اللاعبين لإبطال أن يكون من اللاعبين، وإثبات أن ربهم هو الرب الذي خلق السماوات[149].

4. قوله تعالى: ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61)﴾[150].

دخل اسم الاستفهام هنا على جملة فعلية، قالوه على طريقة الإنكار، والتوبيخ، والتشنيع[151]، أي: أنَّ مَنْ فَعَل هذا الكسرَ والحطمَ الشديدَ الظلمِ، معدودٌ في الظلمة: إمّا

لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والإعظام، وإمّا لأنهم رأوا إفراطًا في حطمها وتماديًا في الاستهانة بها[152]. والتعبير عنه بالآلهة دون الأصنام أو هؤلاء للمبالغة في التشنيع[153]، وأجري على الأصنام ضمير جمع العقلاء محاكاة لمعنى كلام إبراهيم؛ لأن قومه يحسبون الأصنام عقلاء، ومثله ضمائر قوله بعده: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُون﴾[154].

5. قوله تعالى: ﴿قالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنا يَا إِبْراهِيمُ (62) قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ (65) ﴾ [155].

همزة الاستفهام للتقرير بالفاعل؛ إذ ليس مرادهم حمله عليه السلام على الإقرار بأن كسر الأصنام قد كان، بل على الإقرار بأنه منه، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل، و يجوز أن يكون الاستفهام على أصله؛ إذ ليس في السياق ما يدل على أنهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسر الأصنام حتى يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام. والظاهر أنهم قد علموا ذلك من حلفه وذمه الأصنام[156] . وقوله تعالى: ﴿بل﴾ إبطال لأن يكون هو الفاعل لذلك، فنفى أن يكون فعل ذلك؛ لأن (بل) تقتضي نفي ما دل على كلامهم من استفهامه. وقوله تعالى: ﴿ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ الخبر مستعمل في معنى التشكيك، أي: لعله فعله كبيرهم؛ إذ لم يقصد إبراهيم نسبة التحطيم إلى الصنم الأكبر؛ لأنه لم يدع أنه شاهد ذلك، ولكنه جاء بكلام يفيد ظنه بذلك، حيث لم يبق صحيحًا من الأصنام إلا الكبير. لأنه أوهمهم أن كبيرهم غضب من مشاركة تلك الأصنام له في المعبودية، وذلك تدرج إلى دليل الوحدانية، فإبراهيم في إنكاره أن يكون هو الفاعل أراد إلزامهم الحجة على انتفاء ألوهية الصنم العظيم، وانتفاء ألوهية الأصنام المحطمة بطريق الأولى على نية أن يكر على ذلك كله بالإبطال، ويوقنهم بأنه الذي حطم الأصنام، وأنها لو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها ولو كان كبيرهم كبير الآلهة لدفع عن حاشيته ، ولذلك قال: ﴿ فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾ تهكمًا بهم وتعريضًا بأن ما لا ينطق، ولا

يعرب عن نفسه غير أهل للإلهية[157].وقوله تعالى: ﴿ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ هذا من معاريض الكلام، والقول فيه أنّ قصد إبراهيم صلوات الله عليه لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يَبْلُغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم[158].

6.قوله تعالى: ﴿قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ (66)﴾[159].

دخلت همزة الاستفهام على جملة فعلية، وهو استفهام إنكاري؛ إذ لما اعترفوا بأن الأصنام لا تستطيع النطق انتهز إبراهيم الفرصة لإرشادهم مفرعًا على اعترافهم بأنها لا تنطق استفهامًا إنكاريًا على عبادتهم إياها وزائدًا بأن تلك الأصنام لا تنفع ولا تضر. وجعل عدم استطاعتها النفع والضر ملزومًا لعدم النطق لأن النطق هو واسطة الإفهام، ومن لا يستطيع الإفهام تبين أنه معدوم العقل وتوابعه من العلم والإرادة والقدرة[160].وفي هذه الآية إشارة إلى أن طلب المحتاج من المحتاج سفه في رأيه وضلة في عقله[161].

7.قوله تعالى: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (67)﴾[162].

دخلت همزة الاستفهام على جملة فعلية فعلها مضارع لأنه أرد الإنكار على واقعهم السيئ؛ إذ فرع على الإنكار والتضجر استفهامًا إنكاريًا عن عدم تدبرهم في الأدلة الواضحة من العقل والحس فقال: ﴿أفلا تعقلون﴾. فالاستفهام إنكاري لإنكار الواقع، وإنكار الواقع توبيخ، وهُم به جديرون، فأي عاقل يعبد ما دونه، وهو حي وهذا جماد لَا يضر ولا ينفع[163]. وأف اسم فعل دال على الضجر، وهو منقول من صورة تنفس المتضجر لضيق نفسه من الغضب. وتنوين أف يسمى تنوين التنكير، والمراد به التعظيم، أي ضجرًا قويًا لكم. واللام في لكم لبيان المتأفف له[164]، أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل، فتأفف بهم[165].

8. قوله تعالى:﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[166].

دخلت هل هنا على جملة اسمية، والغرض من الاستفهام هنا استبطاء عدم الشكر ومكنى به عن الأمر بالشكر[167]. وكان العدول عن إيلاء (هل) الاستفهامية بجملة فعلية إلى الجملة الاسمية مع أن لـ (هل) مزيد اختصاص بالفعل، فلم يقل: فهل تشكرون، وعدل إلى ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ ليدل العدول عن الفعلية إلى الاسمية على ما تقتضيه الاسمية من معنى الثبات والاستمرار، أي فهل تقرر شكركم وثبت؛ لأن تقرر الشكر هو الشأن في مقابلة هذه النعمة نظير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُون﴾[168]. ويمكن أن يكون معنى الاستفهام الأمر[169]، فيأمر الله المخاطبين بشكره بعد أن ذكر أنه علم داود صَنْعَةَ الدروع، فكان يصنعها أحكم صنعة لتكون وقاية من الحرب وسبب نجاة من العدو، و (اللبوس) في اللغة السلاح فمنه الدرع والسيف والرمح وغير ذلك[170]. فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق إلى آخر الدهر، فلزمهم شكر الله تعالى على النعمة، أي اشكروا الله على ما يسر عليكم من هذه الصنعة[171]. وضمائر الخطاب في ﴿لكم﴾، ﴿لتحصنكم﴾، ﴿من بأسكم﴾، ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ موجهة إلى المشركين تبعًا لقوله تعالى قبل ذلك: ﴿وهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُم لَهُ مُنْكِرُون﴾[172]؛ لأنهم أهملوا شكر نعم الله تعالى التي منها هذه النعمة إذ عبدوا غيره[173].

المبحث الرابع: أثر الاستفهام في الدعوة إلى الإسلام، والإنذار بحلول وعيد الله

الدعوة إلى الإسلام، والإقرار بألوهية الله وحده، والإنذار بحلول الوعيد لمن لم يؤمن بذلك مقصد من مقاصد هذه السورة. وقد وظف أسلوب الاستفهام للإسهام في تحقيق هذا المقصد في آيتين هذا بيانهما:

1. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)﴾[174].

دخل حرف الاستفهام هل على جملة اسمية، والاستفهام هنا حقيقي، أي: فهل أنتم أيها المشركون مذعنون لله، تاركون عبادة غيره من الأوثان والأصنام[175]. وهو مستعمل أيضا في

معنى كنائي وهو التحريض على نبذ الإشراك وعلى الدخول في دعوة الإسلام. واسم الفاعل مستعمل في الحال على أصله، أي فهل أنتم مسلمون الآن استبطاء لتأخر إسلامهم. وصيغ ذلك في الجملة الاسمية الدالة على الثبات دون أن يقال: فهل تسلمون، لإفادة أن المطلوب منهم إسلام ثابت. وكأن فيه تعريضًا بهم بأنهم في ريب يترددون[176]. ويمكن أن يكون المقصود من الاستفهام الأمر والإيجاب كأنه قال: قد أُوحِيَ إليَّ أن إلهكم إله واحد، فأسلموا له وأخلصوا العبادة له، لا تشركوا فيها غيره[177]. وهذا التعبير أقوى تعبير في الدعوة إلى الإسلام، و الفاء لبيان ترتب الدعوة على الإسلام، على تقدير أن الدعوة إلى الله وحده بإيحاء من الله[178].

و(إنما) لقصر الحكم على شيء، أو لقصر الشيء على حكم، كقولك: إنما زيد قائم، وإنما يقوم زيد. وقد اجتمع المثالان في هذه الآية، لأن إِنَّما يُوحى إِلَيَّ مع فاعله، بمنزلة: إنما يقوم زيد. وأَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ بمنزلة: إنما زيد قائم. وفائدة اجتماعهما: الدلالة على أن الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية[179].

والآية وصف جامع لأصل الدعوة الإسلامية في ذاتها الواجب على كل متبع لها، وهو الإيمان بوحدانية الله تعالى، وإبطال إلهية ما سواه. وصيغت الجملة في صيغة حصر الوحي إليه في مضمونها لأن مضمونها هو أصل الشريعة الأعظم، وكل ما تشتمل عليه الشريعة متفرع عليه[180].

2. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (109)﴾[181].

دخلت همزة الاستفهام على جملة اسمية، والمقصود بها الاستفهام الحقيقي على معنى: لا أدري متى يكون يوم القيامة؛ لأن الله تعالى لم يطلعني عليه ولكني أعلم بأنه كائن لا محالة، ولا أدري متى يحل بكم العذاب إن لم تؤمنوا[182]. ويمكن أن تكون الهمزة للتسوية أيضًا لا لمجرد

الاستفهام[183]. والجملة الاستفهامية في موضع نصب بأدري، وتأخر المستفهم عنه لكونه فاصلة؛ إذ لو كان التركيب: أقريب ما توعدون أم بعيد لم تكن فاصلة وكثيرًا ما يرجح الحكم في الشيء لكونه فاصلة آخر آية[184]. وبهذا التجهيل يلمس قلوبهم لمسة قوية، ويدعهم يتوقعون كل احتمال، ويتوجسون خيفة من المفاجأة التي تأخذهم بغتة. وتوقظ قلوبهم من غفلة المتاع، فلعل وراءه الفتنة والبلاء. وتوقع العذاب على غير موعد مضروب كفيل بأن يترك النفس متوجسة، والأعصاب متوفزة، ترتقب في كل لحظة أن يرفع الستار المسدل، عن الغيب المخبوء. وإن القلب البشري ليغفل عما ينتظره من غيب الله، وإن المتاع ليخدع، فينسى الإنسان أن وراء الستار المسدل ما وراءه مما لا يدريه ولا يكشف عنه إلا الله في موعده المغيب المجهول. فهذا الإنذار يرد القلوب إلى اليقظة، ويعذر إليها بين يدي الله قبل فوات الأوان.

الخاتمة والنتائج:

درس هذا البحث أثر أسلوب الاستفهام في تحقيق مقاصد سورة الأنبياء، في مسعى منه إلى الإجابة عن تساؤل مركزي وهو: ما مدى أثر أسلوب الاستفهام في تحقيق مقاصد هذه السورة؟ فكان لزاما الوقوف عند هذا الأسلوب بجمع الآيات المشتملة على عليه، ودراستها، ليصل البحث في نهايته إلى النتائج الآتية:

1. ورد أسلوب الاستفهام في سورة الأنبياء في اثنين وعشرين موضعًا، استعملت همزة الاستفهام فيه أربع عشرة مرة، وهي أكثر أدوات الاستفهام استعمالًا في هذه السورة، ولا عجب إذ هي أم باب الاستفهام. وجاءت (هل) ثلاث مرات، و(من، وأم) مرتين كل واحدة منهما، و(ما، متى) كل واحدة منهما وردت مرة واحدة.
2. جاءت الهمزة مع الجملة الفعلية في ثمانية مواضع، مرتين مع الفعل الماضي، وست مرات مع الفعل المضارع. ووردت مع الجملة الاسمية أربع مرات. ومضى تعليل ذلك عند كل موضع.

3. استعملت (هل) ثلاث مرات مع الجملة الاسمية، ولم تأت مع الجملة الفعلية مع أن الأصل دخولها على الجملة الفعلية، ومضى تعليل ذلك في موضعه من الدراسة.
4. جاءت (من) في موضعيها مع الجملة الفعلية، بينما جاءت (ما) مع الجملة الاسمية، و(متى) مع الجملة الفعلية، و(أم) في موضعيها دخلت على جملة فعلية.
5. جاءت همزة الاستفهام مع حرف العطف عشر مرات، وتقدمت عليه لأن لها حق الصدارة، وأُمَّ باب الاستفهام.
6. وقع أسلوب الاستفهام في خاتمة الآيات في سبعة مواضع.
7. حقق أسلوب الاستفهام في هذه السورة أربعة مقاصد هي: الأول: بيان أحوال تلقي المشركين لدعوة النبيﷺ، واستقصاء مطاعنهم في القرآن الكريم. والثاني: إبطال الشرك والتنديد بأهله، وإقامة البراهين الكونية والعقلية على توحيد الله. والثالث: إقامة الحجة على المشركين بدلائل شواهد التاريخ وأحوال الأمم السابقة. والرابع: الدعوة إلى الإسلام، والإنذار بحلول وعيد الله.
8. جاء أسلوب الاستفهام في هذه السورة بنوعيه الحقيقي والمجازي للوصول إلى أهدافه المتمثلة في تبليغ الرسالة.
9. أسلوب الاستفهام له قيمة جمالية يصبغها على النص لما يتميز به من قوة الظهور، وحسن الدلالة.
10. الاستهلال بأسلوب الاستفهام راجع إلى أن التعبير بالاستفهام عن المعاني البلاغية التي يخرج إليها أبلغ منه بالإخبار المباشر.
11. تعدد أسلوب الاستفهام في هذه السورة لقدرته على إيصال المعاني للمخاطبين؛ لذا كان الاستفهام فيها من أجود الطرائق لإثارة المخاطبين.

12. في هذه السورة وُظف الحوار في عرض بعض مقاصدها موظفًا أسلوب الاستفهام، وتجلى ذلك في موقف إبراهيم مع قومه.

الهوامش :

(1) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد النظر 285/2.

(2) ينظر: في ظلال القرآن 2363/4.

(3) تنظر مقاصد السورة في التحرير والتنوير 6/17.

(4) سورة الأنبياء: 3 .

(5) ينظر: شرح التسهيل 109/4، والجنى الداني في حروف المعاني 341 .

(6) سورة الأنبياء: 80 .

(7) ينظر: علوم البلاغة للمراغي 66 .

(8) ينظر: روح المعاني 10/9 .

(9) ينظر: البحر المحيط403/7 .

(10) ينظر: التحرير والتنوير 13/17.

(11) ينظر: البحر المحيط 409/7.

(12) ينظر: روح المعاني 10/9.

(13) ينظر: مفاتيح الغيب 118/22.

(14) ينظر: روح المعاني 10/9.

(15) ينظر: البحر المحيط 409/7.

(16) ينظر: الكتاب 192/1، وشرح الكافية للرضي 3 / 479.

(17) ينظر: الكشاف102/3.

(18) سورة الأنبياء: 3 .

(19) ينظر: الأمهات في الأبواب النحوية 9.

(20) ينظر: شرح التسهيل 109/4، والجنى الداني 30، ومغني اللبيب 21.

(21) ينظر: الجنى الداني 30.

(22) سورة البقرة: 44.

(23) سورة الروم: 9.

(24) سورة يونس: 51.

(25) ينظر: الكتاب 187/3، والجنى الداني 30.

(26) ينظر: روح المعاني 10/9 .

(27) ينظر: روح المعاني ، والتحرير والتنوير 18/17.

(28) ينظر: البحر المحيط 408/7 .

(29) ينظر: الكتاب 99/1 .

(30) ينظر: التحرير والتنوير 18/17.

(31) سورة الأنبياء: 6.

(32) ينظر: الكشاف 104/3.

(33) ينظر: روح المعاني 19/9، والتحرير والتنوير 18/17.

(34) سورة: الأنبياء: 5.

(35) ينظر: التحرير والتنوير 18/17.

(36) سورة الأنبياء: 10.

(37) سورة الأنبياء: 5.

(38) روح المعاني 15/9.

(39) ينظر: التحرير والتنوير 17/21. 23.

(40) روح المعاني 15/9.

(41) ينظر: المحرر الوجيز 75/4.

(42) سورة الأنبياء: 34.

(43) سورة الطور: 30.

(44) ينظر: البحر المحيط 428/7. .

(45) ينظر: الكتاب 82/3. 83، وشرح الكافية للرضي463/4.

(46) ينظر: معاني القرآن للأخفش 234/1.

(47) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج 392/3.

(48) ينظر: البحر المحيط 428/7، وشرح الكافية للرضي463/4.

(49) ينظر: المحرر الوجيز 81/4.

(50) ينظر: البحر المحيط 428/7، والدر المصون 154/8.

(51) ينظر: تفسير القرطبي 287/11، وتفسير البيضاوي 51/4.

(52) ينظر: التحرير والتنوير 62/17.

(53) ينظر: تفسير البغوي 288/3.

(54) البيت بلا نسبة في الكشاف 115/3، ومفاتيح الغيب 142/22.

(55) ينظر: التحرير والتنوير 63/17.

(56) سورة الأنبياء: 36.

(57) ينظر: البحر المحيط 430/7، وروح المعاني 46/9، و التحرير والتنوير 65/17.

(58) ينظر: لسان العرب (هزأ).

(59) ينظر: الدر المصون 155/8، والتحرير والتنوير 65/17.

(60) ينظر: التحرير والتنوير 65/17.

(61) ينظر: مفاتيح الغيب 144/22.

(62) ينظر: الدر المصون 155/8.

(63) ينظر: الأصول في النحو136/2.

(64) الكتاب 217/1.

(65) ارتشاف الضرب 1864/4.

(66) ينظر: تفسير المراغي 31/17.

(67) ينظر: المحرر الوجيز، والبحر المحيط413/7.

(68) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل 222/1.

(69) ينظر: تفسير القاسمي 7/195.

(70) ينظر: الوسيط في التفسير للواحدي 3/238.

(71) ينظر: الكشاف 3/117.

(72) ينظر: مفاتيح الغيب 22/145.

(73) ينظر: التحرير والتنوير 17/70.

(74) ينظر: الكشاف 3/117، والبحر المحيط 7/431.

(75) ينظر: الكشاف 3/117.

(76) ينظر: مفاتيح الغيب 22/145.

(77) سورة الأنبياء: 10.

(78) ينظر: مفاتيح الغيب 22/145.

(79) سورة الأنبياء: 23،21.

(80) ينظر: الكشاف 3/108.

(81) الكتاب 3/189.

(82) ينظر: روح المعاني 9/22، والتحرير والتنوير 17/37.

(83) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي 3/233.

(84) ينظر: المحرر الوجيز 4/78.

(85) ينظر: روح المعاني 9/22، والتحرير والتنوير 17/37.

(86) سورة النحل: 21.

(87) ينظر: التحرير والتنوير 17/38.

(88) ينظر: المحرر الوجيز 4/78.

(89) سورة الأنبياء: 24.

(90) ينظر: تفسير البغوي 3/286.

(91) سورة الأنبياء:21.

(92) ينظر: تفسير البيضاوي 4/48.

(93) ينظر: التحرير والتنوير 47/17.

(94) ينظر: روح المعاني30/9.

(95) ينظر: مفاتيح الغيب 134/22.

(96) ينظر: سورة الأنبياء: 30.

(97) ينظر: السبعة في القراءات 428، والنشر في القراءات العشر 323/2.

(98) ينظر: التحرير والتنوير 53/17.

(99) ينظر: روح المعاني 33/9، والتحرير والتنوير 52/17.

(100)ينظر: روح المعاني 33/9.

(101)ينظر: البحر المحيط 424/7، وأضواء البيان 140/4

(102)ينظر: تفسير البغوي 287/3.

(103)الكشاف 113/3.

(104)سورة الإسراء: 99.

(105)سورة الطارق: 11، 12.

(106)ينظر: المحرر الوجيز 80/4، ومفاتيح الغيب 137/22.

(107)سورة الأنبياء: 30.

(108)ينظر: البحر المحيط 425/7، والتحرير والتنوير 56/17.

(109)ينظر: تفسير السمرقندي 390/3.

(110)سورة الأنبياء: 42.

(111)الكتاب 228/4.

(112)ينظر: مفتاح العلوم 311.

(113)ينظر: التفسير الوسيط 238/3، وزاد المسير 161/3.

(114)ينظر: التحرير والتنوير 73/17.

(115)ينظر: المحرر الوجيز 83/4، والبحر المحيط 433/7.

(116)ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل 23/2.

(117)ينظر: التحرير والتنوير 74/17.

(118)سورة الأنبياء: 43.

(119)ينظر: الكتاب 189/3.

(120)ينظر: مفاتيح الغيب 146/22، وتفسير القرطبي 291/11.

(121)ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل 33/2، والتحرير والتنوير 74/17.

(122)ينظر: اللباب في علوم الكتاب 507/13.

(123)ينظر: التحرير والتنوير 74/17.

(124)ينظر: تفسير الطبري 447/18.

(125)سورة الأنبياء: 44.

(126)ينظر: التحرير والتنوير 76/17.

(127)ينظر: تفسير الطبري 449/18.

(128)ينظر: المحرر الوجيز 84/4، والبحر المحيط 434/7.

(129)ينظر: مفاتيح الغيب 147/22.

(130)ينظر: التحرير والتنوير 77/17.

(131)سورة الأنبياء: 48.50.

(132)ينظر: التحرير والتنوير 88/17.

(133)ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية 4766/7.

(134)سورة الأنبياء: 52.

(135)الكتاب 228/4.

(136)ينظر: شرح الكافية للرضي 56/3.

(137)ينظر: الأصول في النحو 135/2.136.

(138)ينظر: الكشاف 121/3، وتفسير المراغي 43/17.

(139)ينظر: زهرة التفاسير 4882/9.

(140)ينظر: تفسير البيضاوي 53/4.

(141)ينظر: ملاك التأويل 2/348.

(142)ينظر: البحر المحيط 7/442.

(143)سورة الأنبياء: 55.

(144)ينظر: روح المعاني 9/57.

(145)ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 3/83.

(146)ينظر: التحرير والتنوير 17/95.

(147)ينظر: الكشاف 3/122.

(148)ينظر: ملاك التأويل 2/408.

(149)ينظر: التحرير والتنوير 17/96.

(150)سورة الأنبياء: 59.61.

(151)ينظر: روح المعاني 9/61.

(152)ينظر: الكشاف 3/123.

(153)ينظر: روح المعاني 9/61.

(154)ينظر: سورة الأنبياء: 63.

(155)ينظر: سورة الأنبياء: 63.

(156)ينظر: روح المعاني 9/62.

(157)ينظر: التحرير والتنوير 17/102.

(158)ينظر: الكشاف 3/124.

(159)سورة الأنبياء: 66.

(160)ينظر: التحرير والتنوير 17/105.

(161)ينظر: روح المعاني 9/103.

(162)سورة الأنبياء: 67.

(163)ينظر: زهرة التفاسير 9/4889.

(164)ينظر: روح المعاني 9/65.

(165)ينظر: الكشاف 125/3.

(166)سورة الأنبياء: 80.

(167)ينظر: التحرير والتنوير 122/17.

(168)سورة المائدة: 91.

(169)ينظر: تفسير البغوي 2:81.

(170)ينظر: المحرر الوجيز 93/4.

(171)ينظر: مفاتيح الغيب169/22.

(172)سورة الأنبياء: 50.

(173)ينظر: التحرير والتنوير 122/17.

(174)سورة الأنبياء: 108.

(175)ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية 4829/7.

(176)ينظر: التحرير والتنوير 172/17.

(177)ينظر: تفسير الماتريدي 384/7، والتفسير الوسيط 255/3، وتفسير البغوي 321/3، والبحر المحيط473/7.

(178)ينظر: زهرة التفاسير 4929/9.

(179)ينظر: الكشاف 139/3.

(180)ينظر: التحرير والتنوير 170/17.

(181)سورة الأنبياء: 109.

(182)ينظر: تفسير النسفي 424/2.

(183)ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل 31/2.

(184)ينظر: البحر المحيط 474/7.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأخفش، أبو الحسن المجاشعي، معانى القرآن، تحقيق الدكتورة: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411 هـ، 1990 م.

2. الإستراباذي، محمد بن الحسن الرضي، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د. يوسف حسن عمر، 1395 ، 1975م.
3. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ.
4. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ.
5. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1408 هـ ، 1987 م.
6. البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط1 ، 1423 هـ.
7. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ.
8. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
9. ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1 ، 1416 هـ.
10. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 ، 1422 هـ.
11. ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة، 1420 هـ.

12. الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1 1408 هـ، 1988 م.

13. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة، الثالثة ، 1407 هـ.

14. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.

15. ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، ، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4، 1420هـ.1999م .

16. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، تفسير السمرقندي، المسمى، بحر العلوم. دار الكتب العلمية.2010 .

17. السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

18. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ، 1988 م.

19. الشاربي، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق ، بيروت، القاهرة، ط17 ، 1412 هـ.

20. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، 1415 هـ، 1995م.

21. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ، 2000 م .

22. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1.

23. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1419 هـ ،1998م.

24. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد ، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

25. العثمان، حسن أحمد العثمان، الأمهات في الأبواب النحوية (دراسة استقرائية تعليلية لأوجه أحقية الأداة بأمية بابها)، المكتبة المكية ، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى 1425 – 2004.

26. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1422 هـ.

27. الغرناطي، ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه، عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

28. الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3 ، 1420 هـ.

29. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1418 هـ.

30. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ ، 1964 م.

31. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا

والبحث العلمي ، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د، الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ ، 2008 م.

32. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ ، 1999 م.

33. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق، د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ ، 2005 م .

34. ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون الناشر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط1 (1410هـ ،1990م).

35. ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1400هـ.

36. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني تحقيق: د فخر الدين قباوة ،الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1413 هـ، 1992 م.

37. المراغي، أحمد بن مصطفى ، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع».

38. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ ، 1946.

39. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة، الثالثة ، 1414 هـ.

40. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه، يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ ، 1998 م

41. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985.

42. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415 هـ ، 1994 م.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

دلالة حرف الجر (مِن) عند النحويين وأثره في استنباط الأحكام الشرعية

د. عبد الله إسماعيل عبد الله هادي *

الملخص:

لقد درس هذا البحث حرف الجر (مِن) من ناحية اختلاف دلالاته، والخلاف في المعنى الأصلي لهذا الحرف، وأهم المسائل العقدية والفقهية التي تأثرت باختلاف دلالات (مِن)، وبيَّن مدى أثر هذا الحرف في استنباط الأحكام.

ولكي يتحقق هذا؛ قُسم البحث إلى أربعة مطالب: فالأول كان الحديث فيه عن التعريف بمفردات العنوان: بحرف الجر (مِن)، والدلالة، واستنباط الأحكام الشرعية.

وطرق الثاني دلالات حرف الجر (مِن) وقد توصل إلى خمسة عشر معنًى. وناقش الثالث الخلاف في أصل معنى حرف الجر (مِن) هل هو ابتداء الغاية أو التبعيض أو التبيين، ورجح الأول. وأما الرابع فقد استقرأ بعض المسائل التطبيقية لأثر اختلاف دلالات حرف الجر (مِن) في استنباط الأحكام الشرعية، وقد ذكر تسع مسائل. لينتهي البحث بعد ذلك بخاتمة تضمنت تلخيصًا لأهم النتائج، وأوصت بأن تُدرس بقية حروف المعاني بدراسات مستقلة استقصائية، كل حرف على حدة.

الكلمات المفتاحية: دلالات حرف الجر (مِن)، معاني (مِن)، مسائل (مِن)، استنباط الأحكام.

* أستاذ النحو المساعد بكلية التربية -المهرة.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663

The Significance of the Arabic Preposition 'Min' as Seen by the Grammarians and Its Impact on Inferring Legal Rules from Scriptural Texts

Abstract:

This preposition has been studied from the point of view of the variation of its significances, the hermeneutical difference on its source meaning and the salient theological and juristic issues that are influenced by the variation of its meaning. The study has also highlighted the extent to which this preposition influences the process of inferring legal rules from scriptural texts.

To achieve this goal, the research has been divided into four sections: the first section deals with defining the words constituting the title, namely, the preposition 'min', 'Dilaalah' (significance), 'Istinbaat'(inferring) and 'Al Ahkaam Al-Shariyyah' (Islamic rules).

The second section deals with the significances of the preposition 'min' which amount to fifteen significances. The third section discusses the difference of opinion on the source meaning of the preposition 'min': whether it marks the start towards a destination; or it signifies some of a whole, or it is used for clarification. The first [of these three] is the most tenable according to this study. The fourth section is an exploration of the practical cases that demonstrate how the difference on the meaning of the preposition 'min' impacts the inferring of legal rules from scriptural texts. Nine cases have been explored in this study.

The research ends up with a conclusion summarizing the most important findings and recommending that similar inclusive studies have to be conducted on other Arabic prepositions in terms of their meaning individually.

Key Words: significances of the preposition 'min', Denotations of 'min', Cases Involving 'min', Inferring Legal Rules

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

فمن المعلوم يقينًا أن الوحي-الكتاب والسنة- نزل بلغة العرب؛ فكان لا بد لمن أراد فهم الوحي أن يفهم اللغة العربية فهمًا جيدًا، وأن يدرسها دراسة معمقة؛ وذلك لما لهذه اللغة من دلالات متعددة للفظة الواحدة؛ إما بسبب الاشتراك أو السياق، وربما ولَّد هذا التعدد في الدلالات تعددًا في الفهوم؛ وربما أدى إلى ظهور فرق ونشوء مذاهب؛ ومن هنا تأتي هذه الدراسة لحرف من حروف المعاني وهو حرف الجر(مِن) وما مدى تأثيره على استنباط الأحكام والخلاف.

أهداف البحث:

1-تقديم رؤية واضحة وميسرة حول موضوع البحث.

2-التعرف على دلالات هذا الحرف بشكل استقصائي.

3-إبراز نماذج تطبيقية لأثر هذا الحرف في استنباط الأحكام الشرعية.

أهمية البحث:

1-علاقته بالقرآن الكريم الذي نزل وفقًا لدلالات اللغة العربية ومنها هذا الحرف.

2-صلته بالسنة النبوية.

3-تعلُّقه بقواعد علم النحو الذي هو شرط من شروط الاجتهاد.

أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيار الموضوع إلى الآتي:

1- الحاجة الماسة من قبل المختصين إلى مثل هذه الدراسة.

2- تقديم خدمة جديدة وجليلة لعلم النحو وأصول الفقه.

3- عدم إفراد هذا الحرف بدراسة مستقلة.

إشكالية البحث:

يحاول البحث أن يجيب عن الأسئلة التالية:

1- ما دلالات حرف الجر (مِن)؟

2- ما الخلاف في أصل معنى حرف الجر (مِن) والراجح من المعاني؟

3- ما أهم المسائل الفقهية التي تأثرت باختلاف دلالات (مِن) في استنباط الأحكام؟

حدود البحث:

يتناول هذا البحث على وجه التحديد حرف الجر (مِن) فقط من ناحية الدلالة اللغوية، والأثر في استنباط الأحكام الشرعية.

الدراسات السابقة:

لم تطرق دراسة سابقة-بحسب علم الباحث-حرف الجر (مِن) على وجه الخصوص؛ وإنما كانت الدراسات إما ضمن حروف الجر، أو ضمن حروف المعاني. ومن هذه الدراسات:

1-دراسة الدكتوراه لـ(بكاري مكامي فقيه) (2012م) بعنوان: حروف المعاني وتوجيهها في كتاب بلوغ المرام (حروف الجر) دراسة نحوية وصفية تحليلية. جامعة أم درمان السودان.

2-دراسة الماجستير لـ(أشرف الصديق الخليل) (2016م) بعنوان: حروف الجر ودلالاتها عند النحاة والأصوليين ودورها في اختلاف الأحكام. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

والذي تميزت به دراستنا عن هذه الدراسات العامة هو أنها طرقت حرفًا واحدًا على حدة، ولم يكن ضمن غيره، واستخرجت له مسائل مشبعة، وأبرزت أثره في استنباط الأحكام، والخلاف.

3-بحث (د.رنا هادي الآلوسي) في مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد (43) بعنوان: دلالة حرف الجر (من) في سورة الكهف. وهو بحث صغير جدًا يصل مضمونه إلى (13) صفحة وقد درس دلالة (مِن) في سورة الكهف دراسة تفسيرية، وتوصل إلى أربعة معانٍ في سورة الكهف.

وتفترق دراستنا عن هذه الدراسة بأنها ليست مقيدة بسورة معينة، وأنها طرقت الخلاف في أصل معنى حرف الجر (مِن) والراجح منها، وطرقت أثر هذا الحرف في استنباط الأحكام، وأثره في الخلاف العقدي والفقهي، مما لم يكن موجودًا في تلك الدراسات.

منهج البحث:

تقوم الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي على النحو التالي:

1-حصر الدلالات وذكر أمثلة لها من القرآن ما أمكن.

2-ذكر بعض المسائل العقدية والفقهية التي أثَّر في استنباطها هذا الحرف، وذكر الخلاف إن وجد.

خطة البحث:

- مقدمة.
- المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان (بحرف الجر (مِن)، والدلالة، واستنباط الأحكام الشرعية).
- المطلب الثاني: دلالات حرف الجر (مِن).
- المطلب الثالث: الخلاف في أصل معنى حرف الجر (مِن) والراجح من المعاني.
- المطلب الرابع: مسائل تطبيقية على أثر اختلاف دلالات حرف الجر (مِن) في استنباط الأحكام الشرعية.
- الخاتمة وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.
- فهرس لقائمة المصادر والمراجع.

المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان.

الفرع الأول: تعريف حرف الجر (مِن) لغة واصطلاحًا:

أولًا: معنى الحرف في اللغة والاصطلاح:

الحرف لغة: قال الجوهري: حرف كل شيء: طرفه وشفيره وحده. ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد. والحرف: واحد حروف التهجي. وقوله تعالى: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ} [سورة الحج:11].

قالوا: على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء دون الضراء. والحرف: الناقة الضامرة الصلبة، شبهت بحرف الجبل.[1]

أما في الاصطلاح: فقد اختلف النحاة في حد الحرف ومن أحسنها قول بعضهم: الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط.[2]

والحروف نوعان: حروف مبانٍ وحروف معانٍ، فأما حروف المباني فهي حروف الهجاء، وهي التي تَنْبَنِي منها الكلمة كحروف: الزاي والياء والدال، التي تَنْبَنِي منها كلمة: زيد.

وأما حروف المعاني: فهي التي لها معنى في غيرها كـ (حروف الجر، والجزم، والاستفهام، والعطف...) وهي التي تبحث عند الحديث عن أقسام الكلام، وحرفنا (مِن) الذي نبحثه إنما هو حرف واحد من حروف المعاني.

ثانياً: معنى الجر في اللغة والاصطلاح:

الجر في اللغة: يأتي الجر في اللغة لمعانٍ منها: أسفل الجبل، والوهدة من الأرض، والسحب، وجذب الشيء.

وفي الاصطلاح: نوع من أنواع الإعراب يختص بالأسماء بواسطة حروف معينة، وعلامات معينة.

وأنواع الإعراب أربعة: رفع ونصب وجر وجزم. وحروف الجر عشرون هي: من – إلى – حتى – خلا – عدا – حاشا – في – عن – على – مذ – منذ – رب – اللام – كي – الواو – التاء – الكاف – الباء – لعل – متى. وعلامات الجر: الكسرة، والياء، والفتحة.

وبهذا يتبين أن (مِن) حرف ثنائي من حروف الجر.

الفرع الثاني: التعريف بالدلالة:

الدلالة في اللغة:

قال ابن فارس: الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخَر: اضطرابٌ في الشيء. فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلانًا على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة. (3)

ويقول الجوهري: الدلالة في اللغة مصدر دَلَّهُ على الطريق دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، في معنى أرشده. (4)

وفي الاصطلاح: كون الشيء يلزم من فهمه فهم شيء آخر فالشيء الأول: هو الدال، والشيء الثاني: هو المدلول. (5)

الفرع الثالث: التعريف باستنباط الأحكام الشرعية.

فأما الاستنباط فمادته (ن ب ط) وهي تدورُ على أصلٍ واحدٍ، وهو استخراجُ شيءٍ، والألف والسين والتاء في استنبط تدلُّ على تطلُّبِ الشيءِ لأجلِ حصولِه، وكأنَّ فيها معنى التَّكلُّفِ في أعمالِ العقلِ الذي يحتاجُه المستنبط حال الاستنباط.

وقال صاحب تهذيب اللغة: "استنبط الفقيه: إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه. وقال الله تعالى: { لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ } [سورة النساء:83]. وقال الزجاج: معنى يستنبطونه في اللغة: يستخرجونه، وأصله من النبط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر، يقال من ذلك: أنبط في غضراء، أي: استنبط الماء من طين حر". (6)

وأما الحكم ففي اللغة يطلق على عدة معان(7) منها: العلم والفقه، والحكمة، والقضاء بالعدل، والإحكام، والإتقان، والمنع والورد، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم؛ لأنه يمنع الظالم من الظلم.

وفي الاصطلاح الأصولي: هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[8].

المطلب الثاني: دلالات حرف الجر (مِن).

اختلف العلماء الذين كتبوا في معاني الحروف في تعداد معاني(مِن)، فمنهم من عدها زائدة وغير زائدة، وهذه لها خمسة معانٍ كصاحب رصف المباني،[9] ومنهم من عدَّ لها أربعةً من المعاني كصاحب الأزهية،[10] ومنهم من استوفاها وذكر لها أربعة عشر معنًى كصاحب الجنى الداني. [11] ومنهم من عدَّ لها خمسة عشر معنًى كصاحب مغني اللبيب.[12] ونحن نذكرها ملخصة من هذه الكتب وغيرها[13] كالآتي:

1-**ابتداء الغاية المكانية، والزمانية،** وهو أشهر استعمالاتها: فأما المكانية: فكقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الإسراء:1]. والزمانية عند الكوفيين، والأخفش والمبرد، وابن درستويه وصححه ابن مالك، وأبو حيان، لكثرة شواهده[14]. كقوله تعالى: ﴿لَمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة:108].

2-**التعليل،** كقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾ [نوح:25].[15] أي: بسبب خطيئاتهم حدث لهم ذلك.

3-**الفصل،** وهي الداخلة على ثاني المتضادين، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة:220].[16]

4-**بمعنى الباء ومرادفة لها،** كقوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾[الشورى:45]. أي: بطرف خفي. [17]

5-البدل، كقوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾[التوبة:38]. أي: بدل الآخرة، وكقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزُّخرُف:60]. أي: بدلًا منكم؛[18] لأن الملائكة لا تكون من الإنس.

6-بمعنى (عن) ومرادفة لها، كقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزُّمَر:22]. أي: عن ذكر الله، وكقوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾[الأنبياء:97].[19] أي: عن هذا.

7-بمعنى (في) ومرادفة لها، كقوله تعالى:{فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ } [سورة البقرة:222].[20] أي في حيث. وكقوله تعالى: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:40]. أي: في الأرض.[21] وكقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:9].[22] أي: في يوم الجمعة.

8-بمعنى (عند) ومرادفة لها، كقوله تعالى: ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:10، والمجادلة: 17].[23] أي: عند الله شيئًا.

9-بمعنى (على) ومرادفة لها، كقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء:77].[24] أي: على القوم.

10-التبعيض، كقوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:253]. وكقوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:92]. [25]

11-التبيين، ويعبر عنه ببيان الجنس، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:30].[26] أي: الرجس الحاصل من جهة الأوثان.

12- **التنصيص على العموم،** وهي الزائدة: كقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة:91]. ونحو: "ما جاءني من رجل"، فإنه قبل دخولها يحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة، ولهذا يصح أن يقال: بل رجلان، ويمتنع ذلك بعد دخول (من). [27]

13-توكيد العموم وهي الزائدة في نحو: "ما جاءني من أحد" أو "من ديار" فإن أحدًا وديارًا صيغتا عموم.[28]

14-**بمعنى (إلى)**، كقول الشاعر:

أأزمعتَ مِنْ آلِ ليلى ابتكارا *** وشطت على ذي هوًى أن تزارا[29]

أي: إلى آل ليلى. [30] وقولنا: قربت منه أي إليه.

15- **بمعنى (ربما)** وذلك إذا اتصلت بما كقوله:

وإنا لمما نضرب الكبش ضربة *** على رأسه تلقي اللسان من الفم[31]

قاله السيرافي وابن خروف وابن طاهر والأعلم، ورد هذا ابن هشام وجعلها ابتدائية[32].

المطلب الثالث: الخلاف في أصل معنى حرف الجر (مِن) والراجح من المعاني.

اختلف اللغويون والأصوليون في أصل معنى حرف الجر (مِن) على أربعة أقوال، الآتي:

القول الأول: وهو ما عليه جمهور النحاة، وكثير غيرهم[33]، ونسبه التفتازاني في " شرح التلويح " للمحققين[34]؛ فقد صرحوا بأن (مِنْ) أصلها **ابتداء الغاية** لا تنفك عنه، ولا تكون إلا لابتداء الغاية، والباقي من معانيها راجع إلى هذا المعنى لا يخرج عنه، وإنما يعرف باقي المعاني من القرينة[35] فمثلاً: معناها في التبعيض في قولنا: خذ من مال فلان، أن ابتداء أخذك كان من

المال. ولذلك قالوا: كل تبعيض ابتداء غاية، وليس كل ابتداء غاية تبعيضًا[36]. وكذا فقد رد بعضهم التبيين إلى ابتداء الغاية، فقال في قوله تعالى:{فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ } [الحج: 30]. إن المراد ابتداء اجتنابهم الرجس من الأوثان[37]. ومرادفة (عن) في قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[الزُّمَر:22]. ترجع للابتداء أيضًا؛ لتفيد أن ما بعد ذلك من العذاب أشد وأن الويل هو البداية[38]. والمرادفة للباء، كما في قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾ [الشورى:45]، ترجع للابتداء، والتقدير: ينظرون بداية بالطرف الخفي، إلى نظر كامل بعد ذلك[39]. وهكذا إذا حقق كل معنى من معانيها الأخرى، وجدنا أنه يرجع لابتداء الغاية لا يخرج عنه، وإن اختلفت درجة وضوحه في بعضها عن البعض الآخر.

القول الثاني: أن أصل وضع حرف (مِن) التبعيض؛ دفعًا للاشتراك[40].

القول الثالث: (مِنْ) حقيقة في التبيين، والباقي من معانيها يرجع إليه، فتكون حقيقة في القدر المشترك بين الجميع؛ لأنها لو كانت حقيقة في كل واحد للزم الاشتراك، أو حقيقة في البعض خاصة للزم منه المجاز، والاشتراك والمجاز خلاف الأصل، فتعين كونها للقدر المشترك بين الجميع[41]، فإن قولك: سرت من الدار إلى السوق، بيَّنت فيه مبدأ السير، وكذا سائر معانيها فإن التبيين موجود فيها[42]، واختاره الإمام الرازي في "المحصول "، والبيضاوي في " المنهاج "[43].

القول الرابع: نقل ابن السمعاني في " قواطع الأدلة " عن الفقهاء، وهو ما اختاره الزنجاني، أنها لابتداء الغاية والتبعيض جميعًا، وكل واحد في موضعه حقيقة[44]. وقد يرد عليه بأنه يلزم من قوله الاشتراك اللفظي، والاشتراك خلاف الأصل؛ إذ يلزم منه تعدد الوضع والقرينة.

المطلب الرابع: مسائل تطبيقية في أثر اختلاف دلالات حرف الجر (مِن) في استنباط الأحكام الشرعية.

المسألة الأولى: مغفرة الله لجميع الصحابة أو لبعضهم:

{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩} [سورة الفتح:29].

الخلاف دائر هنا في دلالة (مِن) من قوله تعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا } على قولين:

القول الأول: أن (مِن) هنا للتبعيض، وهو قول الشيعة، وبنوا على ذلك إخراج بعض الصحابة من المغفرة. قال ناصر مكارم الشيرازي: "والتعبير بـ﴿منهم﴾ مع الالتفات إلى هذه المسألة، وهي أنّ الأصل في كلمة ﴿مِن﴾ في مثل هذه الموارد التبعيض، وظاهر الآية يُعطي هذا المعنى أيضاً، وهذا التعبير يدلُّ على أنّ أصحاب النّبي ينقسمون قسمين: فطائفة منهم يواصلون إيمانهم وعملهم الصالح وتشملهم رحمة الله الواسعة وأجره العظيم. أو وطائفة يحيدون عن نهجه فيحرمون من هذا الفيض العظيم"(45).

القول الثاني: أن (مِن) لبيان الجنس، وهو قول أهل السنة، وقد ردوا قول الشيعة بأنها تبعيضية، واستدلوا بعدم صلاحية لفظة " بعض " مكانها. يقول ابن الوزير عن هذه الآية: "و" مِنْ " ها هنا لِبيان الجنس، لأن لفظةَ "بعضٍ" لا تَصلُحُ مكانَها. فما أكرمَ قوماً ذُكِروا في التَّوراة

والإنجيل والقرآن، وَوُصفوا بالسَّبق والهجرة والنُّصْرَة والإيمان، أولئك أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذين صَدَعتْ مَمادحُ الوحي قرآناً وسُنَّةً، بأنَّهم خيرُ الناس وخيرُ القرون، وخيرُ أُمَّة "(46).

قال ابن عطية: " وقوله تعالى: مِنْهُمْ هي لبيان الجنس وليست للتبعيض، لأنه وعد مرجّ للجميع "(47).

ويلاحظ من هذين النقلين الاستدلال بدلالة السياق ودلالة السياق محكمة.

ودفع الشيعة هذا القول بردودٍ منها، قال الطباطبائي في الميزان: "{من} البيانية لا تدخل على الضمير مطلقًا في كلامهم، والاستشهاد لذلك بقوله تعالى:{ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ } [سورة الفتح:25]. مبني على إرجاع ضمير {تزيلوا} إلى المؤمنين وضمير {منهم} للذين كفروا، وقد تقدم في تفسير الآية أن الضميرين جميعًا راجعان إلى مجموع المؤمنين والكافرين من أهل مكة فتكون {من} تبعيضية لا بيانية"(48).

واللغة تحتمل القولين ولهذا ذهب بعض المفسرين من أهل السنة إلى احتمال القولين وتأول القول إنها للتبعيض بما يتناسب مع مذهب أهل السنة كالرازي حيث قال: " وقوله تعالى: منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا لبيان الجنس لا للتبعيض، ويحتمل أن يقال هو للتبعيض، ومعناه: ليغيظ الكفار والذين آمنوا من الكفار لهم الأجر العظيم"(49).

ولعلك تلحظ أن تعدد المعنى لحرفِ الجر(مِن) في هذه الآية تسبب في نشوء معتقدين مختلفين في هذه القضية الخطيرة، فالقول بأن (مِن) لبيان الجنس يدل على أن كل الصحابة عدول، وأنهم موعودون بالمغفرة والأجر العظيم. والقول بأنها تبعيضية يدل على أن بعضهم ليسوا عدولاً، وأنهم ليسوا كلهم موعودين بالمغفرة والأجر العظيم.

المسألة الثانية: عيسى من خلق الله أو إله.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:171].

الخلاف هنا دائر بين المسلمين والنصارى على دينين:

فالمسلمون يرون أن (مِن) في قوله: (وروح منه) لابتداء الغاية، أي: من خلقه ومن عنده، وليست "من" للتبعيض، يعني: أن مبدأ ذلك الروح الذي ولد به عيسى حيًا من الله تعالى؛ لأنه هو الذي أحياه به، ويدل على أن مِن هنا لابتداء الغاية قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:13]. أي: كائنًا مبدأ ذلك كله منه جل وعلا. والذي جعلهم يفهمون هذا الفهم الأدلة الصريحة الأخرى التي تصرح بأن عيسى مخلوق من قبل الله كما خلق آدم بلا أبوين.

واعتمد النصارى -من جملة ما يعتمدون عليه- في إثبات ألوهية المسيح عيسى على هذه الآية؛ فهم يرون في هذه الآية دليلاً على أن القرآن الكريم يشهد لقضية ألوهية المسيح. كما أنهم يرون أن القرآن الكريم يقرر عقيدة التثليث التي يعتقدونها؛ ودليلهم على ما يقولون: أن قوله عن عيسى: {وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} يشهد بأن عيسى إله مع الله، إذ هو جزء منه بنص الآية ومن للتبعيض، فهو كلمة الله، وهو روح منه.

ولعلك تلحظ ما في هذا الاستدلال من وجاهة من الناحية اللغوية لولا أن الأدلة القطعية الأخرى تبطل هذه العقيدة الباطلة، ولكنهم انتقائيون استدلوا بالمتشابه وتركوا المحكم وهذه عادة أهل الزيغ والضلال.

المسألة الثالثة: هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على جميع المسلمين.

اختلف العلماء خلافًا كبيرًا في قوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} [سورة آل عمران:104]. ومحور الخلاف هو قوله منكُمْ هل (مِن) هنا بيانية أو تبعيضية قولان؟

الأول: ذهب جماعة منهم الزجاج والرازي والبغوي[50] وبعض المفسرين إلى أنها بيانية، قال الزجاج: "ومعنى (ولتكن منكم أمة) –والله أعلم–ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف، ولكن (من) تدخل ههنا لتخص المخاطبين من سائر الأجناس وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين، ومثل هذا من كتاب الله ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:30]. ليس يأمرهم باجتناب بعض الأوثان، ولكن المعنى: اجتنبوا الأوثان فإنها رجس. ومثله من الشعر قول الشاعر:

أخو رغائب يعطيها ويسأله *** يأبى الظلامة منه النوفل الزفر[51]

أي: هو النوفل الزفر. لأنه قد وصفه بإعطاء الرغائب والنوفل: الكثير الإعطاء للنوافل والزفر: الذي يحمل الأثقال.

والدليل على أنهم أمروا كلهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله جل وعلا: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ}[سورة آل عمران:110]."[52]

وقال الرازي بعد نقله حجة أصحاب القول الأول –وهو هذا– "إذا ثبت هذا فنقول: معنى هذه الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وأما كلمة (من) فهي هنا للتبيين لا للتبعيض كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:30].

ويقال أيضًا: لفلان من أولاده جند وللأمير من غلمانه عسكر يريد بذلك جميع أولاده وغلمانه لا بعضهم، كذا هاهنا."[53]

ويمكن تلخيص ما يمكن أن يستدل به أصحاب هذا القول فيما يلي:

1-إيجاب الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ....

2-أنه ليس أحد من المكلفين إلا وجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد أو اللسان أو القلب.

ومما ينبغي التنبه له أن أصحاب هذا القول يقولون: "إنه وإن كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبًا على الكل إلا أنه متى قام به البعض سقط عن الباقين، ونظيره قوله تعالى: {ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا } [سورة التوبة:41]. وقوله: {إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [سورة التوبة:39]. فالأمر عام وكذا الوعيد، ثم إذا قامت به طائفة وقعت الكفاية وزال التكليف عن الباقين"[54] .

القول الثاني: وهو قول جمهور المفسرين كمقاتل والزمخشري والبيضاوي والقرطبي والنسفي وابن جزي وابن كثير... أنها تبعيضية.

قال أبو السعود: "ومن تبعيضية متعلقة بالأمر، أو بمحذوف وقع حالًا من الفاعل وهو أمة ويدعون صفتها أي: لتوجد منكم أمة داعية إلى الخير، والأمة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس، أي يقصدونها ويقتدون بها، أو من الناقصة وأمة اسمها. ويدعون خبرها، أي: ولتكن منكم أمة داعين إلى الخير. وأيًا كان فتوجيه الخطاب إلى الكل مع إسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقين، ولو أخل بها الكل أثموا جميعًا"[55].

قال الحافظ ابن كثير: يقول الله تعالى ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون.. والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأمة منصوبة لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[56].[57]

ثم إن أصحاب هذا القول اختلفوا في التبعيض في الآية على قولين هما: الأول: أن فائدة كلمة من هي أن في القوم من لا يقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل النساء والمرضى والعاجزين.

الثاني: أن هذا التكليف مختص بالعلماء ويدل عليه وجهان:

1-أن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء:

الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإن الجاهل ربما دعا إلى الباطل، وأمر بالمنكر، ونهى عن المعروف، فثبت بهذا أن التكليف متوجه إلى العلماء، ولا شك أنهم بعض الأمة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: { فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ } [سورة التوبة:122].

2-أنا أجمعنا على أن ذلك واجب على سبيل الكفاية، بمعنى أنه متى قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا كان كذلك كان المعنى: ليقم بذلك بعضكم، فكان في الحقيقة إيجابًا على البعض لا على الكل والله أعلم[58].

والقول بالتبعيض، وأنه واجب على البعض هو الراجح وهو الذي تدعمه عمومات الأدلة، وكليات المقاصد الشرعية.

المسألة الرابعة: المراد من قوله تعالى: (مِنْ أَبْصَارِهِمْ) وقوله:(يغضضن من أبصارهن):

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [سورة النور:30-31].

ذهب الأكثرون هنا على أن (من) للتبعيض[59] والمراد غض البصر عما يحرم دون ما يحل، واستظهر هذا الرأي ابن عطية وإن لم يستبعد أن تكون (من) لبيان الجنس أو لابتداء الغاية.[60] وتعقبه صاحب (البحر المحيط) فقال: "ولم يتقدم مبهم فتكون (من) لبيان الجنس"[61]. أما القرطبي فقد ذهب إلى أن (من) صلة الغض"[62] وإلى هذا – من المتأخرين– ذهب الشنقيطي فقال: "والأظهر عندنا أن مادة الغض تتعدى بنفسها إلى المفعول وتتعدى إليه أيضًا بالحرف الذي هو (من) ومثل ذلك كثير في كلام العرب... ومن أمثلة تعدي الغض بـ (مِن) قوله تعالى: (من أبصارهم) و(يغضضن من أبصارهن)[63]. وسواء أكانت (من) تبعيضية أم صلة للغض فإن العلماء لا يختلفون في أن النظر تتخلله أحكام الحل والحرمة.

وفي السنة النبوية المشرفة ما يؤيد رأي جمهور العلماء والمفسرين في معنى (مِن) بأنها للتبعيض ويجعله راجحًا؛ فمن ذلك ما روي من قوله عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك وليست لك الآخرة».[64] وقول جرير بن عبد الله: "سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال: «اصرف بصرك»[65].

المسألة الخامسة: توصيل الصعيد إلى أعضاء التيمم:

قال ابن رشد في بداية المجتهد: "اختلف الشافعي مع مالك وأبي حنيفة وغيرهما في وجوب توصيل التراب إلى أعضاء التيمم، فلم ير ذلك أبو حنيفة واجبًا ولا مالك، ورأى ذلك الشافعي واجبًا.

وسبب اختلافهم الاشتراك الذي في حرف "مِن" في قوله تعالى:﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ﴾ [المائدة: 6]. وذلك أن (مِن) ترد للتبعيض، وقد ترد لتمييز الجنس، فمن ذهب إلى أنها ههنا للتبعيض أوجب نقل التراب إلى أعضاء التيمم، ومن رأى أنها لتمييز الجنس قال: ليس النقل واجبًا. والشافعي إنما رجح حملها على التبعيض من جهة قياس التيمم على الوضوء، ولكن يعارضه حديث عمار المتقدم؛[66] لأن فيه: «ثم تنفخ فيها». وتيمم رسول الله -صلى الله عليه وسلم -على الحائط "[67].

ويتفرع عن هذا الخلاف في المسألة فرعان:

1- قال الغزالي من الشافعية في كتاب الوسيط: "في كيفية التيمم وله سبعة أركان[68]:

الركن الأول نقل التراب الطهور إلى الوجه واليدين:

فلو ضرب اليد على حجر صلد ومسح وجهه لم يجز خلافًا لأبي حنيفة.

ثم ليكن المنقول ترابًا طاهرًا خالصًا مطلقًا.

الركن الثالث النقل:

فلو كان على وجهه تراب فردده عليه بالمسح لم يجز إذ لا نقل وإن نقل من سائر أعضائه إلى وجهه ويديه جاز وإن نقل من يده إلى وجهه جاز لوجود النقل وفيه وجه

آخر أنه لا يجوز لأن أعضاء التيمم في حكم عضو واحد ولو معك وجهه في التراب فالصحيح جوازه لوجود القصد والنقل وإن لم يكن بواسطة اليد"[69].

وهذان الركنان لا يعتبران من الأركان عند القائلين إن (مِن) لبيان الجنس كالحنفية والمالكية.

2- قال النووي في الروضة: لو أحدث بعد أخذ التراب قبل مسح وجهه، بطل أخذه، وعليه النقل ثانيةً.[70]

وعند القائلين بأن (مِن) لبيان الجنس لا يبطلون أخذه لو أحدث بعد أخذ التراب قبل مسح وجهه.

المسألة السادسة: مفهوم: (اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلاتِكُمْ).

عن عبد الله بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورًا».[71] الخلاف هنا في (مِن) مِن قوله: «من صلاتكم» هل للتبعيض أو زائدة؛ فإذا كانت تبعيضية فالمقصود من الصلاة المكتوبة، وإذا قدرت زائدة فالمقصود هو الصلاة النافلة. قال ابن عبد البر: "واختلف في معنى هذا الحديث فقيل من صلاتكم يريد المكتوبة وقيل النافلة، ومن قال إنها المكتوبة فلقوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصلاة صلاتكم في بيوتكم إلا المكتوبة».[72] فكيف يأمرهم بما قد أخبرهم أن غيره أفضل منه ومعروف أن حرف (مِن) حقيقته التبعيض لما في ذلك من تعليم الأهل حدود الصلاة معاينة وهو أثبت أحيانًا من التعليم بالقول. وقيل أراد بقول هذا النافلة على أن معنى قوله اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم أي اجعلوا صلاتكم في بيوتكم يعني النافلة وتكون من زائدة كقولهم ما جاءني من أحد".[73]

والقول بأنها النافلة هو الأقرب للحديث السابق؛ ولعمله صلى الله عليه وسلم، حيث كان يصلي المكتوبة في المسجد إلا لعذر، والنافلة في البيت بلا عذر.

المسألة السابعة: هل يحل الأكل من الصيد الذي أكل منه الكلب المعلم:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة المائدة:4]. اختلف العلماء في جواز أكل الصيد الذي أكل منه الكلب المعلم نتيجة اختلافهم في معنى (مِن) في قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ على قولين: هل هي تبعيضية زائدة؟ فعلى أنها تبعيضية يكون المعنى: فكلوا مما أَمْسَكَتْ عليكم جوارحكم الطيبات التي أحللتُ لكم من لحومها، دون ما حرمتُ عليكم من خبائثه من الفرث والدم وما أشبه ذلك ، مما لم أطيبه لكم . ويحتمل كذلك على التبعيض أن يكون المعنى: كلوا مما أبقته الجوارح لكم؛ وبناءً على ذلك لو أَكَلَتْ منه جاز الباقي.

وعلى أنها زائدة يكون المعنى: كلوا كل الذي أمسكته الجوارح من الصيد فلو أكلتْ منه لم يجز. قال القرطبي: "واختلف النحاة في" من" في قوله تعالى:" مما أمسكن عليكم" فقال الأخفش[74]: هي زائدة كقوله: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ [سورة الأنعام:141]. وخطأه البصريون وقالوا:" من" لا تزاد في الإثبات وإنما تزاد في النفي والاستفهام، وقوله: و﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ﴾ [البقرة: 271] و ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: 31] للتبعيض، أجاب فقال: قد قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الصف:12]. بإسقاط " مِن" فدل على زيادتها في الإيجاب، أجيب بأن" من" هاهنا للتبعيض، لأنه إنما يحل من

الصيد اللحم دون الفرث والدم. قلت: هذا ليس بمراد ولا معهود في الأكل فيعكر على ما قال. ويحتمل أن يريد" مما أمسكن" أي مما أبقته الجوارح لكم، وهذا على قول مَن قال: لو أكل الكلب الفريسة لم يضر، وبسبب هذا الاحتمال اختلف العلماء في جواز أكل الصيد إذا أكل الجارح منه "[75].

المسألة الثامنة: استنباط جملة من الأحكام على أن (مِن) لابتداء الغاية:

1-**تبييت الصيام من الليل:** استدل بقوله-ﷺ-: «من لم يبيت الصيام من الليل، فلا صيام له».[76] على وجوب تبييت النية ابتداء من الليل في الصوم الواجب، فإذا لم ينعقد قلبه على الصوم من الليل لا يجزئه؛ لأن (من) لابتداء الغاية، فيكون القصد والعزيمة عند أول جزء من العبادة شرطًا في صحة هذا الصوم[77].

2-**وجوب الإفاضة من عرفات:** استدل بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:199]. على أن أهل الحرم يفيضون من عرفات كسائر الناس؛ لأنه تعالى استعمل (من) وهي لابتداء الغاية، فدل على أن بداية إفاضتهم من المكان الذي يفيض منه الناس، وهو عرفات[78].

3-**الإسبال يبدأ من أسفل الكعبين، ومن جنس الإزار:** لفظة (من) الأولى في قوله-ﷺ-: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار».[79] لابتداء الغاية، والثانية للبيان، والبيان يرجع لابتداء الغاية أيضًا، ويكون المعنى: ما أسفل من بداية الكعبين، ومن مبتدأ الإزار فهو في النار.

المسألة التاسعة: استنباط جملة من الأحكام على أن (مِن) للتعليل:

1-**عدم التنزه من البول سبب في عذاب القبر**: عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال: «استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه». [80] فقوله (منه) أي بسبب ترك التحرز.

2-**الحكة رخصة في لبس الحرير للرجال:** عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف، والزبير في قميص من حرير، من حكة كانت بهما».[81] فقوله من حكة أي بسبب حكة، وكانت بسبب القمل. وقاس الفقهاء ما فوقها في جواز لبس الحرير للرجال.

3-**تحريم الزواج بسبب الرضاع:** فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة: «لا تحل لي، يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، هي بنت أخي من الرضاعة».[82] فمِن في المواضع الثلاثة للتعليل، فيكون معنى الحديث لا تحل لي؛ يحرم بسبب الرضاع ما يحرم بسبب النسب، هي بنت أخي بسبب الرضاعة.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات:

من خلال ما سبق يتبين لنا الآتي:

1-أن حرف الجر (مِن) له أربعة عشر معنىً، كل معنىً مستقل عن الآخر.

2-أن حرف (مِن) الجار موضوع في اللغة للدلالة على ابتداء غاية الشيء لا تنفك عنه، ولا تكون إلا له، والباقي من معانيها راجع إلى هذا المعنى لا يخرج عنه، وإنما تعرف باقي المعاني من القرينة.

3-أن جملةً من النصوص اختلف في دلالاتِها بناءً على تعدد دلالات حرف الجر (مِن) منها:

أ- مغفرة الله لجميع الصحابة أو لبعضهم. خلاف بين السنة والشيعة.

ب- عيسى من خلق الله أو إله. خلاف بين المسلمين والنصارى.

ج- هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على جميع المسلمين. خلاف بين علماء المسلمين.

د- في وجوب توصيل التراب إلى أعضاء التيمم، خلاف بين الفقهاء.

ه- هل يحل الأكل من الصيد الذي أكل منه الكلب المعلم أو لا. خلاف بين الفقهاء.

4-أن جُلَّ المسائل التي وقع فيها الخلاف بسبب اختلاف دلالات (مِن) خلاف تحتمله اللغة، ويطلب الترجيح من السياق أحيانًا، والغالب يطلب من أدلة خارجية أخرى.

وأخيراً: نوصي بإفراد بقية حروف المعاني بدراسات مستقلة استقصائية، كل حرف على حدة.

الهوامش:

(1) الصحاح للجوهري 1342/4.

(2) الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين المرادي ص 20.

(3) مقاييس اللغة (دل) 2/ 259.

(4) الصحاح (دلل) 4/ 1698.

(5) شرح الكوكب المنير لا بن النجار 1/ 125. والتعريفات للجرجاني ص104.

(6) تهذيب اللغة للأزهري 250/13.

(7) لسان العرب لابن منظور 141/12.

(8) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، لشمس الدين الأصفهاني407/1.

(9) رصف المباني للمالقي 322-326.

(10)الأزهية في علم الحروف للهروي224-230.

(11)الجنى الداني 308-321.

(12)مغني اللبيب لابن هشام 419-425.

(13) انظر تفصيل الكلام على مِن في "الجنى الداني 308-321، الأزهية في علم الحروف للهروي(224-230)، ورصف المباني للمالقي 322-326، حروف المعاني للزجاجي (76-77).

(14)الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري 306/1، همع الهوامع للسيوطي 2/ 461.

(15)مغني اللبيب ص 421.

(16)مغني اللبيب ص424.

(17)شرح تسهيل الفوائد لابن مالك 64/1.

(18)الجنى الداني، ص310.

(19)مغني اللبيب، ص423.

(20)نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج ابن الجوزي، ص577.

(21)حروف المعاني والصفات للزجاجي، ص 76.

(22)أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام 3/ 24.

(23)مغني اللبيب لابن هشام، ص424.

(24)نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي، ص 577.

(25)رصف المباني، ص323.

(26)منازل الحروف للرماني، ص 50.

(27)مغني اللبيب، ص 425.

(28)مغني اللبيب لابن هشام 426 .

(29)ديوان الأعشى الكبير، ص 45.

(30)التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي، 131/11.

(31)البيت لأبي حية النميري في ديوانه، ص174.

(32)مغني اللبيب، ص 424.

(33)المقتضب للمبرد 44/1، الجنى الداني، 308 ، العدة في أصول الفقه لأبي يعلى، 202/1 ، والتمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب الكلوذاني، 112/1 ، 113، وتخريج الفروع على الأصول للزنجاني، ص71 ، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، 290/2 ، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، 689/32.

(34)انظر: شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني، 220/1، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية32/ 693.

(35)انظر: المقتضب للمبرد، 44/1 ، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، 32/ 693.

(36)انظر: قواطع الأدلة في الأصول لابن السمعاني، 41/1، والمحصول لابن العربي، ص43 ، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، ص315 ، 316 ، والبحر المحيط للزركشي ، 292/2 ، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، 32/ 694.

(37)انظر: البحر المحيط للزركشي، 292/2 ، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، 32/ 694.

(38)انظر: مغني اللبيب لابن هشام، ص423 ، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية ، 32/ 694.

(39)انظر: مغني اللبيب لابن هشام ، ص423. ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، 32/ 694.

(40)أصول السرخسي، 222/1، والمنخول للغزالي ، ص157 . والمغني للخبازي ، ص425 ، والبديع لابن الساعاتي، ص86، والمنار للنسفي مع شرحه إفاضة الأنوار للدهلوي، ص242، والمنار مع فتح الغفار لابن نجيم، 29/2، والتمهيد للإسنوي، ص293، والبحر المحيط للزركشي، 293/2، والوصول إلى قواعد الأصول للتمرتاشي، ص190، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، 32/ 694.

(41)انظر: المحصول للرازي، 377/1 ، 378، والمنهاج للبيضاوي مع شرحه الإبهاج، 349/1، والإبهاج، 351/1 ونهاية السول للإسنوي، ص143 ، 144، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية ، 32/ 695.

(42)انظر: المحصول للرازي،1/377 ، 378 ، والإبهاج، 1/351 ، ونهاية السول للإسنوي ،143، 144 ، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، 32/ 695.

(43)انظر: انظر: المحصول للرازي، 1/377 ، 378، والمنهاج للبيضاوي مع شرحه الإبهاج، 1/349، والإبهاج، 1/351، ونهاية السول للإسنوي، ص143 ، 144، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية ،32/ 695.

(44)انظر: قواطع الأدلة لابن السمعاني، 1/41، وتخريج الفروع على الأصول للزنجاني، ص71، والبحر المحيط للزركشي، 2/293 ، ومعلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، 32/ 695.

(45)الأمثل لناصر مكارم الشيرازي، 13/81.

(46)العواصم والقواصم لابن الوزير 1/ 180، وانظر: الأضداد، لابن الأنباري: 252.

(47)المحرر الوجيز لابن عطية ،5/ 143.

(48)الميزان للطباطبائي، 18/246.

(49)تفسير الرازي، 28/90.

(50)تفسير البغوي، 2/84.

(51)البيت لأعشى باهلة انظر جمهرة أشعار العرب ، ص571. والأصمعيّات، ص 90.

(52)معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 1/ 452.

(53)مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، 8/ 314.

(54)تفسير الرازي،8/314.

(55)تفسير أبي السعود، 2/67.

(56)صحيح مسلم، 1/69.

(57)تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 2/91.

(58)تفسير الرازي، 8/ 314.

(59)انظر: الكشاف للزمخشري، 3/234، والمحرر الوجيز لابن عطية، 10/ 485.

(60)المحرر الوجيز لابن عطية، 10/ 485- 486.

(61)البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، 8 /32.

(62)تفسير القرطبي،6/222.

(63)أضواء البيان للشنقيطي، 5/508-509.

(64)سنن أبي داوود كتاب النكاح باب ما يؤمر به في غض البصر، 2/ 246.

(65)سنن أبي داوود كتاب النكاح باب ما يؤمر به في غض البصر،2/ 246.

(66)حديث عمار في المتفق عليه ونصه، قال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت فصليت، فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما كان يكفيك هكذا» فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض، ونفخ فيهما، ثم مسح بهما وجهه وكفيه. صحيح البخاري-كتاب التيمم-باب: المتيمم هل ينفخ فيهما؟ 1/75.

(67)بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن شد الحفيد، 1/67.

(68)سنذكر ركنين من السبعة لمناسبتها للبحث وهما الأول والثالث، والبقية لن نذكرها.

(69)الوسيط في المذهب لأبي حامد العزالي، 1/ 374-378.

(70)روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي، 1/ 113.

(71)صحيح البخاري-كتاب الصلاة- باب كراهية الصلاة في المقابر، 1/ 94.

(72)سنن الترمذي، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل صلاة التطوع في البيت1/ 572. ولفظ المتن أخرجه مالك في الموطأ موقوفاً.

(73)التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، 22/332.

(74)انظر: رصف المباني للمالقي ص 325، والأزهية للهروي، 226-230.

(75)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 6/73.

(76)السنن الصغرى للنسائي، كتاب الصيام، باب ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة في ذلك 4/ 197.

(77)معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، 32/698.

(78)السابق نفسه.

(79)صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار، 7/ 141.

(80)سنن الدارقطني، كتاب الطهارة، باب نجاسة البول والأمر بالتنزه منه والحكم في بول ما يؤكل لحمه، 1/ 232.

(81)صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحرير في الحرب،4/42.

(82)صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب، والرضاع المستفيض، والموت القديم 3/ 170.

المصادر و المراجع:

1- الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد، الإحكام، تحقيق، د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت ط 1، 1404هـ.

2- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ- 2003م.

3- ابن الأنباري، الأضداد، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، 1987م.

4- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن، نزهة الأعين النواظر، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ، 1984م.

5- ابن السري، أبو إسحاق إبراهيم، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1408هـ.

6- ابن النجار، شرح الكوكب المنير (المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر) تحقيق: د. محمد الزحيلي، ود. نزيه حماد. مكتبة العبيكان. الرياض ط2، 1418هـ - 1998م.

7- ابن الوزير اليماني، محمد بن إبراهيم، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تحقيق: ، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، 1992م.

8- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق: عبد الحليم بن محمد بن عبد الحليم، وعبد الرحمن محمود، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ببيروت، ط2، 1412هـ 1992.

9- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة شؤون الأوقاف، المغرب، 1387هـ.

10-ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق : عبدا لله ابن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، وزارة الأوقاف، قطر، ط1.

11-ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1422 هـ.

12-ابن فارس، الحسين بن أحمد، مقاييس اللغة، أبو تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1420هـ، 1999م.

13-ابن قيم الجوزية، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1395هـ 1975م.

14-ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

15-ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط5 1399هـ، 1979م.

16-ابن هشام الأنصاري، جمال الدين ، مغني اللبيب، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م.

17-أبو السعود، بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 2، 1402هـ.

18-أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق، د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1420هـ، 2000م.

19-أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط (تفسير أبي حيان). دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ 1993م.

20-الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي، بيروت.ط1، 2001م.

21-الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن شمس الدين، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق: محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية، ط1، 1406هـ- 1986م.

22-الأعشى، ميمون بن قيس ، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، مكة المكرمة.

23-البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي). ط1، 1422هـ.

24-البعلي، علي بن عباس، القواعد والفوائد الأصولية ، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة، القاهرة ، المكتبة العصرية ، بيروت.ط1 ، 1418هـ.

25-البغدادي الحنبلي، أبو يعلى محمد بن الحسين ، العدة في أصول الفقه للقاضي تحقيق: الدكتور أحمد بن علي سير المباركي، ط3، 1414هـ 1993م.

26-البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة بيروت.

27-البغوي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ.

28-الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، تحقيق، أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط2، 1399هـ، 1979م. والطبعة الرابعة يناير 1990م.

29-الدامغاني، الوجوه والنظائر، تحقيق: فاطمة الخيمي مكتبة الفارابي، دمشق، ط 1 1419هـ.

30-الرازي، المحصول ، تحقيق: طه جابر العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.ط1 1400هـ.

31-الرازي، فخر الدين محمد بن عمر مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1421هـ.

32-الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبي الحسن، رسالة منازل الحروف، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.

33-الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي، حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984م.

34-الزركشي، بدر الدين ، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني وآخرين، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط2، 1413هـ.

35-الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 2001.

36-السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، جمع الجوامع مع شرح المحلي وحاشية الآيات البينات، ضبطه وخرج أحاديثه: زكريا عميرات، مكتبة التراث للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ط2، 1413هـ.

37-السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد، أصول السرخسي، تحقيق: أبي الوفاء الأفغاني، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1372هـ.

38-السمعاني، أبو المظفر ، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس، دار الوطن للنشر، الرياض، ط 1، 1418هـ.

39-السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، قواطع الأدلة في الأصول ، تحقيق: محمد حسن الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1418هـ.

40-السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

41-الشافعي، محمد بن إدريس الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ.

42-الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ -1983م.

43-الشنقيطي، محمد الأمين الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995.

44-الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم، 1426هـ.

45-الصنعاني، عبد الرزاق، تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1410هـ 1989م.

46-الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،1417هـ.

47- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، الوسيط في المذهب، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم ، محمد محمد تامر، دار السلام، القاهرة ط1، 1417هـ.

48- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

49- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لنبان، ط 5، 1423 هـ.

50- المالقي، أحمد بن عبدالنور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، 1394هـ.

51- المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب ، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

52- مجموعة مؤلفين، معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، ط1، 2013م.

53- المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية ببيروت، ط1، 1413هـ - 1992م.

54- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم ، دار ابن حزم، دار الصميعي، ط1، 1416هـ.

55- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، معاني القرآن، تحقيق محمد بن علي الصابوني، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة. ط1 ، 1409هـ.

56- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب. ط2، 1406 – 1986.

57- النميري، شعر أبي حية النميري، جمعه وحققه: الدكتور يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1975م.

58-النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

59-الهروي، علي بن محمد النحوي، الأزهية في علم الحروف، ، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، ط2، 1993م.

60-الهواري، أبو علي عمر بن قداح، المسائل الفقهية، تحقيق: محمد بن الهادي أبو الأجفان، مركز المصطفى للدراسات الإسلامية (منشورات ELGA) - مالطا، 1996م.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

لفظة (لامس) في آيتي الطهارة
دراسة لغوية شرعية

د. محمد عبدالقادر العيدروس *

ملخص:

البحث يدرس لفظة لمس ومشتقاتها في اللغة وفي القرآن الكريم؛ بغية معرفة مفهومها، وكيف استخدمها العرب؟ فقد وردت في القرآن في آية الوضوء، وبنى عليها الفقهاء أحكامًا؛ تسببت في صحة الطهارة وعدمها.

وقد تتبع البحث لفظة لامس عند علماء اللغة وفي القرآن الكريم وكيف فهم الفقهاء معناها، وعلى أساس ذلك تباينت مفاهيمهم، واعتمد البحث المنهج التحليلي والوصفي.

وقد قسم البحث إلى ثلاثة مباحث، ومقدمة، وخاتمة، خصص المبحث الأول للجانب اللغوي، وتكلم المبحث الثاني عن القرآن وبالأخص في آيتي الوضوء في سورتي النساء والمائدة، وقد تتبع المبحث فيه كلام المفسرين، وختم المبحث الثالث بكلام الفقهاء في المذاهب الأربعة: الأحناف، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وختم البحث بإثبات جملة من النتائج ومن ثم فهرس المراجع التي استفاد منها البحث.

الكلمات المفتاحية: لفظة لامس، الطهارة، لغوية، الفقهاء.

*أستاذ النحو والصرف المشارك –جامعة الأحقاف حضرموت.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663

The word Lamas 'Touch' in the Purity verses:

A Linguistic and Judiciary Study

Dr. Mohammad Abdulgader Al-Eidroos

Abstract:

The current research studies the Arabic word Lamas 'Touch' and its linguistic derivatives in Arabic Language and the Holy Quran in order to lay down the conceptual meaning and how the ancient Arabs used it in their contexts. In the Holy Quran, it has been used in the verse of Wadhu (ablution) and the Islamic jurists have derived several rules that influence the right way of purity (cleanliness).

This research has been divided into three sections in addition to a preface and a conclusion. The first section studies the word Lamas in the Arabic Language, whereas the second section shows the word Lamas in the Holy Quran especially in the verses of Wudhu in Surat Al-maedah and Al-nissa. The researcher has tracked its usage in several Quranic interpreters. In the third section, the researcher has quoted some sayings of many Islamic jurists from the four Major Islamic doctrines of jurisprudence such as Hanafi, Shafee, Maleki, and Hanbali. At the end, the researcher has come with several results and has closed his work with a list of references that the researcher has utilized in this research.

Key Words: The word 'Lams', Purity, Linguistic, Jurists.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح الأمة ومعلمها نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإنه لا يخفى على أحد أهمية اللغة في فهم النص الشرعي، كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فهي المدخل لفهم أحكامه ومعانيه، وقد أدركت الأمة ذلك منذ العصر الإسلامي الأول، فذهبوا يجمعون نصوص اللغة من أفواه البادية وفي أعماق الصحراء؛ ليتبينوا اللهجات والدلالات، وكان مقصد فعلهم ذلك هو فهم كتاب الله وسنة نبيه، واكتشاف أحكامه في كل مجالات حياتهم، وقد أبدعوا في ذلك أي إبداع، واستطاعوا بفعلهم ذلك معرفة حدود اللغة وقواعدها، والأسلوب الذي يحكمها، وأنتجوا بعد ذلك علومها، ولذلك يجمع العلماء أنه لا يمكن لأحد ينظر في كتاب الله مجتهدًا دون أن يكون له نصيب وافر من اللغة العربية.

وبحثنا –هنا– يعالج لفظة وردت في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أقيمت عليها أحكام ذات تأثير على أداء ركن من أركان الإسلام هو الصلاة، واختلف العلماء في مدلولها وفي الحكم المستنتج منها، وظلت المسألة تتداول بين المذاهب الإسلامية دون أن يفردوا لها مؤلفا مستقلا، وقد رافق ذلك التداول بعض التعصب المذهبي، فيأتي هذا البحث ليتلمس الطريق نحو أصل المسألة، وكيف أوجدت تلك الأحكام، ويحاول الاهتداء إلى ما يراه صوابًا، بعيدًا عن التعصب للرأي أو المذهب، وقد استخدم البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي في المعالجة، وهذه المسألة قد عولجت كثيرًا في كتب التفسير وكتب المذاهب الفقهية غير أنها دائمًا ما يشوبها التعصب المذهبي وتعالج في الغالب دون الرجوع إلى

الأصل اللغوي بشكل مستفيض أما في دراسة مستقلة فلم أقف على شيء في ذلك ، ويهدف البحث هنا إلى إرجاع المسألة إلى أصلها ومعالجتها لغويًا ثم استنتاج الأحكام منها وقد قُسِّم البحث إلى ثلاثة مباحث: تحدث المبحث الأول فيه عن كلمة (لامس) ومشتقاتها في اللغة وقد عالج ثلاثة ألفاظ هي : مس، ولمس، ولامس؛ ويحاول البحث من ذلك إلى الاهتداء إلى المعنى المقصود فيها، وما يمكن حمله على ما ورد في القرآن الكريم، وتحدث المبحث الثاني عن لفظة لامس في آيتي المائدة والنساء، وهما الآيتان اللتان لهما علاقة بالحكم المعالج، وهو نقض الطهارة الصغرى، وقد تتبع البحث فيه أقوال المفسرين، وبالأخص من عالج الأحكام الفقهية، وخُتم البحث بالمبحث الثالث الذي تحدث عن استدلال فقهاء المذاهب الأربعة بالآيتين في نقض الطهارة الصغرى ، مبينًا كيف كان تفكيرهم في الاستدلال وفي إنتاج الحكم، وقد سُبق البحث بالمقدمة التي بينت المشكلة وأهميتها وأهمية البحث فيها إلى جانب المناهج التي استخدمها البحث وغير ذلك ، وخُتم بابراز أهم النتائج.

نأمل من الله التوفيق فيما بيَّناه، وما اهتدينا إليه في بحثنا، ونستغفر الله من كل زلل أو خطأ، فإنه القادر والمرجو منه ذلك، ويكفينا في ذلك سند قول نبينا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ، فله أجر"[1]. ونختم حديثنا بالصلاة والسلام على معلمنا وهادينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول : الجانب اللغوي "لامس ومشتقاتها":

وردت في اللغة كلمات متقاربة من حيث اللفظ والمعنى لكلمة بحثنا (لامس)، هي لمس ومس ولذلك فإننا في حاجة إلى إيضاح معناها؛ ليتبين لنا المقصود اللغوي للكلمات، وما علاقة هذه المعاني بكلمة بحثنا.

مس:

يقول الخليل: "مس: مسست الشيء بيدي مسًا، ومست مخفف. ورجل ممسوس من الجنون، وبه مس... ويقال: مس المرأة ومماستها إتيانها. والمسمسة و المسماس : اختلاط الأمر واشتباهه"[2]. فالنص يتحدث عن معان أربعة هي: الأول: هو اللمس باليد، والثاني : تطلق على الشخص الذي أصيب بالجنون أو بالجن، فيقال له ممسوس أو به مس، والثالث: هو الجماع، وذلك اذا التصقت الكلمة بالمرأة، ورابعها: هو اختلاط الأمر واشتباهه، وهذا المعنى معنويًا، ولعله يكون في كل المعاني السابقة، فاللمس باليد يعني التصاق، واختلاط، والجنون، ومن به مس الجن هو اختلاط في العقل وفي التصرفات، والجماع لا يخلو من ذلك لأنه في حقيقته امتزاج بين الرجل والمرأة في الجسد والعاطفة.

ويقول الأزهري في هذه اللفظة: "مس: قال الله جل وعز: "الذى يتخبطه الشيطان من المس" قال الفراء: المس: الجنون. والعرب تقول: رجل ممسوس. عمرو عن أبيه: المأسوس والممسوس والمدلس كله المجنون. والمس: مسك الشيء بيدك. قال الله جل وعز: "وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن" ، وقرئ: (تماسوهن) .قال أحمد بن يحيى: اختار بعضهم (ما لم تمسوهن) وقال: لأنا وجدنا هذا الحرف في غير موضع من الكتاب بغير ألف "ولم يمسسنى بشر"، فكل شيء من هذا الباب فهو فعل الرجل في باب الغشيان"[3]. والأزهري يقدم نفس المعاني السابقة عند الخليل، ويؤكد في نصه أن اللفظة إذا التصقت بالمرأة بشكل مطلق فإنها تدل على الغشيان، وكأنه يريد القول أن اللفظة إذا التصقت بالمرأة ولم يرد في النص ما يبين أن القصد منه غير الغشيان، فإنه لا يكون إلا له.

ويقول الجوهري :" مسس: مسست الشيء بالكسر أمسه مَسًّا، فهذه اللغة الفصيحة. وحكى أبو عبيدة: مسست الشيء بالفتح أمُسُّهُ بالضم. وربَّما قالوا مِسْتُ الشيء يحذفون منه السين الأولى ويحوِّلون كسرتها إلى الميم، ومنهم من لا يحول ويترك الميم على حالها مفتوحة، وهو مثل قوله تعالى: "فظلتم تفكهون"، يكسر ويفتح، وأصله ظللتم، وهو من شواذ التخفيف. وأنشد الأخفش: مِسْنا السماَء فنِلْناها وطاهَمُ * حتَّى رأوْا أحُداً يَهْوي وثَهْلانا، وأمْسَسْتُهُ الشيء فمسه. والمسيس: المس، وكذلك المسيسى، مثال الخصيصى. والممسوس: الذى به مس من جنون. والمُماسَّةُ: كنايةٌ عن المُباضَعة ؛ وكذلك التماسُّ. وقوله تعالى: "من قبل أن يتَماسَّا". وقوله تعالى: "أن تقول لا مَساسَ " أي لا أمسُّ ولا أُمَسُّ"[4]. فالنص إلى جانب ما يبين من الخلاف اللغوي بين الفتح والكسر في الكلمة يؤكد المعاني المذكورة في النصوص السابقة، ومنها استخدام الكلمة في المرأة، ويقول الزمخشري: "مسّه مسّاً ومسيساً، وماسّه مماسّة ومساساً، وهما يتماسان، وأمسّه الشيء، ويقال: لا مِساس ولا مَساس. وتقول العرب للنّطفين المتهمين: "لا مَساس، لا خير في الأوقاس". ومن المجاز: مسه الكبر والمرض، ومسه العذاب، ومسه بالسوط، ومس المرأة: جامعها، وماسها: أتاها"[5]. فالنص بيّنٌ في المعاني، ويبدو أن المعاني ستتكرر في كل المعاجم[6]، والجديد في ما أورد من معاني هو أنه جعل من تطورات لفظ (مس) أنها تستخدم كناية في السن، فيقال: مسه الكبر وفي العذاب، وفي الضرب، وفي المرأة، فيكون معناها _حينئذ_ غير معنى اللمس باليد، ولا يمكن إخراجها عن هذا الاستخدام فيما ذكر من مواضع.

لمس:

يقول الخليل: "لمس: اللمس: طلب الشيء باليد من هيهنا وهنا ومن ثم. لميس: اسم امرأة. وإكاف ملموس الأحناء، أي: قد أمر عليه اليد، فإن كان فيه ارتفاع أو أود نحت. والملامسة في البيع: أن تقول: إذا لمست ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع"[7]. فنصُّ الخليل يبين أن المس هو ما يكون باليد، وهذا المعنى الرئيس، وإلى جانب ذلك يذكر معاني أخرى، كالاعوجاج وبيع الملامسة، وهو بيع معلوم عند الفقهاء.

والأزهري يكرر المعاني السابقة ويضيف قائلاً: "وأما قول الله جل وعز: "أو لمستم النساء"، وقرئ: "أو لامستم النساء" وروي عن عبد الله بن عمر وابن مسعود أنهما قالا: القبلة من اللمس وفيها الوضوء، وكان ابن عباس يقول: اللمس واللماس والملامسة كناية عن الجماع، ومما يستدل به على صحة قوله قول العرب في المرأة: تزن بالفجور، هي لا ترد يد لامس، وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي لا ترد يد لامس فأمره بتطليقها. أراد أنها لا ترد عن نفسها كل من أراد مراودتها عن نفسها.

عمرو عن أبيه: اللمس: الجماع. واللميس: المرأة اللينة الملمس[8]. والزيادة _هنا_ هو جعله لفظة لمس إذا التصقت بالمرأة، فإنه يقصد بها الجماع أو مقدماته من القبلة وغيرها، بل نقل عن ابن عباس أن هذه اللفظة في المرأة هي الجماع، وذكر الأزهري الحديث الذي يرويه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أنه قال :" جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي لا تمنع يد لامس، قال: «غربها»، قال: أخاف أن تتبعها نفسي، قال: «فاستمتع بها»"[9]. أن المعنى لكلمة لامس _هنا_ أنها لا ترد عن نفسها كل من راودها عن نفسها، ويدخل في هذا الجس والقبلة وما شابهها، والمعنى هذا هو ما عليه أكثر المفسرين

لهذا الحديث[10]؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بتغريبها وتطليقها، ولا يمكن أن يأمره بذلك لو كان معنى الكلمة غير ذلك، لكنه لما علم من السائل أنه يخاف على نفسه الوقوع في المحظور بها بعد تطليقها أمره أن يبقيها ويستمتع بها مع مراقبتها؛ لتمتنع عن عادتها السيئة، ولعل تلك المرأة بها نقص في العقل جعلها تتصرف هذا التصرف وهي لا تعلم مقصده ولا ما يترتب عليه، وإلا لما كان تصرف النبي صلى الله عليه وسلم باتجاهها واتجاه زوجها كذلك، وفي الحديث روايات مختلفة تختلف في بعض ألفاظها.

وهناك معنى آخر لهذه اللفظة في الحديث وهو مروي عن الإمام أحمد وهي أنها لا تمسك المال وتنفقه بتبذير [11]، وهذا المعنى لا نميل إليه؛ لأنه لا يتناسب مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: طلقها، وكذا مع قوله: أخاف أن تتبعها نفسي، وكذلك قول النبي: استمتع بها، فكل تلك الألفاظ تجعلنا نميل إلى المعنى الأول، والله أعلم .

ويقول ابن سيدة :" اللمس الجس لمسه يلمسه لمسًا ولامسه وناقة لموس شك في سنامها أبها طرق أم لا فلمس والجمع لمس واللمس كناية عن الجماع لمسها يلمسها ولامسها والتمس الشيء وتلمسه طلبه"[12]. فقد بين من المعاني الجس باليد إلى جانب معنى الجماع، وهذا إذا ارتبطت الكلمة بالمرأة.

ويقول الزمخشري في أساس البلاغة :"ومن المجاز: لمس المرأة ولامسها: جامعها، وألمسني امرأةً، زوّجنيها، وفلانة لا تردّ يد لامس: للفاجرة. وفلان لا يرد يد لامس: لمن لا منعة له"[13]. فقد جعل المعنى بالنسبة للمرأة يعني الجماع، إلى جانب أن المعنى إذا ذكر للرجل فإنه يعني المنعة، عندما قال أن فلانًا لا يرد يد لامس أي أنه لا منعة له يستطيع بها أن يدافع بها عن نفسه وحريمه، فهو كناية عن الضعف في الشكيمة.

ويقول الفيروز ابادي :" لمسه يلمسه ويلمسه: مسه بيده، والجارية: جامعها"[14]. والنص لا يحتاج إلى تعليق، ويبدو أن هذه المعاني يكررها ما تبقى من القواميس [15].

لامس:

يعالج اللغويون هذه الكلمة في مادة لمس، وتكرار نفس المعاني السابقة، غير أن ما يمكن أن يضاف _هنا_ أنَّ الكلمة في المعاجم ارتبطت بصفات النساء، وخاصة الجنسية، يقول الخليل: "والخريعة: المرأة التي لا تمنع يد لامس فجورًا"[16]. والنص لا يحتاج إلى مزيد تعليق.

ويقول الأزدي: "والملامسة في بعض الأقاويل: كناية عن النكاح، وفي بعضها: الملامسة باليد ويقولون: فلانة لا تمنه يد لامس، كأنهم أرادوا لين جانب المرأة وانقيادها. وقد سمت العرب لامسًا ولميسًا ولماسًا ولميسًا"[17]. فالملامسة هي النكاح وقد أُلصقت اللفظة بالمرأة للين جانبها وانقيادها للرجل في المعاشرة، وهذا اللين هو ما جعل من مسمياتها لميسًا ولماسًا.

وذكر الأزهري في نص آخر له ينقله عن ابن الأعرابي: "قال ابن الأعرابي: إذا لقحت الناقة فهي مقر وقارح، وامرأة قرور، لا تمنع يد لامس، كأنها تقر وتسكن، ولا تنفر من الريبة"[18]. فاللفظة ملتصقة _هنا_ بالمرأة، فقد فسر بها قولهم امرأة قرور فهي تسكن بلقاح الرجل ومعاشرته.

ويقول ابن فارس: "ولمست: مسست، وكل ماس لامس. قال الله – جل ثناؤه –: "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ"، قال قوم: أريد به الجماع، وذهب ناس إلى أنه المسيس وأن اللمس يكون بغير اجتماع الجماع واحتج الشافعي بقول القائل : بمستُ بكفي كفهُ أبتغي الغنى"[19]. فقد بين النص أن اللفظة تعني الجماع، كما أنها تعني أيضًا ما يحصل بين الرجل والمرأة دون الجماع، ويبدو أن الفقه كان حاضرًا في نص ابن فارس عندما بيَّن الرأيين مستدلًا بالمعنى الثاني على قول

المذهب الشافعي في أن مقصودها اللمس، كما سنبينه قابلاً؛ لأنه في المذهب ينتقض الوضوء بمجرد اللمس باليد، وقد جاء بالبيت الذي يذكر أن الإمام الشافعي استدل به على معنى اللمس اللغوي، ولا ندري هل هذا ما استدل به الشافعي في أن اللمس يكون باليد حتى وإن التصق اللمس بالمرأة؛ لأن البيت _هنا_ لا علاقة له بالمس بين الرجل والمرأة، وإنما كان اللمس بين رجلين، وحتى إن كان الملموس في البيت هو من النساء، فإن القائل قد أظهر ما يمنع المعنى المتداول للمس عندما يلتصق بالمرأة؛ لأنه _حينئذ_ يكون بمعنى المباشرة والجماع، فقال: مسست كفي بكفه، وكان يكفيه أن يقول مسست بكفي، فأكّد الأمر بكفه؛ لتكون قرينة تبعد عن المعنى المقصود الخاص بالنساء، كذلك قرينة تبعد فكر المس العادي؛ لأنه يريد _هنا_ في البيت الكرم والعطاء.

ويقول ابن سيدة: "وامرأة هبيغة وهبيغ: فاجرة لا ترد يد لامس"[20]. فقد جعل اللفظة وصفًا وتبيينا لكلمة المرأة الهبيغ، أي الفاجر التي ترغب في الملامسة النكاح ومقدماته التي تفضي إليه.

ويقول الفيروز ابادي: "وامرأة لا تمنع يد لامس: تزني وتفجر، وتزن بلين الجانب"[21]. بين أن لصق الكلمة بالمرأة تعني الجماع وما يفضي إليه، ولا هناك معنى غيره متى ما التصق بالنساء.

ويقول الزبيدي: "الرمازة _هنا_ الفاجرة التي لا ترد يد لامس، وقيل للزانية رمازة؛ لأنها ترمز بعينها"[22]. لما أراد أن يبين ما مقصود المرأة الرمازة لم يجد غير لفظة لامس؛ لأنها الأصدق تعبيرًا وتبيينًا للمعنى.

ولما فسّر حديث النبي _صلى الله عليه وسلم_ السابق قال: "إن امرأتي لا ترد يد لامس أي تزني وتفجر، ولا ترد عن نفسها كل من أراد مراودتها عن نفسها. فأمره بتطليقها"[23].

من خلال العرض السابق يمكن إبراز الملاحظات الآتية:

- الألفاظ التي استعرضناها في السابق تتشابه في معان، وتختلف في معانٍ أخرى، وهذا الأمر جليًّا، كَون كل لفظة تختلف في حروفها وصياغتها عن الأخرى، وقد اقتصرنا على استعراض المعاني التي تتعلق ببحثنا أو هي قريبة منه.
- تشترك الألفاظ السابقة في أنها جميعًا في استخدامها تدل على اللمس المعروف، وهي حقيقة في معناها في ذلك.
- إذا استخدمت تلك الألفاظ في المرأة فإنها حينئذ تكون كناية عن الجماع والمباشرة بين المرأة والرجل، ويكاد تجمع القواميس على ذلك، ومتى ما أراد المتكلم أن يستخدمها مع المرأة ولا يرغب بهذه الكناية، فإن عليه حينئذ أن يبدي قرينة تمنع ما يذهب إليه المخاطب من معنى ابتداء عند الاستخدام مع المرأة، وليقل مثلاً لمست المرأة في كفها أو غير ذلك.

المبحث الثاني : لا مس في القرآن الكريم :

وردت كلمة لامس في القرآن الكريم في موضعَين، ونقتصر _هنا_ على هذه الكلمة فَحَسْب، كونها هي موضوع البحث الرئيسة، وقد كان الموضع الأولى في سورة النساء والموضع الثاني في سورة المائدة وكلتاهما، كانتا تتحدثان عن الطهارة والوضوء والغسل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴿٤٣﴾ ﴾[24].

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦ ﴾ [25]. ونبين في هذا المبحث أقوال جملة من المفسرين عن المعنى المقصود من هذه الكلمة، وما بينت من أحكام.

آية النساء:

بينت آية النساء كثيرًا من الأحكام الفقهية، وهنا نجمل معناها وبعض الأحكام، وهمَّنا هو أن نبين ما قال المفسرون بشكل مباشر في لفظة لامس.

هذه الآية نهت عن القرب من الصلاة حال السُكر، وكذلك حال الجنابة، وقد اختلف العلماء[26] في مفهوم الصلاة، فمنهم من قال أن الصلاة هي العبادة المعروفة، وتكون الآية حينئذ قد نهت السكران من التلبس بالصلاة، فتكون الآية سابقة في النزول لآيات تحريم الخمر، لكن إشكالًا يكون في قوله ولا جُنُبًا إلا عابري سبيل، فكيف يكون عبور السبيل في الصلاة وحال الجنابة، وكيف يكون معنى الاستثناء، ولذلك فإن من تبنَّى هذا القول ذهب يؤول الكلام إلى أن من كان مسافرًا وعليه الصلاة ولم يجد ماء فليتيمم، يقول البغوي: "قوله تعالى: إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا، اختلفوا في معناه فقال بعضهم: إلا أن تكونوا مسافرين ولا تجدون الماء فتيمموا، منع الجنب من الصلاة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا يجد ماء فيصلي بالتيمم، وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد رضي الله عنهم"[27]. ومنهم من قال أن الصلاة ههنا مقصدها موضع الصلاة، فهي كناية ومجاز، ومقصد الصلاة _هنا_ هي

المساجد، فيكون في الآية نهي عن دخول المساجد حال السكر وحال الجنب، إلا إذا جعل المسجد سبيلا للمرور فَحَسْب، فإنه حينئذ يجوز للسكران والجنب المرور فيه دون المكوث، ويبدو أن هذا القول هو الأرجح، فالسياق اللغوي يؤكد رجاحته، فقد عبَّرت الآية بالقرب، وحقيقة القرب والبعد لا تكون إلا للمكان، والمكان _هنا_ هو المسجد، إلى جانب أن الاستثناء يكون متسقًا مع هذا القول، فقد استثنى المرور للسكران وللجنب، بينما في القول السابق لا يكون الاستثناء متّسقًا، وقد جاء في الشريعة أمر بتجنيب الأطفال والمجانين المساجد؛ حتى لا يكون تصرف منهم غير لائق بالمساجد وحرمتها.

فعن واثلة بن الأسقع، أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ قال: "جنبوا مساجدكم صبيانكم، ومجانينكم، وشراءكم، وبيعكم، وخصوماتكم، ورفع أصواتكم، وإقامة حدودكم، وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجمروها في الجمع"[28]. والسكران هنا يشبه المجنون والطفل؛ لإنه قد تبدر منه من التصرفات التي لا تليق، نظرًا لسكره، وقد أيَّد هذا التفسير الطبري والرازي[29] وغيرهم، غير أنهم لم يتحدثوا عن مرور السكران في المسجد، وإنما أوَّلوا ذلك، يقول الطبري وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: يا أيها الذين آمنوا، لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا تقربوها أيضا جُنُبًا حتى تغتسلوا، إلا عابري سبيل"[30].

ثم بينت الآية رخصة الذهاب إلى استخدام التراب بدلًا عن الماء حال المرض والسفر، ثم بينت ناقضين للطهارة، الغائط ولمس النساء، وقد ذكر العلماء في لامستم معانيَ ، نبينها في الآتي:

يقول الطبري: "يعني بذلك _جل ثناؤه_: أو باشرتم النساء بأيديكم ثم اختلف أهل التأويل في "اللمس" الذي عناه الله بقوله: "أو لامستم النساء". فقال بعضهم: عنى بذلك الجماع... وقال آخرون: عنى الله بذلك كل لمس، بيد كان أو بغيرها من أعضاء جسد الإنسان... وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: "عنى الله بقوله: "أو لامستم النساء"، الجماع دون غيره من معانيَ اللمس"[31].

فالإمام الطبري نقل اختلاف العلماء في معنى لمس، ثم بيَّن رأيه في ذلك، ويقول الرازي: "وأما قوله تعالى: "أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا"، فإن السلف قد تنازعوا في معنى الملامسة المذكورة في هذه الآية، فقال علي وابن عباس وأبو موسى والحسن وعبيدة والشعبي: "هي كناية عن الجماع"، وكانوا لا يوجبون الوضوء لمن مس امرأته. وقال عمر وعبد الله بن مسعود: "المراد اللمس باليد"، وكانا يوجبان الوضوء بمس المرأة، ولا يريان للجُنُب أن يتيمم. فمن تأوله من الصحابة على الجماع لم يوجب الوضوء من مس المرأة، ومن حمله على اللمس باليد أوجب الوضوء من مس المرأة، ولم يجز التيمم للجنب. واختلف الفقهاء في ذلك أيضًا، فقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر والثوري والأوزاعي: "لا وضوء على من مس امرأة لشهوة مسها أو لغير شهوة"[32]. فقد نقل الرازي القولين، وبيَّن رأي مذهبه الفقهي، كما ألفت إلى أن من قال من الصحابة بالنقض باللمس لم يجز للجنب التيمم. ويقول الماوردي :"أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَآءَ" فيه قراءتان: إحداهما: "لَمَسْتُمُ" بغير ألف، قرأ بها حمزة والكسائي. والأخرى: "لاَمَسْتُمُ"، وهي قراءة الباقين. وفي هذه الملامسة قولان: أحدهما: الجماع، وهو قول عليّ، وابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد. والثاني: أن الملامسة باليد والإفضاء ببعض الجسد، وهو قول ابن مسعود، وابن عمر، وعبيدة، والنخعي، والشعبي،

وعطاء، وابن سيرين، وبه قال الشافعي"[33]. والنص يبيّن القولين، غير أنه بيَّن أن المعنى الثاني لا يُكتفى به باليد فَحَسْب، بل يكون إلى جانب اليد الجسد، ويعني هذا أن لامستم أو لمستم بالقِراءَتَين هي أقرب إلى الجماع، على الرغم أن المذهب كان حاضرًا في ذهن الإمام المَاوَرْدِي في نصه، ولذلك هو يستفيد من القراءتين في تفسيره إلى اختلاف العلماء في نقض الوضوء، وهل بالمس، وهل هو للاثنين أم اللامس فَحَسْب، فيقول: "وفي اختلاف القراءتين في "لَمَسْتُمْ" أو "لاَمَسْتُمُ" قولان: أحدهما: أن "لاَمَسْتُمُ" أبلغ من "لَمِسْتُمُ" . والثاني: أن "لاَمَسْتُمُ" يقتضي وجوب الوضوء على اللامس والملموس. "وَلَمَسْتُمُ" يقتضي وجوبه على اللامس دون الملموس"[34].

ويقول أبو فرج عبد الرحمن الجوزي: "وفي المراد بالملامسة قولان: أحدهما: أنها الجماع، قاله علي، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الملامسة باليد، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والشعبي، وعبيدة، وعطاء، وابن سيرين، والنخعي، والنهدي"[35]. فيذكر المعنيين دون ترجيح، ويقول القرطبي: "(لمستم) وفي معناه ثلاثة أقوال: الأول- أن يكون لمستم جامعتم. الثاني- لمستم باشرتم. الثالث- يجمع الأمرين جميعًا. و (لامستم) بمعناه عند أكثر الناس"[36]. فقد بيَّن النص أن له معاني ثلاثة، الجماع أو المباشرة أو هما معًا، وهذا يعني أن معنى الكلمة عنده تعني الجماع ومقدماته، وليس اللمس الذي لا يفضي إلى الجماع؛ لأن المباشرة لا تعني اللمس باليد فَحَسْب، بل هو أبلغ من اللمس، وفيه من الحركة من الجانبَين، إلى جانب الشهوة، والمفسرين في غالبهم لا يخرجون عن المعاني السابقة، إلا أن بعضهم يرجِّح أحد القولَين، ويكون المذهب الفقهي في الغالب هو من يدفع إلى ترجيح هذا أو ذاك، يقول الألوسي: "أو لامستم النساء يريد سبحانه أو جامعتم النساء إلا أنه كنى بالملامسة عن الجماع؛

لأنه مما يستهجن التصريح به أو يستحى منه، وإلى ذلك ذهب علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن فيكون إشارة إلى الحدث الأكبر كما أن الأول إشارة إلى الحدث الأصغر.

وعن ابن مسعود والنخعي والشعبي، أن المراد بالملامسة ما دون الجماع، أي ماسستم بشرتهن ببشرتكم، وبه استدلَّ الشافعي _رضي الله تعالى عنه_ على أن اللمس ينقض الوضوء، وبه قال الزهري والأوزاعي، وقال مالك والليث بن سعد وأحمد في إحدى الروايات عنه: إن كان اللمس بشهوة نقض وإلا فلا، وذهب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه إلى أنه لا ينتقض الوضوء بالمس ولو بشهوة"[37]. فقد عرض الرأيين معًا، ثم ذهب إلى الفقهاء مبينًا مدركهم للآية، وما تبعه من حكم فقهي، ويقول ابن عاشور: "أو لامستم النساء قرئ (لامستم) – بصيغة المفاعلة–، وقرئ (لمستم) – بصيغة الفعل– كما سيأتي، وهما بمعنى واحد على التحقيق. ومن حاول التفصيل لم يأت بما فيه تحصيل. وأصل اللمس المباشرة باليد أو بشيء من الجسد، وقد أطلق مجازًا وكناية على الافتقاد، قال تعالى: وأنا لمسنا السماء... وعلى قربان النساء؛ لأنه مرادف المس، ومنه قولهم: «فلانة لا ترد يد لامس»، ونظيره وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن. والملامسة _هنا_ يحتمل أن يكون المراد منها ظاهرها، وهو الملامسة بمباشرة اليد أو بعض الجسد جسد المرأة... فالمحمل الصحيح أن الملامسة كناية عن الجماع"[38]. والنص بيّنًا لابن عاشور، في أنه يؤيد أن الآية بقراءتَيْها في لامس تعني الجماع، على الرغم أن هذا الرأي مخالف لمذهبه؛ لأن المالكية يوجبون الوضوء باللمس بشهوة كما سنبيِّنه لاحقًا.

آية المائدة :

الآية تتحدث عن وجوب الطهارة قبل الدخول إلى الصلاة الطهارة الصغرى الوضوء، وكذلك الطهارة الكبرى الغسل، لمن لم يكن متطهرًا قبلها، وقد بيَّن المفسرون خلافات حول تلك الطهارة، هل تجب مطلقًا لكل صلاة، أم لمن لم يكن متطهرًا فقط. يقول البغوي: "وظاهر الآية يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام إلى الصلاة، لكن علمنا ببيان السنة وفعل النبي _صلى الله عليه وسلم_ أن المراد من الآية: إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر... وقال بعضهم: هذا إعلام من الله سبحانه وتعالى لرسول الله _صلى الله عليه وسلم_ أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال، فأذن له أن يفعل بعد الحدث ما بدا له من الأفعال غير الصلاة"[39]. وللمفسرين أقوال في وقت وجوب الطهارة تلك بحسب تقديرهم في إذا؛ لأن الأغلب يقدِّرون فعل شرط محذوف، ويقدِّرونه بأردت، على الرغم من أن أسلوب الشرط كان مكتملاً، ولا يحتاج إلى تقدير، ثم إن تقدير الإرادة _هنا_ يؤدي إلى إشكالات النص في غنى عنها، وقد عالجنا هذه الآية في بحثٍ لنا سابق، عن إذا، واهتدينا فيه إلى أن إذا تكون بمعنى الحِين، مستندين في ذلك على كلام سيبوَيْه في الكتاب [40]، وأن النص حينئذ لا يحتاج إلى أي تقدير، كما تَبيَّن لنا أن حدث فعل الشرط المبدوء بإذا لابد أن يكون موجودًا طول أسلوب الشرط إذا كان الشرط والجواب من واحد، وليس كذلك عندما يكون الشرط من شخص والجواب من آخر، ولذلك فإن الطهارة من الحدثين لابد أن تكون قائمة طول الصلاة، وأي خلل فيها يؤدي إلى بطلان الصلاة، بينما في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [41]. فإن الشرط من شخص والجواب من شخص، ولذلك فإن الجواب يبدأ في الوجود بعد انتهاء الشرط، ولا تستمر التحية التي في

الشرط حتى انتهاء جواب التحية، مثلما هو الحال في الآية السابقة، بل الشرط ينتهي ثم يبدأ الجواب[42].

ثم تتحدث الآية عن أعضاء الطهارة الصغرى، الوضوء والطهارة الكبرى الغسل، والمفسرون يتحدثون عن خلافات فقهية في الأعضاء لا علاقة لنا بها، ثم يكون سياق الآية مثل سياق آية النساء، فهناك رخصة المرض والسفر التي ينتقل بهما الشخص من استخدام الماء إلى استخدام التراب، ثم تتحدث عن نماذج من ناقضات الطهارة، ثم تختم الآية بالحديث عن التيمم وأعضائه، ويبدو أن حديث المفسرين عن كلمة البحث _هنا_ هو نفس حديثهم في آية النساء، يقول الكيا الهراسي: "(أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ)، حمله قوم على الجماع، وقوم على الجس باليد"[43].

المبحث الثالث :الآية في الفقه المذهبي:

يبدو أن الآية كانت هي محل الاستشهاد في باب نواقض الوضوء عند فقهاء المذاهب الأربعة، (أحناف ومالكية وشوافع وحنابلة)، غير أن كل مذهب نظر إليها بمنظار بحسب رؤيته وقواعده، فمنهم من كانت عنده رئيسة في الاستدلال، ومنهم من كانت عنده ثانوية، وسيتبيَّن ذلك بشكل واضح عند استعراض أقوالهم فيما ينقض الوضوء عندهم.

أولًا: المذهب الحنفي:

يتحدث الأحناف عن نوعين من نواقض الوضوء، حقيقي وحكمي، يقول الكاساني: "أما الحقيقي فقد اختلف فيه، قال أصحابنا الثلاثة: هو خروج النجس من الآدمي الحي، سواء كان من السبيلين الدبر والذكر أو فرج المرأة، أو من غير السبيلين الجرح، والقرح، والأنف من

الدم، والقيح، والرعاف، والقيء وسواء كان الخارج من السبيلين معتادا كالبول، والغائط، والمني، والمذي، والودي، ودم الحيض، والنفاس، أو غير معتاد كدم الاستحاضة"[44]. وأما الحكمي فيقول الكاساني عنه: "وأما الحدث الحكمي فنوعان أيضًا أحدهما أن يوجد أمر يكون سببًا لخروج النجس الحقيقي غالبًا فيقام السبب مقام المسبب احتياطًا، والثاني أن لا يوجد شيء من ذلك، لكنه جعل حدثًا شرعًا تعبدًا محضًا، أما الأول فأنواع منها، المباشرة الفاحشة، وهو أن يباشر الرجل المرأة بشهوة، وينتشر لها، وليس بينهما ثوب، ولم يرَ بللاً، فعند أبي حنيفة، وأبي يوسف، يكون حدثًا استحسانًا، والقياس أن لا يكون حدثًا، وهو قول محمد وهلب تشترط ملاقاة الفرجين، وهي مماستهما على قولهما لا يشترط ذلك في ظاهر الرواية عنهما، وشرطه في النوادر، وذكر الكرخي ملاقاة الفرجين أيضًا وجه القياس أن السبب إنما يقام مقام المسبب في موضع لا يمكن الوقوف على المسبب من غير حرج، والوقوف على المسبب ههنا ممكن بلا حرج"[45]. فالمباشرة ناقضة للوضوء عندهم بالشروط التي تحدث عنها، وسبب النقض فيها أنها تتسبب في خروج النجس غالبًا، فيقام السبب هنا مقام المسبب[46]، ولذلك يقول: "ولو لمس امرأته بشهوة، أو غير شهوة فرجها أو سائر أعضائها من غير حائل ولم ينشر لها لا ينتقض وضوءه عند عامة العلماء"[47]. والرأي المقابل لذلك أن النقض لا يكون إلا بخروج المذي، وهذا داخل في خروج النجس الذي هو ناقض حقيقي للوضوء، يقول الزيلعي: "وقال محمد لا ينتقض الوضوء إلا بخروج مذي وهو القياس لأنه يمكنه الوقوف على حقيقته بخلاف التقاء الختانين"[48]. فالخارج النجس هو السبب في الوضوء، والمباشرة لما كانت السبب جُعلت ناقضة بشروطها السابقة، وليس بالضرورة أن تكون المباشرة بين رجل وامرأة، فكل مباشرة تؤدي إلى الخروج أو تتسبب في الغالب إلى الخروج فإنها تكون حينئذ ناقضة، ولذلك يقول

الشرنبلالي: "وفي القنية وكذا المباشرة بين الرجل، والغلام وكذا بين الرجلين توجب الوضوء عليهما"[49]. ويقول الحصفكي في نواقض الوضوء: "ومباشرة فاحشة بتماس الفرجين ولو بين المرأتين والرجلين مع الانتشار (للجانبين) المباشَر والمباشِر، ولو بلا بلل على المعتمد"[50]. فالناقض باختصار فيما يخص موضوعنا المعالج، هو المباشرة الفاحشة بشروطها السابقة؛ لأنها تتسبب بخروج النجس الذي هو ناقض حقيقي في المذهب الحنفي، فإن خرج النجس كانت ناقضًا حقيقيًا، وإن لم يخرج كانت ناقضًا حكميًا، ولذلك فهم لم يقصروا تلك المباشرة بين الرجل والمرأة، وإن كانت هي الغالب، بل كل مباشرة تؤدي إلى الخروج أو الغالب أن تتسبب بالخروج فإنها تكون ناقضة.

ثانيًا: المذهب المالكي:

المالكية يتحدثون عن المباشرة والمس؛ كونها ناقضة للوضوء، وهم لا يختلفون كثيرًا عن مذهب الأحناف إلا في القليل، وما سنذكره من نصوص سيبيِّن ذلك، يقول الإمام مالك: "في المرأة تمس ذكر الرجل، قال: إن كانت مسته لشهوة فعليها الوضوء وإن كانت مسته لغير شهوة لمرض أو نحوه فلا وضوء عليها، قال: فإذا مست المرأة الرجل للذة فعليها الوضوء، قال: وكذلك إذا مس الرجل المرأة بيده للذة فعليه الوضوء من فوق ثوب كان أو من تحته فهو بمنزلة واحدة، قال: وعليه الوضوء قال: والمرأة بمنزلة الرجل في هذا، قال: وإن جسها للذة فلم ينعظ فعليه الوضوء. قلت لابن القاسم: فإن قبلته المرأة على غير فيه على جبهته أو ظهره أو يده أتكون هي الملامسة دونه في قول مالك؟ قال: نعم إلا أن يلتذ لذلك الرجل أو ينعظ فإن التذ لذلك أو أنعظ فعليه الوضوء، قال: فإن هو لامسها أيضًا أو قبلها على غير الفم والتذت هي لذلك فعليها أيضًا الوضوء وإن لم تلتذ لذلك أو تشتهي فلا وضوء عليها"[51]. فالنص يركز

على الشهوة عند المس، فمتى ما كانت انتقض الوضوء ممن يشعر بتلك الشهوة، فإن شعرَا معًا انتقضا معًا، وإن شعَرَ أحدهما انتقض الشاعر بها، وليس هناك فارق بين المس بحائل أم بغير حائل؛ لأن القصة _هنا_ هي الشهوة والالتذاذ، كما أنه لا علاقة بالإنعاظ هنا، مثلما كان عند الأحناف، سواءً أنعظ الرجل أم لا، فإن الشهوة والالتذاذ هو ما يترتب عليه الحكم.

والمالكية مع الأحناف يتشابهون في تقسيم النواقض للوضوء، فالأحناف قسموها إلى حقيقي وحكمي، والمالكية إلى أحداث وأسباب، يقول محمد الطرابلسي: "ونواقض الوضوء أحداث وأسباب فالأحداث جمع حدث وهو ما ينقض الوضوء بنفسه والأسباب جمع سبب ... والسبب في عرف الفقهاء في نواقض الوضوء هو ما أدى إلى خروج الحدث كالنوم المؤدي إلى خروج الريح مثلاً واللمس والمس المؤديان إلى خروج المذي"(52). فاللمس _هنا_ ليس ناقضًا بذاته، وإنما نقض؛ لأنه يتسبب في خروج الناقض الحقيقي، ولذلك فإنه عندهم لا يختص باللمس بين الرجال والنساء، وإنْ كان ذلك هو الغالب، بل يجعلون كل لمس رافقه الالتذاذ ينقض الوضوء، يقول محمد الطرابلسي: "قال القاضي عياض في قواعده الثالث: يعني من موجبات الوضوء اللمس للذة بين الرجال والنساء فالقبلة والجسة ولمس الغلمان أو فرج سائر الحيوان قال شارحه سيدي أبو العباس القباب رحمه الله تعالى: قوله " والغلمان " يعني أن لمس الغلمان لمن قصد به اللذة كلمس النساء وهذا فعل من لا خلاق له، وإن وجدها دون قصد توضأ كما مضى تفصيل أحوال الملامسة، انتهى. وهذا الأمر ظاهر فقد ذكر هذا غير واحد من أهل المذهب ، وفي مس ذكر غير اللامس قال في المدونة وإذا مست امرأة ذكر رجل فإن كان بشهوة فعليها الوضوء وبغير شهوة من مرض ونحوه فلا ينتقض وضوؤها، انتهى"(53). فالأمر إذن مختص بالالتذاذ، ولذلك أدخل هنا الغلمان، وكذا فروج الحيوانات، فإنها متى ما التذَّ بها

اللامس، سواءً كان ذكرًا أم أنثى، فإن الوضوء حينئذ ينتقض، ومثل ذلك أيضًا مس المرأة المرأة بلذة ينقض، يقول محمد الطرابلسي: "وبقي شيء آخر وهو مس المرأة المرأة لم أر من تكلم عليها، والظاهر أنها كذلك"(54). ولأن المالكية جعلوا الالتذاذ هو ما عليه المدار في نقض الوضوء، فإنهم جعلوا الحكم يدور معها، حتى إذا كان اللمس لشيء لا يلتذ به، كالظفر والشعر يقول الطرابلسي: "ولو كظفر أوشعر قال في رسم الوضوء والجهاد من سماع أشهب من كتاب الطهارة وسئل عن الرجل يمس شعر امرأته أو جاريته تلذذًا فقال: إن مسه تلذذًا فأرى عليه الوضوء"(55). بل جعلوا الالتذاذ بالمحارم مثل ذلك، على الرغم أن الطبيعة البشرية لا تكون كذلك، غير أنهم اختلفوا في هذه المسألة، يقول الطرابلسي: "كلام سند يدل على أن اللذة بالمحرم تنقض نبه عليه ابن غازي وقال في الشامل فلا أثر لمحرم ونحوه لابن الحاجب قال ابن عبد السلام: ظاهره أنه لا وضوء وإن وجدت اللذة وظاهر كلام بعض أئمة المذهب أنه إذا وجدت اللذة في لمس ذات المحرم انتقضت الطهارة"(56). فالمالكية مع الأحناف يتشابهون في أكثر المسائل، ويختلفون فقط في طريقة اللمس، فالأحناف يتحدثون عن المباشرة والتعري والإنعاظ التي يندر لفاعلها، أن لا يخرج منه المذي، بينما المالكية يكتفون باللذة، ويعدونها سببًا لخروج المذي، والإنعاظ هناك شرط في المباشرة، بينما المالكية لا يجعلونه كذلك، بل يختلفون فيمن أنعظ، هل ينتقض وضوؤه أم لا، يقول الطرابلسي: "قال اللخمي في تبصرته واختلف في الإنعاظ إذا لم يكن معه مسيس فقيل: لا شيء عليه إلا أن يمذي، وقيل: عليه الوضوء؛ لأنه لا ينكسر إلا عن مذي وهذا مع عدم الاختيار وأرى أن يحمل على عادته فإن كان يعلم أنه لا يمذي كان على طهارته وإن كانت عادته أنه يمذي نقض"(57).

ثالثًا: المذهب الشافعي:

المذهب الشافعي يختلف في هذه المسألة كليًّا عن المذهبين السابقين، فاللمس باليد ناقض للوضوء، سواءً ارتبط بشهوة أم لا، وسواءً أدّى إلى خروج النجس أم لا، يقول الإمام الشافعي: "ذكر الله عز وجل الوضوء على من قام إلى الصلاة وأشبه أن يكون من قام من مضجع النوم وذكر طهارة الجنب ثم قال بعد ذكر طهارة الجنب "وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا" فأشبه أن يكون أوجب الوضوء من الغائط وأوجبه من الملامسة وإنما ذكرها موصولة بالغائط بعد ذكر الجنابة فأشبهت الملامسة أن تكون اللمس باليد والقبلة غير الجنابة أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء"[58]. فالنص يبين أن اللمس ناقض مثله مثل الغائط للوضوء، وإن كان في نصه بعض القلق، فقد تحدث عن ترتيب الآية، بالوضوء، ثم الجنابة، ثم الغائط الذي يؤدي إلى نقض الوضوء، ثم الملامسة التي التصقت بالغائط، وقد علل هذا، على الرغم أنها تتناسب مع ذكر الجنابة كما قال، إلا أنه جعلها ناقضة للوضوء، وصرفها عن معناها المتناسب مع الجنابة إلى اللمس باليد والقُبلة.

وهو يؤكد هذا المفهوم في نصه التالي؛ ليؤكد أن اللمس هو بالجسد، يقول: "وبلغنا عن ابن مسعود قريب من معنى قول ابن عمر، وإذا أفضى الرجل بيده إلى امرأته أو ببعض جسده إلى بعض جسدها لا حائل بينه وبينها بشهوة أو بغير شهوة وجب عليه الوضوء ووجب عليها، وكذلك إن لمسته هي وجب عليه وعليها الوضوء، وسواء في ذلك كله أي بدنيهما أفضى إلى الآخر إذا أفضى إلى بشرتها، أو أفضت إلى بشرته بشيء من بشرتها فإن أفضى بيده إلى شعرها ولم

يماس لها بشرًا فلا وضوء عليه كان ذلك لشهوة أو لغير شهوة كما يشتهيها ولا يمسها فلا يجب عليه وضوء، ولا معنى للشهوة؛ لأنها في القلب، إنما المعنى في الفعل، والشعر مخالف للبشرة قال: ولو احتاط فتوضأ إذا لمس شعرها كان أحب إلي. ولو مس بيده ما شاء فوق بدنها من ثوب رقيق خام أو بت أو غيره أو صفيق متلذذًا أو غير متلذذ وفعلت هي ذلك لم يجب على واحد منهما وضوء؛ لأن كلاهما لم يلمس صاحبه إنما لمس ثوب صاحبه"[59]. فالنص يؤكد أن الناقض هو اللمس بين الجسدين دون حائل، ولا علاقة للالتذاذ بذلك، وهو بهذا يفسِّرُ لامستم في الآية باللمس باليد، وليس الجماع.

وتبع الإمام الشافعي فقهاء المذهب، ولعل الإمام الماوردِي حاول أن يبرر كلام الإمام في الآية بقوله: "على أن زيد بن أسلم وهو من أهل العلم بتفسير القرآن قال: إن في الآية تقديمًا وتأخيرًا ورتب الآية ترتيبًا حسنًا يسقط معه هذا التأويل فقال: ظاهر قوله: "وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء". فيقتضي أن يكون السفر والمرض حدثا وبالإجماع ليسا بحدث فدل على أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، وأن ترتيب الكلام: يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة من نوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين إن وجدتم الماء، وإن كنتم جنبًا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر وجاءكم ما تقدم من الحدث أو الجنابة فتيمموا صعيدًا طيبًا"[60].

فاللمس في المذهب هو ما كان بين جسدين، أحدهما لذكر والآخر لأنثى، ولذلك فهُم يشترطون لذلك اللمس شروطًا تختلف عن شروط وآراء المذاهب الفقهية الأخرى، يقول

الغزالي: "السبب الثالث اللمس قال الله تعالى "أو لامستم النساء" فحمله أبو حنيفة رضي الله عنه على المجامعة وحمله الشافعي على الجس باليد ،ثم فيه فروع أربعة:

الأول :اللمس وفاقًا من غير قصد ناقض للوضوء للعموم خلافًا لمالك وحكى صاحب التقريب وجهًا فيه تشوفًا إلى رعاية المعنى الثاني الملموس وفيه قولان: أحدهما لا ينتقض طهره اقتصارًا على الظاهر فإنه ما لمس والثاني: ينتقض تشوفًا إلى المعنى لأن الملامسة مفاعلة، ولا خلاف أن المرأة إذا كانت هي اللامسة انتقض طهرها لأنها في معنى الرجل ،الثالث: في المحرم والميتة والصغيرة التي لا تشتهى قولان أصحهما أنه لا ينتقض تشوفا إلى المعنى والعجوز الهرمة ينتقض الوضوء بلمسها فلكل ساقط لاقط ،الرابع : في الشعر والظفر خلاف وكذا في العضو المبان منها والصحيح أنه لا ينتقض لانتفاء المعنى وهو الظاهر إذ لا يقال لمس النساء"(61).

رابعًا: المذهب الحنبلي:

مذهب الإمام أحمد يشبه مذهب الأحناف والمالكية، فالمس في ذاته ليس ناقضًا، وإنما كان كذلك؛ لأنه يتسبب هنا في إخراج النجاسة وخروج النجاسة ناقض عندهم، يقول ابن قدامة: "لمس النساء وهو أن تمس بشرته بشرة أنثى، وفيه ثلاث روايات: إحداهن: ينقض بكل حال، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: "أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا" الثانية: لا ينقض لما روي: «أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قبل عائشة ثم صلى ولم يتوضأ» . رواه أبو داود، وعن عائشة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – قالت: «فقدت النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فجعلت أطلبه فوقعت يدي على قدميه، وهما منصوبتان، وهو ساجد». رواه النسائي ومسلم. ولو بطل وضوؤه لفسدت صلاته. والثالثة: هي ظاهر المذهب أنه ينقض إذا كان لشهوة، ولا ينقض لغيرها جمعًا بين الآية والأخبار، ولأن اللمس ليس بحدث، إنما هو داع إلى الحدث، فاعتبرت فيه الحالة التي تدعو

فيها إلى الحدث كالنوم. ولا فرق بين الصغيرة والكبيرة، وذوات المحارم وغيرهن، لعموم الأدلة فيه"[62].

فالنص بيِّن، فظاهر مذهبهم هو القول الثالث، وقد علل النقض؛ كونه سببًا لخروج النجس، وهو الحدث، لكنهم يختلفون عن المذاهب السابقة في الحائل، فإنه متى مس المرأة حتى بشهوة لكنه من وراء حائل فإنه لا ينقض حينئذ، وكذا الشهوة دون المس، ومثله مس الشعر والظفر، ومس المرأة للرجل والرجل للرجل والمرأة للمرأة، حتى مع وجود الشهوة، يقول ابن قدامة: "وإن لمست امرأة رجلاً ففيه روايتان: إحداهما: أنها كالرجل، لأنها ملامسة توجب طهارة فاستوى فيها الرجل والمرأة كالجماع. والثانية: لا ينقض وضوؤها، لأن النص لم يرد فيها، ولا يصح قياسها على المنصوص، لأن اللمس منه أدعى إلى الخروج. وهل ينقض وضوء الملموس؟ فيه روايتان.

وإن لمس سن امرأة أو شعرها أو ظفرها لم ينقض وضوؤه. لأنه لا يقع عليها"[63]. يقول البهوتي : "ولا ينقض لمس من لها، أو له دون سبع لأنه ليس محلاً للشهوة. ولا لمس رجل لأمرد وهو الشاب، طر شاربه ولم تنبت لحيته. قاله في القاموس، ولو لشهوة. وكذا مس امرأة امرأة ولو لشهوة، لعدم تناول النص له"[64].

فهذه النصوص تبيِّن مذهب الإمام أحمد، والخلاف بينه وبين المذاهب السابقة.

من خلال نصوص الفقهاء السابقة، ومن خلال المعالجات اللغوية، يمكن إبراز الملاحظات الآتية:

_ المذاهب الثلاثة، الأحناف والمالكية والحنابلة، اللمس عندهم ليس ناقضًا بذاته؛ وإنما لأنه يتسبب في إخراج النجس، ولذلك فإن الآية ليست من الأدلة على نقض الوضوء، وغاية استدلالهم بها الالتماس؛ كونها تحدثت عن اللمس لا غير، وهم بعد ذلك يختلفون فيما بينهم في الفروع الفقهية المتعلقة بهذا اللمس، فالأحناف لابد عندهم من المباشرة والتعري والانتشار الذي يفضي بشكل مؤكد إلى خروج النجس، بينما يكتفي المالكية بالشهوة، وكذلك الحنابلة؛ لأن اللمس بشهوة في الغالب يؤدي إلى خروج النجس الذي هو الناقض عندهم.

_ المذهب الوحيد الذي يجعل اللمس ناقضًا بذاته هو المذهب الشافعي، ولذلك فإنه لا يتحدث عن الشهوة، ويتحدث عن المس المباشر دون الحائل، وهو يفسر المس في الآية باللمس باليد، أو بأي جزء من الجسد للجسد الآخر، على الرغم أن قلقًا في تفسير الإمام الشافعي للآية، كما بين نقله من الأم سابقًا، ولذلك فإن المذهب الشافعي هو المذهب الوحيد الذي يستدل بالآية على النقض، وهي من أدلته في نواقض الوضوء، وهذا يعني أن المذهب الشافعي في هذا الاستدلال مخالف لكل المذاهب الفقهية السابقة.

_ من خلال المعالجة اللغوية وكذا ما بينتْه المذاهب الفقهية الثلاثة، أحناف ومالكية وحنابلة، يتبين للباحثين أن كلمة لامس ومشتقاتها تستخدم للمس باليد أو بالجسد على الحقيقة، لكن هذه الألفاظ متى ما استخدمت مع المرأة فإنها تعني الجماع ومقدماته، وهذا الاستخدام مجازيٌّ، لكن النصوص اللغوية تبين أن التصاق اللفظ بالمرأة يعني الجماع ومقدماته لا غير، ومتى ما أراد المتكلم صرفه عن ذلك فإن عليه إيجاد قرينة لفظية أو معنوية، تمنع صرف اللفظ إلى المجاز، وقد استخدم الحديث اللفظة كذلك، كما بيّنا سابقًا، وكذا الشعر العربي، ولولا خشية الإطالة لأبرزنا العديد من الشواهد.

_ استخدمت الآية لفظة المفاعلة لامس، والمفاعلة تعني أن الحدث يحصل من اثنين، كل منهم يريد أن يفعل بالآخر مثل فعل الآخر به، ومنه خاصم، وقاتل، إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدل على المفاعلة، يقول الحملاوي: "فَاعَلَ : يكثر استعماله في معنين، أحدهما: التشارُك بين اثنين فأكثر، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً، فيقابله الآخر بمثله، وحينئذ فيُنْسَب للبادئ نسبة الفاعلية، وللمقابل نسبة المفعولية"(65). وفي الآية جاءت اللفظة كذلك، فهي تدل على مفاعلة بين اثنين، والتفسير باللمس العادي لا يعطي معنى هذه المفاعلة، مما يجعل تفسيرها باللمس بعيدًا، ولا يمكن أن تكون حينئذ المفاعلة موجودة، إلا أذا فُسَّرت بالجماع ومقدماته، فالمفاعلة تكون واضحة وبينة، يضاف إلى ذلك أن اللفظة _هنا_ مرتبطة بالنساء الذي يؤكد أن اللفظة لا تفسير لها غير الجماع ومقدماته، وهي المتسقة مع الآية، حتى قراءة لمس فإنها لا يمكن أن تفسَّر إلا بالعلاقة بين المرأة والرجل، ويؤكد هذا سياق الآية، وقراءة لامس، والتصاق اللفظة بالنساء، والاستخدام اللغوي للفظة إذا ارتبطت بالمرأة.

_ المذاهب الفقهية السابقة غير المذهب الشافعي تفسِّر لامس في الآية بالجماع ومقدماته، ولذلك فهم في استدلالهم بالآية، على الرغم أنها لم تكن دليلاً في نقض الوضوء عندهم، فإنهم في ذكرهم لها إنما يلتمسون بها؛ ليثبتوا أن المقصود بها الجماع، وأن اللمس المفسر عندهم هو المباشرة والمفاعلة بين المرأة والرجل في الأصل التي تؤدي إلى خروج النجس يقول السرخسي: "ألا ترى قوله "أو لامستم" فأكثر ما في الباب أن يثبت أن المراد بتلك القراءة الجماع"(66). فالنص بيّن في فهمهم لمعنى اللفظة في الآية، ويقول القرطبي من المالكية: "فصل وقوله في الآية: "أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ" اختلف في الملامسة التي عناها الله تعالى ما هي، فمذهب مالك ما قدمناه أنها ما دون الجماع وقد روي عن جماعة من الصحابة والتابعين أنها كناية عن الجماع. ومن

ذهب إلى ذلك لم يوجب الوضوء في القبلة ولا في المباشرة ولا في اللمس إذا سلم في ذلك من المذي"[67]. فالنص يؤكد أن اللمس هنا لا اللمس باليد، وإنما الذي يتشارك فيه الاثنان، ويقصد كل منهما بسببه الالتذاذ، وهذا من مقدمات الجماع، فالآية عندهم مقصودها تلك المقدمات للجماع، التي تؤدي إلى خروج النجس الذي هو ناقض عندهم، ويقول الزركشي: "وملاقاة جسم المرأة لشهوة: هذا خاتمة النواقض، وهو ملاقاة جسم الرجل جسم المرأة لشهوة، على المشهور، المعمول به من الروايات، لقول الله تعالى: "أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ" والمفهوم منه في العرف المس المقصود منهن، وهو المس للتلذذ، أما المس لغرض آخر فلا فرق بينهن وبين غيرهن في ذلك، ولأن اللمس بشهوة هو المظنة لخروج المني والمذي، فأقيم مقامه، كالنوم مع الريح"[68]. فالنص يؤكد أن اللمس المقصود هنا هو المقصود منهن وهو الجماع ومقدماته.

نصوص المذاهب السابقة تؤكد أن اللفظة في الآية مقصدها الجماع ومقدماته، وهو المتسق مع الآية، ومع اللغة، ويكون الشافعي مخالفًا لأولئك جميعًا، وهذا يؤكد أن ما ذهبنا إليه من اللفظة إذا التصقت بالمرأة في كل مشتقاتها، إنما تعني الجماع، إلا إذا دلَّت قرينة تمنعها من هذه الدلالة.

_ سياق الآية في ترتيبها يؤكد ما ذهبنا إليه، ففي آية المائدة بدأت بالحديث عن القيام للصلاة، وأنه متى فعلتم ذلك فإنه لابد عليكم أن تتطهروا بالوضوء، ثم تحدثت عن ماهية الوضوء؛ لأنها تبين حقيقتها، أن ذلك القيام إلى الصلاة كان دون تطهُّر، والتطهُّر على نوعين، تطهر من الحدث الأصغر، وقد بدأت به الآية، وتطهُّر عن الحدث الأكبر، وهو ما يوجب الغسل، وقد تحدثت عنه الآية، بقوله: وإن كنتم جنبًا فاطَّهروا، فبينت الآية أنه لا يجوز الدخول إلى الصلاة إلا بعد التطهُّر، مما كان فيه الإنسان، سواءً حدثًا أصغر أو أكبر، وقد بدأت الآية

بالحدث الأصغر؛ لأنه الأكثر حدوثًا، ثم تحدثت عن الأكبر؛ لأنه في الحدوث أقل بكثير من الأصغر، ولذلك أوجبت الشريعة من الأول الوضوء، ومن الثاني الغسل، وكلاهما الأصل فيهما الماء، ثم بينت الآية رخصتين يستطيع بهما الإنسان القيام إلى الصلاة، والتطهُّر من الحدثين بغير الماء، وهو التراب الذي سمته الآية بالتيمم، والرخصتان هما المرض والسفر، فالمرض يمنع من استخدام الماء، ويتعرض له جميع الناس، فكان مقدَّمًا، والسفر يصعب فيه استخدام الماء؛ لندرته أو عدم وجوده، وهذا قليل عند الناس، فأخَّره؛ تطبيقًا لترتيب الآية في التقديم والتأخير، ثم تحدثت الآية بعد ذلك عن أمرين يتسببان في نقض الطهارة الصغرى والكبرى، هذان الناقضان هما قوله: أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء، فالغائط خارج ينقض الوضوء بإجماع الفقهاء، وقد قدَّمه هنا؛ ليتناسب مع تقديم الحدث الأصغر في الآية، ولمس النساء ومقصده الجماع، وقد جاء مؤخرًا؛ ليتناسب مع تأخيره في بداية الآية لمَّا عبَّر عنه بالجنب، هكذا كان ترتيب الآية، فتفسير اللمس بالجماع يتناسب مع ترتيب الآية، فقد بَنَت نموذجًا لموجب الوضوء، ونموذجًا لموجب الغسل، أما تفسير اللمس _هنا_ باللمس باليد، يجعل الآية تقدم نموذجَين موجبَين للوضوء، وتسكت عن ما يوجب الغسل، وتجبر من يفسر ذلك بالتقديم والتأخير الذي لا موجب له، كما فعل الماوَرْدِي في الحاوي الكبير.

هذا الترتيب في الآية يؤكد أن اللمس في الآية مقصده الجماع لا غير، وأن تغيير هذا المفهوم يخل بترتيب الآية الذي سارت عليه من أولها.

وهذا الأمر يسير في ترتيب آية النساء، غير أنها قدمت أحكامًا جديدة لم تكن في آية المائدة، فقد تحدثت عن نهي الناس من القرب إلى الصلاة وهم مختلِّي العقل، والصلاة _هنا_ هي المساجد؛ لأنها مكان الصلاة، وتعني أيضًا الصلاة بذاتها، ونهت أيضًا عن قرب المساجد

للجُنُب، فالتطهُّر يعود للأمرَين قرب الصلاة على حقيقتها دون طهارة صغرى أو كبرى، وكذا دخول المساجد مع الجنابة، ثم رتبت الآية على نفس ترتيب آية المائدة، فالترتيب في الآيتين قد سار على طريقة واحدة؛ ليؤكد أن ما ذهبنا إليه هو الصواب، وأن الترتيب ذلك مقصود، وأن تفسير اللمس بغير الجماع يخل بترتيب الآيتَين.

وقد ألفتَ لمثل هذا الترتيب الكيا الهراسي في معرض ردِّه على من جعل تقديمًا وتأخيرًا في الآية، يقول: "تقدير الآية: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم محدثون مطلقًا﴾، لينتظم مع قوله: (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا)، فإنه إذا ذكر أسباب الحدث عند وجود الماء، فيشبه أن يذكر أسباب الجنابة، وإن ذكر الحدث مطلقًا، ذكر الجنب مطلقًا، ففيما ذكره زيد بن أسلم قطع الانتظام من هذا الوجه"(69).

_ يتحدث الشافعية ومعهم اللغويون أن لفظ اللمس ومشتقاته هو حقيقة في اللمس باليد، وأن استخدامها في الجماع مجاز، وتفسير اللفظ على حقيقته أَوْلى من مجازه، والحقيقة _هنا_ تؤكد أن لمس المرأة ينقض الوضوء، ويمكن الرد على ذلك بأمرَين: الأمر الاول بكلام اللغويين، أن اللفظة متى ما اقتُرنت بالنساء فهي كناية على الجماع، ما لم يصرف من ذلك صارف يؤكد عودة اللفظ إلى حقيقته، والأمر الثاني: من سياق الآية التي تؤكد أن المجاز هو المعني في الآية، فقد استخدمت الآية عددًا من الألفاظ انبنَتْ عليها جملة من الأحكام، وفي استخدامها كان مجازًا من هذه الألفاظ، أولى هذه الألفاظ كلمة جُنُبًا، وكلمة الغائط، ومن الاستخدام المجازي للكلمات في الآية كلمة لامس، فهي مثل سابقاتها، وقد حرصت الآية على استخدام المجاز فيما يوجب الوضوء، وهو الغائط، ومقتضى التناسب استخدام المجاز فيما يوجب الغسل على أن الاختيار للفظين _أيضًا_ كان متناسبًا، فهناك نواقض للوضوء وللغسل غير الجماع

وغير خروج النجس، لكنه تعمد أن يأتي بالاثنَين وكليهما مما يتأفف ويستحي من ذكرهما، فعبَّر عنهما بالمجاز، فكنَّى باللفظين الغائط ولامستم عنهما، مما يعني أن المجاز في الكلمتين وفي الموقعين مقصود إلى جانب أن الحكم الخاص بالمرض والسفر يختلف عن الحكم في الغائط ولامستم، ولذلك اختلف التعبير، فجاء بكُنتم مرضى أو على سفر بإلصاق الضمير مباشرة بكُنتُم، ثم لما جاء بالغائط قال: أو جاء أحد منكم الغائط، فلم ينسب الغائط للضمير، فجعل الضمير للغائب، وأسند الفعل إلى أحد، وعطف عليه لامستم النساء؛ ليبين أن حُكمًا لهؤلاء غير الحكم السابق في السفر والمرض، فهما مشتركان للانتقال من الماء إلى التراب في الوضوء والغسل، بينما هذا الحكم يرتبط بالنواقض، وليس بالانتقال من الماء إلى التراب، وطالما أن ما ينتقض على نوعين فإن النواقض ستكون على نوعَين، كل واحد يناسب ناقضه، ومرتب مثل ترتيبه، وهذا كله يؤكد أن لامستم في الآية تعني الجماع ومقدماته.

الخاتمة والنتائج :

في ختام هذا البحث نبرز النتائج الآتية:

_ أن لامس ومشتقاتها تعني اللمس باليد في معناها الحقيقي، وتعني الجماع في المعنى المجازي، لكنها متى ما التصقت بالنساء فإنها تعني الجماع ومقدماته، وقد جاء ذلك الاستخدام في اللغة وفي القرآن وفي السنة، ومتى ما أراد المتكلم استخدامها للنساء وأراد من استخدامه المعنى الحقيقي وهو اللمس باليد فإن عليه وضع قرينة معنوية أو لفظية، تبين للقارئ أنه يريد اللمس باليد وليس الجماع ومقدماته.

_ المذاهب الفقهية الإسلامية (أحناف ومالكية وشافعية)جميعهم استدلوا بالآية في باب نقض الوضوء، لكنهم اختلفوا في المقصد، فالأحناف والمالكية والحنابلة رأوا أن الناقض للوضوء هو الخارج النجس، ورأوا أن العلاقة بين الرجل والمرأة تؤدي إلى خروج النجس، فجعلوا تلك العلاقة ناقضة، وأعطوا الحكم هنا للسبب حتى وإن لم يصل الأمر إلى خروج النجس، فبنوا الحكم على الغالب، ولذلك لم تكن الآية عندهم ذات استدلال حقيقي في ذلك، وإنما جاؤوا بها التماسًا، ولذلك فإنهم في حديثهم عن هذا الناقض يتحدثون عن الشهوة والمباشرة والتعري والإنعاظ، إلى غير ذلك، والمذهب الشافعي هو المذهب الوحيد من بينهم الذي جعل اللمس ناقضًا للوضوء، ولذلك كانت الآية عنده دليلاً حقيقيًّا، لكنه في ذلك يخالف ما عليه أهل اللغة والمذاهب السابقة.

_ اللغة تبقى حية بالتصاقها بالقرآن الكريم؛ لأنه يمدها بالحياة ويجعلها قادرة على الحركة والإنتاج، ويخرجها مما هي عليه من الجمود، ولذلك فإننا في حاجة إلى إعادة اللغة إلى وظيفتها الرئيسة، وهو فهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وسيظل القرآن والسنة مصدرا إلهام للغة؛ لأن القرآن لم ينقطع في التنزل، بل هو متجدد في ذلك في كل العلوم على هذه الدنيا، وتعد اللغة هي المفتاح الوحيد لفهمه وسبر أغواره ومعرفة جواهره.

الهوامش:

(1) صحيح مسلم، رقم (1716)، 1342/3.

(2) العين، 208/7_209.

(3) تهذيب اللغة، 226/12.

(4) تاج اللغة، وصحاح العربية، 978/3.

(5) أساس البلاغة، 213/2.

(6) مختار الصحاح، ص 294، والقاموس المحيط، ص 575، وتاج العروس، 508/16، والمعجم الوسيط، 2/ 868.

(7) العين، 268/7.

(8) تهذيب اللغة، 316/12.

(9) سنن أبي داؤود، رقم (2049)، 220/2.

(10) معالم السنن، 3\181، وشرح السنة، 288/9، وجامع الأصول، 533/11، ومشكاة المصابيح، 990/2، وغيرها.

(11) عون المعبود، 32/6، والميسر في شرح مصابيح السنة، 784/3.

(12) المحكم، والمحيط الأعظم، 520/8.

(13) أساس البلاغة، 180/2.

(14) القاموس المحيط، ص 573.

(15) تاج العروس، 484/16، ولسان العرب، 209/6، والمعجم الوسيط، 838/2.

(16) العين، 117/1.

(17) جمهرة اللغة، 859/2.

(18) تهذيب اللغة، 8/ 229.

(19) مجمل اللغة، ص 794.

(20) المحكم، والمحيط الأعظم، 115/4.

(21) القاموس المحيط، ص 573.

(22) تاج العروس، 162/16.

(23) تاج العروس، 485/16.

(24) النساء، آية (43).

(25) المائدة، آية (6).

(26) جامع البيان في تأول القرآن، 375/8 وما تلاها، والنكت والعيون، 490/1، والكشاف، 514/1، وزاد المسير، 408/1_409، ومفاتيح الغيب، 86/10، والجامع لأحكام القرآن، 199/5 وما تلاها، وغيرها من كتب التفاسير.

(27) تفسير البغوي، 627/1.

(28) سنن ابن ماجه، رقم (750)، 240/1.

(29) مفاتيح الغيب، 86/10.

(30) جامع البيان في تأويل القرآن، 385/8.

(31) جامع البيان في تأويل القرآن، 389/8_396.

(32) أحكام القرآن، 462/2.

(33) النكت والعيون، 490/1_491.

(34) النكت والعيون، 491/1.

(35) زاد المسير، 411/1.

(36) الجامع لأحكام القرآن، 223/5.

(37) روح المعاني، 41/3.

(38) التحرير والتنوير، 66/5_67.

(39) معالم التنزيل، 20/2_21.

(40) الكتاب، 60/2.

(41) النساء، آية (86).

(42) اذا الشرطية (زمانها وتعلقها) ص 20.

(43) أحكام القران للكيا الهراسي، 49/3.

(44) بدائع الصنائع، 24/1.

(45) نفسه، 29/1_30.

(46) المبسوط، 68/1.

(47) بدائع الصنائع، 30/1.

(48) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، 12/1.

(49) حشاية الشرنبلالي على درر الأحكام، 16/1.

(50) الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه146/1.

(51) المدونة، 121/1_122

(52) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، 291/1.

(53) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، 296/1.

(54) المصدر السابق نفسه، 297/1.

(55) المصدر السابق نفسه، 297/1.

(56) المصدر السابق نفسه، 298/1.

(57) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، 298/1.

(58) الأم، 29/1.

(59) الأم، 29/1_30.

(60) الحاوي الكبير، 185/1.

(61) الوسيط، 316/1_318.

(62) الكافي، 89/1_90.

(63) الكافي، 90/1

(64) دقائق أولي النهى، 73/1.

(65) شذا العرف في فن الصرف ص 30_31.

(66) المبسوط 67/1.

(67) المقدمات الممهدات 79/1.

(68) شرح الزركشي على مختصر الخرقي 264/1.

(69) أحكام القران للكيا الهراسي، 48/3، ومفاتيح الغيب، 89/10.

المصادر والمراجع:

1. آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، : المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2،، 1388هـ - 1968م.
2. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، التتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط1.
3. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1،، 1422هـ.
4. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، : دار العلم للملايين، بيروت، ط1،، 1987م.
5. ابن رشد القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد، المقدمات الممهدات، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ - 1988م.
6. ابن سميط، حسن أحمد، إذا الشرطية (زمانها وتعلقها) مجلة كليات التربية، جامعة عدن، العدد الأول ، 2017م.
7. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.

8. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، ط2، 1412هـ - 1992م.
9. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية، تونس، 1984م.
10. ابن فارس، أحمد، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ - 1986م.
11. ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ط1، 1414هـ - 1994م.
12. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
13. ابن منظور محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.
14. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
15. الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
16. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
17. البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.

18. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ - 1983م.

19. البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس الحنبلي، دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، عالم الكتب، ط1، 1414هـ - 1993م.

20. التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م.

21. التُّورِبِشْتِي، فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبي عبد الله، شهاب الدين الميسر في شرح مصابيح السنة، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2، 1429هـ - 2008م.

22. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.

23. الحطاب الرُّعيني، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1412هـ - 1992م.

24. الحملاوي، أحمد بن محمد، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض.

25. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1351هـ - 1932م.

26. الرازي، أحمد بن علي أبي بكر، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ- 1994م.

27. الرازي، زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ - 1999م.

28. الزركشي، شمس الدين محمد بن عبد الله المصري الحنبلي، شرح الزركشي، دار العبيكان، ط1، 1413هـ - 1993م.

29. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ - 1998 م.

30. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

31. الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي فخر الدين، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، وحاشية شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ط1، 1313هـ.

32. السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة، المبسوط ، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ - 1993م.

33. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، : مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988م.

34. الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، دار المعرفة، بيروت، 1410هـ - 1990م.

35. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.

36. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الوسيط في المذهب، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم، محمد محمد تامر، دار السلام، القاهرة، ط1، 1417هـ.

37. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

38. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

39. الفيروزآبادي، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ - 2005م.

40. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

41. الكاساني، علاء الدين، أبي بكر بن مسعود بن أحمد، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ - 1986م.

42. الكيا الهراسي ، علي بن محمد بن علي، أحكام القرآن، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1405هـ.

43. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ - 1999م.

44. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون، ، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

45. المدني، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، المدونة، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.

46. المرتضى الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين.

47. مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

48. مصطفى، إبراهيم ، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

النحو بين المعيارية والدلالة

د. بشير عبد الله علي المساري*
Fadfor14@gmail.com

ملخص الدراسة:

ترتكز هذه الدراسة التي بعنوان (النحو بين المعيارية والدلالة) على مباحث وعناوين جانبية، ملخص مضمونها هو تجديد المحاولات التي سبق بها آخرون في إعادة كتابة النحو العربي بالطريقة المثلى، وبما من شأنه تسهيل النحو بتهديفه والجمع بين قواعده الجامدة والدلالات العامة، وقد سارت الدراسة على النحو التالي:

المبحث الأول: وقد اشتمل على استقراء بعض اختلالات مناهج التأليف القديم وتناقضاته، سواء على مستوى تقسيم الكلام، أو تقسيم الأبواب، أو التدرج العلمي، أو الانتقال من نظام تأليف إلى آخر.

المبحث الثاني: وقد تطرق إلى مسألة التناقض أحيانا بين المعنى النحوي الإسنادي والمعنى الدلالي العام، من مثل قولنا: (تعرض الطفل للضرب من الصغير والكبير) فالطفل في النحو فاعل وفي المعنى العام مفعول به.

المبحث الثالث: وقد اشتمل على نظام تركيب الجملة وأنواعها، وما ينبغي أن يسير عليه التركيب من جمل بسيطة قصيرة، إلى جمل بسيطة مطولة، إلى جمل مركبة قصيرة، إلى جمل مركبة طويلة، وقد تضمن محاور ذات صلة مثل التحويل والاستبدال في نظام الجملة، وذلك من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، ومطابقة ومخالفة.

* أستاذ النحو والصرف المساعد بكلية التربية أرحب – جامعة صنعاء.

المبحث الرابع: وقد تناول الإعراب بين المعيارية وتضافر القرائن، وتمثل المعيارية نظام التأليف القديم، وتمثل نظرية تضافر القرائن نظام التأليف النحوي التجديدي (النحو الدلالي) وفيه أثبت الباحث أن الحاسم في معرفة الوظائف النحوية ليست العلامة الإعرابية وحدها ولكن جملة من القرائن الدالة.

المبحث الخامس والأخير: وقد تناول جدلية العامل النحوي وتعقيداته، وكيف أن نظرية العامل افتراضية، ومن باب لزوم ما لا يلزم، وأن الذي يؤثر في الموقع الإعرابي هو نوع التعليق بين مكونات النحو، فقد يكون الفعل واحدا وبصيغة واحدة لكن متعلقاته مختلفة، نظرا لاختلاف معاني المكونات المقابلة.

وأخيرا انتهت الدراسة بخلاصة جامعة لما سبق تناوله مع الأمثلة اللازمة ..

الكلمات المفتاحية: منهجية التأليف النحوي؛ التحليل بتضافر القرائن؛ نظام تركيب الجملة العربية؛ الاستبدال والتحويل في النحو؛ التعليق بين مكونات الجملة.

Grammar between Standard and Semantics

Dr. Basheer abdallah ali almsary

Abstract:

The current study, entitled ' Grammar between Standard and Semantics', is based on research and side addresses, a summary of its content is the renewal of attempts by others to rewrite the Arabic grammar in an optimal way, and that would facilitate grammar through guiding and combining its rigid rules and general indications. The study proceeded as follows:

The first topic indicates an extrapolation of some of the imbalances and contradictions of the old authoring curricula, whether on the level of division of speech, division of doors, scientific progression, or the transition from an authoring system to another.

The second topic addresses the issue of contradiction sometimes between the grammatical meaning of the chain and the general semantic meaning, such as our saying: (the child was beaten by the small and the adult), as the child in grammar is subject, but in the general meaning is object.

The third topic includes the system of syntax and its types, and what should be followed by the synthesis from simple short sentences, to simple lengthy sentences, to short compound sentences, to long compound sentences, and may include related axes such as conversion and replacement in the sentence system, and that from submitting, delaying, deleting, mentioning, matching and violating.

The fourth topic deals with the syntax between normative and concerted evidence, and normative represent the old authoring system, and the theory of concerted evidence represents the regenerative syntactic synthesis system (semantic syntax) in which the researcher has proved that the determinant of knowledge of grammatical functions is not the syntactic sign alone but a group of indicative indications.

The fifth and final topic deal with the dialectic of the grammatical factor and its complexities, and how the theory of the factor is hypothetical, and it is necessary for what is not necessary, and that what affects the syntactic location is the type of comment between the components of grammar, the verb may be one and in one form but its related things are different, given the difference in meanings corresponding components.

Finally, the study has ended with a comprehensive summary of what was previously discussed with the necessary examples.

Key Words: Grammatical Synthesis Methodology, Analysis of Concerted Evidence, Arabic Syntax System, Replacement and Transfer in Grammar, Comment between the Components of the Sentence.

مقدمة:

كانت اللغة العربية في مرحلة التفوق الحضاري الإسلامي شبه عالمية، وكان التسابق إلى دراسة النحو وتمثله غاية الأمم والشعوب الأخرى، غير أن النحو يشهد الآن تجافيا شديدا عن الواقع، ولم يعد سوى مجال اهتمام طلاب العلوم الشرعية الذين يأخذونه كمادة إلزامية، فلماذا هذه الانتكاسة وأين تكمن المشكلة؟ في الواقع لا تعزى المشكلة فقط إلى ارتباط ريادة نحو العربي بالتراجع الحضاري الإسلامي، بل من الجرأة العلمية القول إن عوامل كثيرة قد أسهمت في ذلك ليس أقلها أهمية منهجية التأليف التي طغت عليها المعيارية والقوالب الجامدة، ونزع القيم الدلالية منه التي تغذي الأهداف وتعززها، فصار كما لو أن النحو يدرس لذاته، والقواعد تجود لذاتها، مع هدف صغير يمكن تحقيقه ببعض المهارات التطبيقية بدون هذا التضخم في التأليف، وهذا الهدف يتمثل في اكتساب المهارة النطقية والكتابية وحسب، أي ضبط اللسان من الوقوع في الخطأ.

بمعنى آخر إذا كان النحو إنما ألف لإجادة النطق الفصيح فيكفي دراسة التغيير النحوي للكلمات المعربة بتغير الأحوال السياقية وهذا سيشمل ما تظهر عليه العلامات الأصلية والفرعية في حالاتها الإعرابية الأربعة الرفع والنصب والجر والجزم، وهي إلى جانب الإعراب التقديري وعلى المحل قليلة ويمكن تحصيل ذلك مع مهارات الإملاء في وقت ليس بالكبير.

غير أن النحو أكبر من أن يقولب في قواعد قُل ولا تقُل، بل هو القيم الدلالية أيضا التي يمكن استخلاصها من نظام تركيب الجملة وصور استبدال المكونات النحوية، وكشف ما هو حسن في الأداء وما هو أحسن، وتلك غاية تطرق إليها سيبويه أول من قعد للنحو في كتاب

جامع حيث قال :" فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب[1] غير أن ذلك انتهى إلى قواعد معيارية جامدة وتسربت إليه التخريجات الفلسفية، والحشو وهذا ما لفت إليه النظر وحتم التجاوب مع معطيات الواقع التي تقتضي محاولة إعادة الروح إلى النحو، بإبراز النحو الدلالي أكثر من المعياري مع الاحتفاظ التام بالغايات التي من أجلها نشأ النحو ومنها سلامة النطق من الخطأ والتزام فصيح اللغة بدل اللغات المحلية (اللهجية) وهذا ما قاد إلى فكرة إعادة كتابة النحو بمنهجية جديدة ليكون اسمه (النحو الدلالي) يتغيا إخراج النحو في كتاب لا يخلو من المحاولات الجادة في التبسيط، وطبقا للتناولات التي تبرز واقع النحو بين المعيارية والدلالة الذي يتناوله هذا البحث في عناوين جانبية مختلفة، مع أمل يحدو الباحث في الشروع بمحاولة ربما غير مسبوقة لتجديد حلة النحو وتضمينه الجديد النافع والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل.

أهداف الدراسة:

تعمل الدراسة على تحقيق أهداف نحوية تجديدية أهمها:

1- تهديف النحو بالتركيز على الدلالة النحوية بالإضافة إلى معيارية الصواب والخطأ.

2- توضيح الصعوبات والاختلالات الواردة في التأليف النحوي عند التقعيد له بإغفال دور الدلالة النحوية.

3- الدعوة إلى إعادة التقعيد النحوي وبما يواكب متطلبات العصر ولغته.

4- تسهيل النحو بالتخفيف من بعض الفرضيات الفلسفية، والعلل المتكلفة.

5- تضمين الشواهد النحوية أمثلة من القرآن الكريم ومن الواقع.

6- جدولة التعليق النحوي من حيث إبراز نوع الضمائم واللواصق التي تلحق الوظيفة النحوية، للتفريق بينها وبين المواقع الأخرى.

7- إبراز الفروق الإعرابية والدلالية (القيم الخلافية) نهاية الحقول النحوية من مرفوعات ومنصوبات ومجرورات، والتفريق بين حروف المعاني بالشكل الذي يقرب للدارس معرفة خصائص كل نوع.

8- تقديم التحليل الإعرابي عن طريق تضافر القرائن.

أهمية الدراسة:

تتميز هذه الدراسة في أنها تحاول دخول مربع شبه مهجور بل ربما أمكنني القول إنه محظور ومحفوف لدى الكثير بالمخاطر ومحكوم بالفشل، وليس هذا الارتياد من باب خالف تعرف بل من باب كسر الحظر المفروض، ومحاولة فك عقدة كامنة لم يصل إليها أحد على مستوى تأليف نحوي بديل، نظرا للمهابة التي أحيط بها علم النحو، أي العقدة التي ساهمت في صعوبة النحو، ولدي يقين ذاتي بأن النحو لم ينضج حتى احترق كما يقال، ولكن لا يزال قابلا للتجديد والتحديث، وأن فك هذه العقدة لن تكون إلا بإعادة إجالة النظر مجددا ولو بخطوات جريئة لا أدري ما مدى حظوظ نجاحها ولكني أدري مع براءة القصد وسلامة النية أن لكل مجتهد نصيبا.

وفي الواقع أن ثمة محاولات قد سبقت لتغيير مسار النحو أو تعديله على أيدي علماء كبار من مثل ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) وفي العصر الحديث تأتي محاولات جادة لإعادة النظر في بعض ما يتصل بالنحو من منهجية وتقسيم وعلل وأقيسة منهم د. تمام حسان

في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها ود. شوقي ضيف في كتابه (تجديد النحو) و(تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا) ود. محمد حماسة في كتابه (النحو والدلالة)، ومحاولات قد نختلف معها مثل رأي د. إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) الذي انتهى فيه إلى القول إن العلامات الإعرابية لمجرد تسهيل الحركة، وهو ذات الشيء الذي ذهب إليه ابن مضاء، ومثله قطرب محمد بن المستنير (ت206هـ) قال أبو البقاء "قال قطرب دخل الإعراب الكلام استحسانا لأن المتكلم يصل بعض كلامه ببعض وفي تسكين أواخر الكلم في الوصل كلفة فحرك تسهيلا على المتكلم[2]. هذه المحاولات لم تصل إلى نهاية تغير مجرى النحو السائد وهو ما حفز صاحب الدراسة إلى إعادة المحاولة ربما تنجح وقد تنجح على يد محاولة أخرى لغيري تكون فتحا جديدا في عهد جديد.

على أن من الجدير ذكره في الختام أن هذه الدراسة لم تشمل كل ما يجب إعادة النظر فيه بقدر ما هي أمثلة وإشارات عامة كمحاولة لإثبات أحقية النحو في إعادة قراءة قواعده ودوام النظر في السبل الكفيلة بتيسيره مع الاحتفاظ بأهداف القدامى من تأليفه والغاية منه.

المبحث الأول: منهجية التأليف

أ- التقسيم النحوي:

الناظر في منهجية التأليف يجد أن ثمة اضطرابا لا يخطئه النظر لنأخذ مسألة تقسيم الكلام، تم تقسيم الكلمة إلى اسم، وفعل، وحرف، وأدخلوا تحت الاسم ما لا علاقة له بالاسم دلاليا وأحيانا وظيفيا، مثل المصادر، والصفات، والضمائر، والاستفهام، والظروف، وجعلوا الضابط معياريا وهو اشتراكها في بعض الخصائص مثل صحة الإسناد إلى بعضها، ودخول حروف الجر عليها، وعدم دخولها أي حروف الجر على الفعل.

ولأنه لا رابط دلالي يجمعها سنجد أن من علامات الاسم الدال على محسوس ما يقبلها البعض من تلك الأسماء الملحقة ومنها ما لا يقبلها الآخر.

والحقيقة أن هذا التقسيم قد أحدث فجوة بين الثقافة العامة وتقسيمات النحاة، فالاسم في اصطلاح الناس والمعاجم هو ما دل على معين، وهي أسماء الأعيان الأربعة الدالة على الذات لا غير وهي أسماء الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، فهذه هي ما يمكن لأحدها أن يكون له اسما يميزه عن غيره، فكيف يكون نحو، (جلالة، وعظيم، وهي، وإذ، ولدى، وكيف) أسماء؟ ولا يستوعب الدارس أن نحو (إذ) الظرفية اسم!

قد يقال إنها لا تدل على معين ولكنها تدل على مسمى بواسطة السياق، وهذا صحيح وهو يدل على أنها دالة على أسماء وليست هي رموزا اسمية لمسميات، فمثلا عندما أقول (تفاحة) فكلمة تفاحة اسم أو رمز لفظي عربي لفاكهة معينة، تظهر صورتها في الذهن، لكن عندما أقول (هذه) يدل على مطلق الإشارة ولا يظهر له مسمى مشار إليه لا معنوي ولا مادي، إلا عندما أقول: (هذه تفاحة) مثلا، فكلمة هذه دالة على مسمى وليست اسما له، وما دل على مسمى ليس كما دل على معين، ولذلك جمع د. تمام حسان الإشارة، والضمير، والموصول تحت مسمى الضمائر، ونظرا لاختلاف معانيها فقد اختلفوا في تعريف الاسم حتى بلغ نحو 70 تعريفا.

والسؤال هنا هل نحن بصدد إعادة تقسيم الكلام فيلائم بعض اللغات من تقسيمه إلى اسم، وفعل، وصفة، وظرف، وحرف؟!

هذا ما ذهب إليه بعض العلماء المعاصرين، لاسيما أن إخراج ما ليس باسم عن الاسم يخرج معها وظائفها الخاصة بها ويساعد على التمييز بينها...ولكن ما رأيته رأيا يمنحنا الدلالة

ولا يشكل تخالفا جذريا مع التقسيم المجمع عليه هو أن تكون بقية الصيغ المضافة للاسم ملحقة بالاسم، حيث لا علاقة دلالية بها كما سبق وأحيانا تفترق في العمل والوظائف، فالمصدر والوصف المشتق بما يتضمنان من الحدث قد يُرفع بهما ويُنصب، وليس كذلك الاسم الدال على ذات، يجلي هذا ما نجده من اختلاف في تعريفات أقسام الكلمة على النحو التالي:

- الاسم ... ما دل معين وهو ذات حسية، بدون واسطة، ومنهم من يعرفه أنه ما دل على مسمى بذاته مثل: زيد، وكتاب، وشجرة، وبحر.
- المصدر ...ما دل على الحدث و(هو معنى) مثل: كتابة.
- الصفة المشتقة ... ما دل على موصوف بالحدث مثل: كاتب، ومكتوب.
- الفعل ... ما دل على حدث مقترن بزمن مثل: كتب.
- ضمير الاسم ... ما دل على مسمى مثل: هذا، هو، الذي.
- ظرف الحدث ...ما دل على مسمى لزمان أو مكان مثل إذ، وحيث.
- الحرف...ما دل على معنى في غيره مثل: إلى، ولن.

وفي جدول التعليق سنجد على سبيل المثال وظائف مهام الاسم وملحقاته توزعت بحسب معانيها على الوظائف التالية:

- فحق المفعول معه، والتمييز أن يأتيا اسما جامدا دالا على محسوس، وقد يأتيان معنى.
- وحق المفعول المطلق، والمفعول لأجله أن يأتيا مصدرا.
- وحق الخبر، والحال، والصفة أن تأتي وصفا مشتقا.

- وحق المفعول فيه أن يأتي من الظروف الملازمة للظرفية.

- وحق المبتدأ، والفاعل، والمفعول، أن تأتي من واحد مما سبق (عدا الظرف الملازم للظرفية).

من هنا فالتعريف لا يقيد بدخول حرف الجر، أو أل، أو الإضافة، أو التنوين، بل بالعمل ونوع التعليق الذي يقوم به الاسم أو الملحق بالاسم.

ب- عدم الاتفاق على منهجية موحدة في النحو المعياري القديم:

من مظاهر الصعوبات النحوية هو الاضطراب في طريقة التأليف النحوي لذا يحتاج الأمر إلى جهود من علماء النحو في التزام أفضل طريقة منهجية للتأليف، ذلك أن التأليف قد اتخذ غير منحى وعلى النحو التالي:

1 - لا نجد النحاة قد اتفقوا على خطة منهجية موحدة لتأليف النحو مجمع عليها، هل يكون التأليف على أساس الوظائف النحوية، أم على أساس الأساليب التعبيرية، أم على أساس الإعمال؟ فقد اختلط هذا بهذا فنجد عناوين أسلوبية إلى جانب عناوين وظيفية، إلى جانب عناوين إعمال، فالأسلوبية مثل باب التعجب، باب الإغراء، باب التحذير، باب الاستثناء، باب النداء، وهي جميعها وظيفيا (مفعولات به) في الإعراب، ثم نجد المفعول به عنوانا مستقلا فيوهم الطالب أن هذا غير هذا، والعجيب أن ابن مالك - رحمه الله- لم يذكر المفعول به في الألفية نهائيا، واكتفى بالحديث عن التعدية وهو ما يعني أنه دخل إلى الوظيفة من باب الإعمال أي العامل وليس الوظيفة، وسنجد لمنهجية العامل جزءا من التأليف مثل إعمال اسم الفاعل.. إعمال المصدر...عمل إن وأخواتها...عمل كان وأخواتها...الخ.

والرأي أن تكون الأساليب المنصوبة على المفعولية متصلة بالمفعول به كملحقات له لا منفصلة عنه، وكذا باب المدح والذم تكون في باب المبتدأ كصورة من صور تراكيبه.

كما الرأي أن يكون التبويب على أساس الوظائف من مرفوعات إلى مجرورات إلى منصوبات بما أن أول هدف للنحو هو استقامة النطق وإعرابه.

2- هناك أبواب غير موجودة مثل إعراب أسماء الاستفهام فلم يتم العناية بها كالأسماء المبنية الأخرى مثل الأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، وأسماء الشرط، بل ستجدها متناثرة في أبواب النحو لذا أزعم أن معرفة إعراب أسماء الاستفهام من آخر ما يتوصل إليها طالب العلم لأنها غير مجموعة في باب مستقل.

3- سنجد النحاة قد توسعوا جدا في أبواب تراثية غير عملية مثل التصغير، والترخيم، والندبة، والتنازع، وأهملوا بشكل كبير أبوابا على قدر من الأهمية، وتركوها للصرف مثل المصدر، والمشتقات التي هي من أكثر المكونات النحوية تأثيرا وتأثرا في النحو فهي قد تأتي عاملة وقد تأتي معمولة، وتدخل في أبواب كثيرة من أبواب النحو وما لم يلم بها الدارس يظل سيره في النحو أعرجا بلا استقامة ومختلا بلا إتقان.

نخلص إلى القول إن مما يهدف إليه النحو الدلالي هو التزام أفضل مناهج التأليف والتقليل من أبواب لا يحتاج إليها الدارس كثيرا وتضمين أبوابا أغفلت في كتب النحو.

ج- غياب التدرج العلمي ووجود الاستطراد والحشو:

لا أزال أذكر سؤالا في أحد الصفوف الأولية يقول للتلميذ: استخرج الفاعل من المثال التالي: (طار قلبي شوقا). فهل التلميذ يعرف المجاز؟ ثم (قلبي) فاعل مركب إضافي لا توجد

عليه علامة ظاهرة فكيف سيهتدي إليه؟ لذلك من الصعوبات النحوية عدم التزام التدرج العلمي من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب، ومن المحسوس إلى المجرد، على أن ذلك ليس هو كل القصة فلدينا الاستطراد والحشو وكما تجد ذلك في النقاط التالية:

1 – من غير الملائم البتة لمن هم طلاب علم غير متفرغين في عصرنا هذا أن يقرر لهم كتاب نحوي قديم لماذا؟ لأن المؤلفات تختلف من مصادر ومراجع ومناهج، فالمصادر لا تؤلف لطلاب علم بل للعلماء، والكتب القديمة هي مصادر للعلماء؛ ولذلك كان المؤلف يؤلف النحو وهو يخاطب العلماء لا طلاب العلم غالبا، وهذه قضية مهمة فيضَع كل مهاراته اللغوية، والفلسفية، ويسرد المصطلحات والاختلافات ويضمن كتابه الغريب، والشاذ، والمهجور، والوحشي، من الكلام دون شرح واف لطلاب علم، ولا يهتم غالبا بالتوقف عند كل كلمة ومصطلح وشرحه، ولا مراعيا التدرج الوظيفي بل ربما تناول في الصفحة الأولى – استطرادا– مسألة من الكتاب ما حقها أن تكون آخر ما يمكن تناوله من الوظائف، وما يلبث بعضهم أن يدخل في جدل المدارس النحوية فيها لأن في ذهنية التأليف طرفا آخر عالم.

ولاشك أن بعضها أسهل من بعض فمثلا كتاب شرح شذور الذهب لابن هشام – رحمه الله– سهل ومبسط بعكس مغني اللبيب للمؤلف نفسه، نعم بعض الكتب المنهجية الحديثة حاولت التبسيط لكن تعوزها الجرأة في مزيد من التهذيب والتشذيب والتخلص من بعض الأبواب والعلل والأقيسة التي هي من باب لزوم ما لا يلزم.

2– هناك بعض الترف النحوي الظاهر، فمثلا المفعول لأجله من أسهل الأبواب لكنه يوضع له شروطا كثيرة لا يصح تسميتها شروطا؛ لأنها من باب ما خرج عن هذا الباب فليس منه، والواقع ما خرج عن الباب لا يعنينا، ويقولون إذا لم تتوافر تلك الشروط في المفعول لأجله

يجب أن يجر بحرف الجر، وكان يغني عن هذه الشروط قاعدة: كل ما تضمن معنى السببية وجر بحرف الجر فليس مفعولا لأجله وانتهى.

3- بعض الصيغ النحوية تضمنت نوعا من التوصيف الحدي فمثلا كلمات ساعة، ويوم، وليل، ونهار، ووقت، ليست ظروف زمان ولكنها أسماء قد تشغل وظيفة ظرف الزمان، إنها مثل أي اسم قد يكون مبتدأ أو فاعلا أو مفعولا وبحسب السياق، ولكنها ظهرت كما لو أنها تشغل هذه الوظيفة فقط، ولذلك إذا قلت للطالب أعرب: (هذا يوم فضيل) كثيرا ما يقول إن (يوم) ظرف زمان لأنه درسه في باب المفعول فيه.

ولأن هذه الأسماء أُلحقت بالظرف صار النحاة يقسمون الظروف إلى ظروف زمان متصرفة وغير متصرفة، معدودة ومحدودة، ومبهمة ومختصة، وهذه تبويبات لا داعي لها؛ لأن ما يجب أن يطلق عليه اسم ظرف هي تلك الظروف الثابتة التي وظيفتها الظرفية وحسب مثل: الآن وإذ وإذا ومتى وأين وحيث...الخ التي لا تجاوز الظرفية، ولا يمنع من إيراد أمثلة على الأسماء التي تحمل وظيفة الظرفية ولكن لا يصح أن تسمى صيغها ظروفا فهذا تداخل وخلط.

وبالمحصلة ما هو من أهداف النحو الدلالي توخي علمية السير، ودقة المصطلح، والتخلص من الحشو والترف النحوي، تضييقا لظاهرة الصعوبة مجال شكوى طلاب العلم.

د. عدم انتظام منهج التأليف الداخلي القديم:

*الاختلاف في الإعراب في منهجية التحليل القديم:

- هناك اختلاف في منهجية التحليل الإعرابي، فنحن نقول في إعراب: (محمد مجتهد) محمد: مبتدأ، فنأتي بالوظيفة النحوية دون الإشارة إلى نوع الاسم، لكن حين نعرب الأسماء

المبنية مثل: (هذا مجتهد) أو (أنت مجتهد) نبدأ بنوع الاسم ونقول هذا: اسم إشارة، أو ضمير منفصل ثم نأتي بالموقع الإعرابي، وحقيقة لم أقف على علة وجيهة تفرق بين اختلاف ترتيب الإعراب، مع أن الأوفق البدء بالوظيفة النحوية ثم العلامة وليس بالتقسيمات الصرفية، وبسبب هذا الاختلاف يأتي الطالب يعرب هذا يقول هذا: اسم إشارة دون أن يكمل وظيفته وعلامته، لأنه توهم أن هذا هو حده الإعرابي.

***التوسع والتكرار في الإعراب:**

لماذا لابد من السرد الطويل في الإعراب؟ ألا يكفي أن نقول: (فاعل مرفوع بالضمة) (حال منصوب بالفتحة)، فهذا يثبت الموقع والحركة وبهما يتحقق الغرض، ولا حاجة للقول: فاعل مرفوع وعلامة رفعة الضمة الظاهرة على آخره وأحيانا نأتي بعلة غياب العلامة فيطول السرد ويتكرر هذا القالب الإعرابي في كل إعراب، مما يجعله معقدا وحشوا ولزوم ما لا يلزم.

***الاشتراك اللفظي في بعض المصطلحات:**

- هناك مشترك لفظي في بعض المصطلحات وأحيانا ترادف وكل مصطلح وظيفي يدرس على حِدة مما يربك الطالب .. مثل ظرف مكان، اسم مكان.. ظرف زمان، اسم زمان .. فعل قاصر (فعل لازم) مقابل لازم الإضافة .. إضافة لفظية، إضافة لفظ .. إضافة معنوية، إضافة معنى.. مفعول به، اسم مفعول ..فاعل، اسم فاعل.. فعل، اسم فعل.. مصدر، اسم مصدر...حرف مصدري .. ومنهم من يقول مفعول مطلق وآخر مصدر.. صفة (نعت) صفة مشبهة .. صرف، تصريف، متصرف، ممنوع من الصرف، منصرف .. الخ

مثل هذه المصطلحات المتداخلة شكلا ومعنى يجب إزاءها التالي:

- تدريسها والتفريق بينها كعلم وعدم القفز من مصطلح إلى آخر دون تفريق.

- اعتماد بعض المصطلحات وترك مرادفه مثل اعتماد (فعل قاصر) بدلا من فعل لازم، لأنه أدق ولأن لازم يتداخل مع مصطلح لازم الإضافة، وتغيير مصطلح الصفة ليكون النعت بدلا عنها، ونحن عندما نقسم النعت نقول نعت حقيقي ونعت سببي ولا نقول صفة حقيقية وصفة سببية، وتتحول المشتقات اسم الفاعل، واسم المفعول، إلى (صفة الفاعل)، و(صفة المفعول)، و(صفة المبالغة)..الخ لأنها في الواقع صفات.

*** قصور في أمثلة الاستشهاد في النحو المعياري القديم:**

- يغلب عليها الطابع العنفي أكثر من اللغة الذوقية مثل ضرب قتل ومشتقاتها.

- يغلب عليها الطابع الذكوري حيث لا وجود لأمثلة صيغت للاسم المؤنث إلا في أبواب خاصة كتأنيث الفعل وتذكيره وجمع المؤنث السالم.

- غلبت الشواهد الشعرية والأمثلة القديمة على الأمثلة القرآنية ولغة الواقع حتى المناهج الجديدة لغة الواقع المنطوق الفصيح مغيب فيها، مثل (عالجنا الموضوع ثقافيا وتربويا) كمثال على الصفة النائبة عن المفعول المطلق، والقليل من أوسع للغة الواقع حيزا مهما من مؤلفه مثل النحو الوافي للأستاذ عباس حسن كان نموذجا جيدا في ذلك.

قد تأخذ بعض اللغات الشاذة أو اللغات نادرة الاستعمال حيزا من الشرح والتوضيح والاختلاف وتعديد صورها، مثل (ما تأتينا فتحدثنا) فلها عدة تخريجات واختلافات، مع أنها عمليا قد لا تستعمل وإن استعملت على معنى خاص فإن السياق يعين على المراد بالتمثيل، فالنحو ليس فقط للأمثلة المعلبة والجاهزة بل واللغة المنطوقة، لذا لا يصح أن تشغل ذهنية الطالب فيما لا طائل من ورائه.

المبحث الثاني:تخالف المعنى النحوي والمعنى العام أحيانا في النحو المعياري

❋ التوفيق بين المعنى النحوي والمعنى الإعرابي:

ارتكز التحليل الإعرابي أحيانا على توصيف المكونات النحوية في الجملة معزولة عن بعضها ثم معزولة عن السياق، فقد يكون الفعل مثلا منفيا أو مسندا إلى غير ما يقوم به نيابة ولكن النحو لا ينظر في التفريق بين الجملة الخبرية مثبتة أو منفية أو مسند إلى فاعل أو إلى ما هو مفعول به في الأصل كمثال:

- ما فعل الطفل شيئا. التوفيق بين المعنى النحوي والمعنى الدلالي يعرب الطفل فاعلا في الإسناد منفيا في المعنى.

-تعرض الطفل للضرب من الصغير والكبير. يعرب الطفل فاعلا في الإسناد مفعولا به في المعنى.

- انكسر الزجاج. الزجاج فاعل في الإسناد مفعول به في المعنى.

- كُسر الزجاج. الزجاج نائب فاعل في الإسناد مفعول به في المعنى.

❋ اختلاف زمن الصيغة مع زمن السياق:

ركز النحاة – رحمهم الله تعالى- كثيرا على معنى الصيغ مجردة عن سياقاتها، وهذا ما انتفى مع النحو الانسجام التام من قبل الدارسين، فمثلا قسموا الأفعال إلى ماض دل على زمن مضى وانقضى، ومضارع دال على الحال والاستقبال، وأمر دال على حدوث الفعل بعد زمن التكلم، غير أن السياقات لها كلمة أخرى نعطي لذلك بعض الأمثلة وعلى النحو التالي:

❋ الماضي: منه:

- منقطع مثل: نجح زيد.

- ماض دل على الاستمرار بسياق الحال مثل: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) [النجم:2] (.. وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت : 48] (.. وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطاً) [النساء : 126].

- ماض دل على المستقبل بسياق الحال: (أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ..) [النحل : 1] (وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ ..) [المائدة: 116] هذا يوم القيامة.

- ماض دل على المستقبل بالشرط: (إذا جاء زيد أكرمه).

***المضارع منه:**

- مضارع مقلوب إلى الماضي بلم: (لم يحضر زيد).
- مضارع مستمر بلما: (.. وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ..) [البقرة : 214]
- مضارع دل على المستقبل بسين وسوف (سآتيك سوف آتيك).
- مضارع دل على التأبيد بلن: (لن تراني).
- مضارع دل على الدوام: (.. كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) [الأنبياء : 33].

كيف نقنع الدارس كمثال أن الفعل الماضي المنفي والمضارع المنفي في قوله تعالى :(وَمَا **كُنتَ** تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) [العنكبوت : 48] أنه دال على الاستمرار، في حين أن الإعراب إنما يراعي التقسيم الثلاثي المعروف للفعل، فيظل التساؤل الحائر باقيا، وقد تدخل أفكار ضالة في تفسير الآية مثل أن النبي كان أميا فيما مضى ثم

صار غير أمي؛ لأن ذلك ماض مضى وانقضى، فيسقط المعنى الصيغي على المعنى السياقي، وهذا يشير إلى أهمية التركيز على اختلاف معاني الزمن في السياقات المختلفة بعد سردها في أبواب الأفعال.

*** الفرق بين الأفعال وشبه الأفعال في دلالة الحدث:**

ربطت الأفعال في كتب النحو عند تعريفها بالزمن، ماض، مضارع، أمر مع أن الحدث هو الأصل والزمن ظرف له.

فما الفرق بين الأفعال وشبه الأفعال في الدلالة على الحدث من حيث صيغتها التي وضعت لها لا من حيث سياقاتها المختلفة، حيث لايزال للسياق توجيهاته.

- الفعل الماضي يدل على حدث منقطع.
- الفعل المضارع يدل على تجدد الحدث واستمراره.
- فعل الأمر يدل على طلب إيقاع الحدث.

الأسماء المشبهة بالفعل:

- المصدر مثل: (قيام واستخراج) يدل على مجرد الحدث.
- اسم الفاعل مثل: (قائم ومستخرَج) يدل على موصوف بحدث متصل من غير تجدد.
- الصفة المشبهة باسم الفاعل مثل: (نبيل وشجاع) يدل على مصوف بالحدث صفة متصلة ثابتة.

وهذا التفريق لا يتوقف عنده النحو على أهميته.

***فروق دلالية تركيبية بحسب نوع الحدث وتجدده:**

بناء على التقسيمات السابق فرق في معنى حدث الأفعال وشبهها من حيث انقطاعه، وتجدده، وانتقاله، وثبوته بين الفعل واسم الفاعل، والصفة المشبهة الأمر الذي يحتم دخول هذه الفروق في التناول النحوي، إنه روح النحو الذي افتقده وبسبب غيابه بات جافا عقيما، فلنر مثلا الفرق في الإخبار بهذه المكونات النحوية تقول:

- طرحك أخطأ. (أخطأ) ماض دل على حدوثه مرة واحدة.
- طرحك يخطئ. (يخطئ) مضارع يتجدد شيئا فشيئا.
- طرحك خطأ. (خطأ) مصدر حدث ثابت بمعنى هو الخطأ نفس، كقوله تعالى: (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ..) [يوسف : 18] أي هو الكذب بعينه.
- طرحك خاطئ. (خاطئ) صفة فاعل متصلة غير متجددة شيئا فشيئا.

وفرق في الخبر بين:

- سيرتك فاجرة. (فاجرة) صفة فاعل متصلة غير متجددة شيئا فشيئا.
- سيرتك فجور. (فجور) مصدر حدث ثابت بمعنى هو الفجور نفسه.

وفرق بين:

- الخطيب ينطلق لسانُه. (ينطلق) مضارع يتجدد شيئا فشيئا.
- الخطيب منطلق لسانُه. (منطلق) صفة فاعل متصلة غير متجددة شيئا فشيئا.
- الخطيب منطلق اللسانِ. (منطلق اللسان) صفة مشبهة متصلة ثابتة.

وبسبب جامع الصلة بين الأفعال وهذه الأسماء وتناوبها في المواقع نجد المولى تعالى قد زاوج بينها في الآية الواحدة مثل: (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ..) [الملك : 19] عطف الفعل يقبضن على اسم الفاعل صافات، فلم يقل صافات وقابضات، ولا يصفين ويقبضن، بل صافات ويقبضن؛ وذلك لأن صف الجناحين هو الثابت الأصل فأتى باسم الفاعل، بينما قبضها هو الفعل العرض المنتهي فلاءمها الفعل. ومن ذلك قول الله: (.. سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ) [الأعراف : 193] لأن الدعوة حدث عارض بينما الصمت هو الثابت الأكثر في الإنسان.

هذا ولا جامع صلة بين الأفعال والأسماء الدالة على الأعيان، مثل زيد- زينب- بحر- جبل - شجر، فهذه غير متضمنة لحدث ولا لزمن، وإنما الصلة بين الأفعال وما اشتق منها، فيما النحو ينظر إلى أسماء الحدث (الصفات) كالأسماء الجامدة في أنها تشغل معنى نحويا وكفى.

المبحث الثالث: الربط الأفقي بين الأبواب

أولا- الاهتمام بالمركبات النحوية بدل المكونات المعزولة:

يهتم النحو بالموقع الإعرابي أكثر من التركيب، فبدا من صعوبات النحو أن نظام تفكيك الجمل غير ممنهج، هل يبدأ من الجزء إلى الكل، أم من الكل إلى الجزء؟ فلا يعرف الدارس كيف يتعامل مع الجمل مختلفة الصور، ومن الضرورة بمكان فتح باب لتقسيم الجملة بحسب دلالاتها التركيبية إلى:

1بسيطة قصيرة 2- بسيطة مطولة 3-مركبة بسيطة 4-مركبة مطولة.

وإليك الأمثلة وطريقة التحليل:

أ- **جملة اسمية بسيطة** نحو:

- (هذا قائم) مبتدأ-خبر

ب- جملة اسمية مركبة (هذا أبوه قائم) مبتدأ- مبتدأ ثان- خبر المبتدأ الثاني والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول.

كيف نعرف أن الجملة مكونة من جملتين كبرى وصغرى؟ نعرف ذلك من خلال الروابط التي أهمها الضمير، فالجملة المركبة من جملتين فأكثر نتعرف عليها بفصل كل جملة تفيد بمسنديها فائدة يحسن السكوت عليها، ونحول الضمير العائد المتصل بالجملة الثانية إلى اسم لأنه رمز له واختصار، وهذا مهم جدا في التحليل، فأصل هذه الجملة كبرى وصغرى:

[هذا - (أبوه قائم)] جملتان من: مبتدأ-مبتدأ ثان/خبر الثاني، لأن الضمير الرابط هو رمز للاسم الظاهر فالجملة الصغرى مستقلة على تقدير (أبو هذا قائم).

ج- جملة اسمية مركبة من متعدد:

- [هذا الناجح أخوه كلمني] هذه جملة مركبة من عدة جمل كالتالي:

1. [(هذا الناجح) أي الذي نجح (أخوه كلمني)] استئنافية بتحويل المضمر إلى مظهر. أخو هذا كلمني.
2. [(هذا الناجح أخوه- كلمني)] جملة (كلمني) على تقدير إظهار الضمير المستتر كلمني هذا.

وهذه الجمل الإعرابية مطلوبة دلاليا ونحويا، ومن يملك استخراجها دون معرفة هذا النظام في التحليل؟ ولا يحصل عليها الدارس إلا بجهود ذاتية فردية أكثرها مصادفات.

د- جملة اسمية بسيطة مطولة:

- قال تعالى (نَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [البقرة : 164].

الجملة المفيدة فائدة يحسن السكوت عليها دون أي زيادة هي: (في خلق السماوات آيات) هذه نواة الجملة الاسمية التي هي المبتدأ والخبر، والباقي مكملات جملة من متعاطفات ومتضايفات وأدوات توكيد، والجملة الاسمية تبدأ باسم وكونها بدئت بحرف جر (في خلق السماوات آيات) دل على وجود تأخير للمبتدأ، إذن الأصل آيات في خلق السماوات. فآيات في الآية اسم إن مؤخر، وشبه الجملة خبر مقدم.

بدون عرض هذه الصور التركيبية سيتوقف قريب العهد بالنحو عند تحليل مكونات الجملة الاسمية في نحو الآية الكريمة.

ه- جملة فعلية بسيطة مطولة:

- (انطلق صباح اليوم والناس في مزارعهم ومتاجرهم صاروخ فضائي لاستكشاف حالات المناخ وتلوث البيئة).

نواة الجملة التي تفيد فائدة يحسن السكوت عليها هي (انطلق صاروخ) والبقية قيود لمعناها العام فهي بسيطة ولكن طويلة.

و- قد يكون لركني الجملة متعلقات لا يمكن فصلها مثل:

(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) فيعاد ترتيبها ذهنيا فقط فيقال: ترك المرء مالا يعنيه - من حسن إسلامه.. فترك مبتدأ مؤخر ...الخ من حسن ... خبر مقدم، وتبقى المتعلقات من غير فصل نواة جملة لأن النواة لها ضمائم لا تنفك عنها.

نتحصل مما سبق على إمكانية اكتساب مهارات تحليلية عن طريق دراسة أمثلة، فيسهل تحليل جمل متداخلة بلواصق إضافية كالآية التالية: (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي) [طه : 14] فنقسمها إلى ثلاث جمل (أنا الله) (لا إله إلا أنا) (اعبدني).

ويتم التطرق إلى أنواع الجمل وهي: ابتدائية - استئنافية - حالية - نعتية – مفسرة- منصوبة على المفعولية – اعتراضية...إلخ

ثانيا- التأليف عن طريق التحويل والاستبدال في النحو الدلالي:

أ- استبدال المكون النحوي والعلامة الإعرابية.

يعتمد منهج التأليف السائد الطريقة الرأسية وحسب فيدرس الباب بمعزل عن الأشباه والنظائر فيختلط على الدارس حين تتكرر حالة الرفع مثلا أو النصب لصيغة بنائية في وظائف نحوية مختلفة.

فعلى سبيل المثال ما الذي يجعل كلمة (امتثالا) متعدد الوظائف في سياقات استبدالية مختلفة مع أنها صيغة بنائية واحدة، وصيغة الفعل ما سمي بالعامل صيغة ماض، ولكن المعاني النحوية مختلفة؟ إن للفعل معان مختلفة فنقول إن المتعدي يتطلب مفعولا، وإن أفعال المطاوعة

وما دل على خلقة أو ألوان، تتطلب فاعلا وحسب، وما دل منها على مفاعلة اشترك فيها فاعلان، ومنها ما يقع (على) ومنها ما يقع (في) ومنها ما يأتي مشتركا، وليس فقط أفعال ناسخة تحتاج إلى اسمها وخبرها فلايزال لبقية الصيغ معان، وهو ما يعني أن العامل غير حاسم، ووجدنا إزاءها العلامة الإعرابية محايدة كقرينة لفظية، لأنها لا تساعدنا إلا على التفريق بين ما هو مرفوع أمام ما هو منصوب، وليس بين الحقل النحوي الواحد، وهذا يحتم في النحو الدلالي البحث في نوع العلاقات الدلالية بين متعلق وآخر وعلى نحو ما تبينه الأمثلة التالية:

١- استبدال دلالة صيغة العامل:

- امتثل زيد امتثالا مفعول مطلق أكد وقوع الفعل.
- جاء زيد امتثالا مفعول لأجله بين سبب وقوع الفعل.
- وجدت في الناس امتثالا مفعول به وقع عليه الفعل.
- أصبح الحضور امتثالا خبر أصبح (خبر أصبح).
- رأيت المجيء امتثالا مفعول ثان لأن الفعل رأى قلبي.
- ازداد الطلاب امتثالا تمييز لإبهام الفعل ازداد.

وتقول:

- عرف المدير إهمال العمال (إهمال) مفعول به.
- استفز المدير إهمال العمال (إهمال) فاعل

لأن الإهمال في المثال الأول لا يأتي من فعل ك (عرف)..فأولى بتعلقه أن يتجه إسنادا إلى المدير.

والمثال الثاني لا يقع فعل نحو (استفز) على الإهمال فأولى به أن يتجه إسنادا إلى الإهمال ويتجه في المفعولية إلى المدير.

ومثله:

- قبلت أخاك راضيا (صاحب الحال التاء) وقد يصرفه السياق إلى الأخ.
- وجدت أخاك راضيا (صاحب الحال الأخ).

لأن قبول المتكلم جاء مقترنا بالرضا .. بينما في المثال الثاني الأخ مبحوث عنه فهو موضع الاهتمام فالفضلة أولى بتبيين حالته.

= اتجاه تعلق الفضلة:

- نبهت زيدا غافلا. (غافلا) حال من زيد.
- نصحت زيدا مخلصا. (مخلصا) حال من المتكلم المرموز له بالتاء المبنية على الضم.

السبب أن التنبيه لا يأتي من غافل ولأن الإخلاص جانب قلبي والحكم عليه يكون من المتكلم العالم بنفسه وليس الجاهل بنفس غيره.

٢- استبدال دلالة صيغة المعمول:

مع أن الفعل واحد (أقبل) إلا أن المعاني النحوية مختلفة وذلك لاختلاف معنى المتعلق بالفعل بين المكونين النحويين، ونوع الوظيفة التي تسفر عن تعليق مكونين تعليقا خاصا، وهذه الخصوصية تأتي من معاني المتعلق والمتعلق به لاختلاف معاني جمودها واشتقاقاتها، وليس القول بأن الفعل عامل في النصب هو الحاسم في المعنى النحوي فهذا لا يوصل وحده إلى الموقع الإعرابي، بل يظل للفعل ومتعلقاته معان مختلفة هي التي تغير من الموقع الإعرابي وهي التي يفترض التنبه لها وتقسيمها بحسب معانيها، وكما نرى على النحو التالي:

- أقبل زيد إقبالا	مفعول مطلق	أكد وقوع الفعل
- أقبل زيد خوفا	مفعول لأجله	بيان سبب وقوع الفعل
- أقبل زيد صباحا	مفعول فيه	اسم للزمن وقع فيه الفعل
- أقبل زيد ممتثلا	حال	صيغة مشتقة بين هيئة صاحبه
- أقبل زيد والسيارة	مفعول معه	لأن السيارة لا تشارك في الفعل
- أقبل زيد وعمرو	معطوف	لصحة مشاركة ما قبل الواو في الحدث
- أقبل زيد وعمرو جالس	جملة حالية	لصحة وقوع ما بعد الواو جملة مستقلة ولأنها بينت هيئة الإقبال.

إن إعادة تناول الحقل النحوي للمبتدئين كالمنصوبات بطريقة أفقية سريعة للربط بين الأبواب وإقامة عملية الاستبدال التي تغير من المعنى النحوي من شأنه كشف نوع التعليق بسبب اختلاف المعنى السياقي واختلاف العلاقات بين المكونات النحوية، فإذا تغير معنى هذا المكون تغير معنى متعلقه وهذا هو النحو.

ولقد أشار عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – إلى عملية التعليق النحوي بقوله: " اعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك. نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين[3].

3- استبدال القرينة اللغوية (العلامة الإعرابية):

من الاستبدال في الطريقة الأفقية الذي نكشف بواسطتها مدى تأثر معنى الموقع الإعرابي هو تغيير العلامة الإعرابية، وهذا يشير أيضا إلى دور العلامة في عملية التحليل فتغيير العلامة مع ثبات بناء الجملة يسفر عن معنى مختلف، ومنه نستفيد أن معنى الجملة يتأثر بالتغيير الصوري المحتمل أمثلته:

- من يكرمْني **أكرمْه**... بجزم الفعلين شرطية.

- من يكرمُني **أكرمُه** ... برفع الفعلين موصولة.

- من يكرمني؟ **أكرمْه**... برفع الأول وجزم الثاني استفهامية.

فاختلاف إعراب الفعلين إذا لم تكن قد وضعت العلامة مسبقا يكون طبقا للتقدير، أما (من) نفسها فهي في كل الأحوال مبتدأ، ولهذا الاستبدال مواضع عدة وهو ما يسمى تردد الموقع بين عدة وظائف نحوية، وقد اشتهر عن العلماء مثال (ما أحسن زيدا وما أحسن زيدٌ وما أحسنُ زيدٍ؟).

4- الاستبدال في المطابقة والمخالفة:

يشترط في التوابع أن تطابق متبوعها في العلامة والنوع والعدد والتعريف والتنكير، فإذا اختل شرط تحول الإعراب إلى وجوه أخرى، والتمثيل لمثل هذا الجانب يحوصل الفرق وينقشع اللبس.

أمثلة في مطابقة ما بعد الواو لما قبله ومخالفته:

- جاء زيد وعمرو معطوف عليه للمطابقة في العلامة التي أحدثت مشاركة في الحدث.

- جاء زيد وعمرا مفعول معه لعدم المطابقة في العلامة التي أحدثت مشاركة في الزمن.

- جاء زيد وعمرو في انتظاره جملة حالية لتحول تعليق عمرو بمكون نحوي آخر أقام معه جملة خبرية بينت هيئة زيد.

- جاء زيد وعمرو لاندري عنه شيئا جملة استئنافية لتحول تعليق عمرو بجملة جديدة لاعلاقة لها إعرابيا بما سبق.

ومن تحويل التعليق الأمثلة التالية:

- زيد الكريم مبتدأ-خبر

- هذا زيد الكريم مبتدأ-بدل-خبر

- هذا زيد الكريم ناجح مبتدأ-بدل-صفة-خبر

- هذا زيد الكريم ناجح أخوه مبتدأ- بدل-صفة-خبر-فاعل

إننا معنيون بكشف هندسة الجملة، ومن ثم إبراز تغيير الوظيفة النحوية أحيانا، ومعرفة ما الذي يجعل المكون النحوي تنتقل وظيفته من موقع إلى آخر، وهذا في النحو الدلالي لايكون إلا بالتوقف في نهاية الحقول النحوية عند المنهج الأفقي لمتشابه النحو ووضعها في قالب تركيبي واحد، فننوع صوره حسب ما تم دراسته لإزالة أحد أهم معوقات فهم النحو، وهو التشابه الصوري.

* جدول تعليق الانتماءات التركيبية للمكونات النحوية:

المعنى النحوي	الحكم	اسم عين	اسم	مصدر	اسم	جملة	شبه جملة	ظرف	تقديم	حذف	مضاف	معرفة	نكرة	المعنى الذي
المبتدأ	الرفع (والمرفوعات عمدة في بناء الجملة)	يأتي			يأتي	محكية		المتصرف	الأصل	يجوز ويجب في مواضع	يأتي	الأصل	مسوغة	مسند إليه
الخبر		كشبيه	يأتي	يأتي	الأصل	يأتي	يأتي		جوازا	جوازا ووجوبا		خلاف الأصل	الأصل	مسند
الفاعل		يأتي			يأتي	محكية		المتصرف		جائز ويجب في الأمر		يأتي		مسند إليه
نائب فاعل							يأتي			لا يجوز				مسند إليه
المفعول	النصب (المنصوبات فضلات على بناء الجملة)			يأتي					يأتي	يجوز				مفعولية (على)
م/مطلق				الأصه						يناب عنه	المبين	قليل	الأصل	**توكيد**
م/معه			يأتي	قليل	يأتي						أي ما يأتي	يأتي		**مصاحبة**
م/فيه				نائب				الأصل				يأتي		ظرفية (في)
م/لأجله				مصدر					يأتي	إذا دل السياق		قليل	الأصل	عِلِيَّة(الام)
الحال				عدول	الأصل	يأتي		يأتي		قليل/كذا صاحبه		قليل	الأصل	ملابسة (في)
التمييز		يأتي		يأتي	قليل					إذا دل السياق	في العدد			تفسير (من)

- جدول التعليق النحوي (د.بشير المساري)

ب- التحويل والاستبدال عن طريق التقديم والتأخير، والحذف والذكر:

1- تحويل المواقع بالتقديم والتأخير والحذف والذكر وفروقها الدلالية:

أ- التقديم والتأخير بين المسند والمسند إليه.

1- بين الفعل والفاعل.

لقد كان علماء نحو العربية - رحمهم الله- على حق عندما قسموا الجملة إلى فعلية واسمية، ومنعوا تقديم الفاعل على الفعل حتى لا تتحول الجملة الفعلية إلى اسمية، غير أنهم لم يشرحوا الفرق الدلالي بين الجملتين نحو:

- حضر خالد.

- خالد حضر.

فقالوا فقط الأولى فعلية لأنها بدأت بفعل، والثانية اسمية لأنها بدأت باسم، وربما قالوا إن العرب تقدم الأهم على المهم، والواقع أنه قد يكون فرق كبير بين التركيبين قد لايفطن إليه الناس والنحو الدلالي معني بالتفريق بينها، كذلك فرق كبير بين اختلاف الرتبة بين المبتدأ والخبر نحو:

- محمد الناجح.

- الناجح محمد. (وسيأتي الحديث عن الاسمية).

فما هو مطلوب في تجديد النحو أن لا نتوقف عند تسمية وظيفة المكون النحوي ماذا يكون إعرابه تقدم أو تأخر، ففي تقديم ما حقه التأخير عدول عن الأصل، وكل عدول عن

الأصل –وهو كثير في النحو– لايكون إلا لغرض بلاغي، ولذلك فالجواز في النحو (وهو عدول) يريدون به الاتساع في التركيب مالم يترتب عليه لبس، والواقع أنه لايجوز تغيير بناء الجملة دلاليا؛ لأن المعنى قد ينعكس تماما حتى لو لم يتأثر به وظيفة الموقع نحويا، فإن بقيت الوظائف النحوية كما هي فقد يتغير المعنى العام تماما، كما سيأتي إن شاء الله.

والآن نفرق بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية التي خبرها جملة فعلية.

إن تغيير الترتيب يكون لأغراض منها:

1– الاهتمام، مثال:

– المتسابق البدين فاز. فقدمنا الفاعل في المعنى فصار هو الذي يهمنا فوضعناه موضع المسند إليه ومعادِلُه البدين لا النحيف، أي (المتسابق البدين فاز لا النحيف).

أما قولنا:

– فاز المتسابق البدين. فالذي يهمنا هو الحدث المسند فقدمناه على فاعله ومعادله (فاز المتسابق البدين ولم يخسر).

ولذلك يقع النفي والاستفهام على المتقدم، فإذا تقدم الفعل كان الاستفهام أو النفي واقعا عليه، وإذا تقدم الفاعل في المعنى كان الاستفهام أو النفي واقعا عليه وهكذا الفضلة نقول:

– ما المتسابق البدين فاز بل النحيف، وقع النفي على الفاعل، وأثبتنا الحدث.

– ما فاز المتسابق البدين بل خسر، وقع النفي على الفعل وأثبتنا الفاعل.

ويكون من خُلف الكلام لو قلت/ما فاز المتسابق البدين بل النحيف/ لأنك نفيت الفعل وعطفت عليه الاسم، والأصح ما المتسابق البدين فاز بل النحيف.

ولذلك قال الله: (أأنت فعلت هذا بآلهتنا؟) السؤال واقع على الفاعل فقدمه قومه؛ لأن الفعل قد تم، ولو جاء /أفعلت أنت هذا بآلهتنا/ كان محالا لأنهم يسألون عن الحدث هل وقع أم لم يقع بعد أن وقع..كأن تريد أن تقول:

- أصلَّى خالد الصبح؟ فتعكس وتقول:

- أخالد صلى الصبح؟ فجوابه بل عمرو.

وقد ينصب النفي على الفضلة وإن تأخر كقوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) [الأنبياء : 16] فالنفي واقع على الفضلة لا على الفعل، فنفى اللعب ولم ينف الفعل.

2- التهيئة والتشويق:

وقد يكون لتقديم المسند إليه تهيئة وتشويق لسماع (الحكم) الخبر.. أو تخويف، فإذا كان مما يحتمل تأخيره فهو تشويق، وإن كان مما لا يحتمل فهو تخويف.

فالأول أي التشويق مثل:

- ولدكم اليوم تفوق في المسابقة على زملائه، فلم يقل تفوق ولدكم فهو يريد تهيئة المتلقي لسماع الخبر الجيد ثم ألقاءه عليه.

ومن الثاني كأن يتصل محام لصاحب قضية هامة..ويقول

– القضية كسبناها .. والأوفق كسبنا القضية.. إلا إذا هو في شك من ذلك.

ويتضح هذا أكثر عند الفصل بين المسند والمسند إليه مثل:

– ولدكم في مسابقة مدرسة الثورة التي أقامتها صباح اليوم تفوق على زملائه.

– القضية التي نطق فيها القاضي بالحكم في المحكمة اليوم كسبناها.

ولو قدم الفعل (الخبر) في المثال الثاني ثم أتى بالتفاصيل لم يكن به بأس.

* من هنا ندرك أن التقديم والتأخير في الجملة الفعلية لا يبقى المعنى الدلالي كما هو كذلك المعنى النحوي الذي قرر العلماء أن تقديم الفاعل قد يحول الجملة الفعلية إلى اسمية.

* وندرك أن النفي والاستفهام قد لايقع على الجملة كاملا بل على المتقدم منها فقط فيتحتم أن يقال في الإعراب فعل منفي أو مبتدأ منفي، أو مفعول به منفي لأنه خص بالنفي.

*** الفرق الدلالي في التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر المعرفة:**

اختلف النحاة في الخبر المعرفة أيهما يكون المبتدأ .. فحق المبتدأ أن يكون معرفة وحق الخبر أن يكون نكرة، فإذا جاء الخبر معرفة هل يصح أن نجعله مبتدأ نحو: (زيد القادم)؟ لقد ذهب السيوطي إلى المعنى الإسنادي فقال أيهما السابق فهو المبتدأ؛ لأن المتكلم أراد الإخبار عنه بالثاني[4]، وهذا هو عين الصواب، فلا يصح دلاليا جعل المتأخر مبتدأ ففرق كبير بين تركيبين كل من الخبر فيهما نفس المبتدأ، نحو:

– زيد أخوك....و:

– أخوك زيد.

فالأولى تفيد زيد أخوك لا عدوك، أو لا غريب عنك، والثانية تفيد أخوك زيد لا عمرو.

وهذا جار على ألسنة الناس فإذا أراد شخص أن يؤنب المخاطب في شدته على أخيه فإنه يقول: (زيد أخوك) !!أي لماذا تعامله كعدو، وإذا أراد تأنيبه على اهتمامه بالآخرين وإهمال أخيه فإنه يقول! (أخوك زيد) أي لماذا تهتم بسواه؟.

إن مجيء الخبر معرفة يفيد القصر ويكون الثاني هو المقصور عليه ويجري مجرى المحصور ب(ما وإلا) فالمثالان بدرجة:

- ما زيد إلا أخوك..... ومعادله لا عدوك.

- ما أخوك إلا زيد.....ومعادله لا عمرو.

ومثلهما فيما ليس الخبر عين المبتدأ نحو:

- زيد السارق... بدرجة ما زيد إلا السارق لا القاتل.

- السارق زيد...بدرجة ما السارق إلا زيد لا عمرو.

وقد يكون لسياق المقام أو المقال توجيهات أخرى غير ما ذكر.

*** الفرق الدلالي في التقديم والتأخير بين ركني الجملة والفضلة:**

ويكون التركيب للقصر أيضا إذا تم تقديم ما حقه التأخير في فضلات الجملة الاسمية والفعلية هذا هو الأصل، حيث إن جريان الجملة العربية على أصل التركيب يكون لمجرد الإخبار فقط، أما إذا حدث لها تعديل عن نظام تركيبها فإنه يعد عدولا لغرض بلاغي كما سبق.

فالترتيب الأصل للجملتين الفعلية والاسمية على هذا النحو:

فعل+فاعل+فضلة يفيد مجرد الإخبار لخالي الذهن من الحكم

مبتدأ+خبر+فضلة يفيد مجرد الإخبار لخالي الذهن من الحكم

فإذا تغير الترتيب وقدم المفعول أو الحال أو أي فضلة أخرى على ركني الجملة أو على أحدهما، أو تقدم متعلق الفعل على الفعل والفاعل تغير المعنى وأصبحت معانيها للقصر ففرق بين:

1- أكرم محمدٌ خالدا وبين:

2- خالدا أكرم محمدٌ.

وفرق بين:

1- المفتاح في الحقيبة....و:

2- في الحقيبة المفتاح.

المثالان رقم (١) يفيدان مجرد الإخبار.

المثالان رقم (٢) يفيدان القصر ويجريانهما مجرى (ما وإلا) بعد إعادة ترتيب الجملة على الأصل أي:

1- ما أكرم زيد إلا خالدا. لا غير.

2- ما المفتاح إلا في الحقيبة. لا في غيرها.

لذلك قدم المفعول به على الفعل والفاعل في قول الله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة : 5] ليفيد القصر أي ما نعبد إلا إياك ولا نعبد أحدا سواك، ولو قال/ نعبدك ونستعين بك/ لجاز معه نعبدك ونعبد غيرك، ونستعين بك ونستعين بغيرك، ومثله (وإياي فارهبون) و(إياي فاتقون).

وفي متعلق الفعل فرق بين:

- توكلت على الله وبين:

- على الله توكلت.

فالأولى لا تمنع توكله أيضا على غير الله؛ لأن التركيب جار على الأصل أما الثانية فقد دل التقديم على قصر التوكل على الله لا غير.

ومنه جاء (..رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [الممتحنة : 4] (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) [الغاشية : 25-26] قدم متعلق الفعل ولم يقل/ إن إيابهم إلينا وإن حسابهم علينا/.

في حين أن القواعد النحوية قد راعت فقط مبدأ الجواز والمنع، وأرادوا بالجواز أن المعنى النحوي لن يتغير فالمفعول مفعول تقدم أو تأخر، ولكن الأمر ليس كذلك في الدلالة .. فعلى النحو أن يضيف البعد الدلالي فإهمال هذا الجانب رسالة سلبية تفيد أنه لا قيمة للتقديم والحذف ومخالفة المتعلق متعلقه في العلامة أو التعريف أو التنكير، فربما قالوا يجوز الرفع على المحل والجر على اللفظ ولكن هل يجوز ذلك معنى؟!

*** الفروق الدلالية في العدول إلى الحذف بدل الذكر:**

الأصل أن تذكر جميع المكونات في التركيب النحوي، وهناك مواضع يجوز فيها نحويا الحذف، ولكن ليس الحذف والذكر على سواء في الدلالة، وإنما يعدل إلى الحذف لبعد دلالي وليس الحذف فقط لدلالة السياق عليه، كما نقول في الإعراب، فهذا نوع، وهناك مواضع يراد بالحذف التوسع ونمثل لذلك على النحو التالي:

* من ذلك حذف المفعول به:

ففرق بين:

- فُلان يأمر الحرس وينهى الموظفين. وبين:

- فُلان يأمر وينهى.

إن الفعل يأمر متعد يتعلق بفاعل ومفعول به، فقد ذكر المفعول في الجملة الأولى وحذف في الثانية جوازا، وإنما أريد بحذف المفعول التوسع، فقد أفاد أنه يأمر أي إنسان وينهى أي إنسان، وليس فقط الحرس والموظفين، فكان الحذف أفصح لأن فيه توسعا، واحتمالات تأويلية كثيرة.

ومنه قوله تعالى:

- (فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى) [الليل : 5] لم يقل: أعطى المال واتقى النار..مثلا. ليكون التقدير أعطى أي عطاء كان، من البسمة إلى الكلمة الطيبة وهلم جرا، وكذلك اتقى ستعني اتقى الله واتقى النار، واتقى الفضيحة في الآخرة..الخ

ومنه حذف الجملة:

قال تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ..) [البقرة : 60].

الفاء في قوله فانفجرت ليست عاطفة للفعل على فعل الأمر اضرب، بل على فعل محذوف وهو ف(ضرب) لأن الانفجار جاء بعد الضرب أي: قلنا اضرب بعصاك الحجر

فضرب فانفجرت، لكن حذف الفعل وفاعله اقتضاه بعد عقائدي، فلو قال فضرب تنصيصا فانفجر لظن أن ضرب موسى للحجر بالعصا هو الذي فجر الماء، فالحذف أتاح التوسع في تقدير ملائم آخر غير فضرب، منها ف(أمر الله الحجر أن تنفجر فانفجرت). لأن الضرب مجرد سبب، والذي فجر هو الله لا موسى ولا العصا.

وقد يحذف حرف وقد يحذف كلام كثير أي جمل كثيرة وأحداث هامشية لا يحتاج ذكرها في السياق.

** وحوصلة الموضوع يلزم عند الإعراب أن يقال إذا كان الحذف للتوسع: (محذوف لضرب من التوسع، أي لغرض تعدد الدلالة واحتمالاتها).

المبحث الرابع: الإعراب بين المعيارية وتضافر القرائن

1- الإعراب المعياري القديم:

المراد بالإعراب المعياري ضبط النحو على معيار حاكم لكل الظواهر المنتمية، وهذا هو منهجية النحو الذي ندرسه الذي يشكو من صعوبته الدارسون، فمن أين جاءت الصعوبة؟

جاءت الصعوبة من تناقض القواعد أحيانا مع سياق المقام، نضرب لذلك أمثلة وقد سبق بعضها:

- قرينة العلامة الإعرابية:

تعد العلامة الإعرابية أم القرائن النحوية، هذا صحيح فنعرف بها موقع المكون النحوي من نصبه ورفعه وجره، لكن المشكلة أن غالب الحالات الإعرابية لا تظهر عليها العلامة بسبب

البناء ونحوه، لكنهم يفترضون وجودها في كل المواقع قياسا معياريا على الموقع التي تظهر عليه، مع أن العلامة دالة على الموقع فصارت الدالة تحتاج إلى دليل على وجودها، فعندما تغيب ويضيع الدال نفسه نذهب لنبحث عنه ونقول إنه موجود لولا أن مانعا منع من ظهوره هو كذا، فمثلا حق الفعل الماضي البناء على الفتح وحق الفاعل الرفع فإذا جاءت الجملة هكذا:

- أتى الفتى..

لا يوجد هاهنا علامات، لكن المعيارية افترضت وجود علامات بناء وإعراب غير ظاهرة فيقال: (أتى: فعل ماض مبني على فتحة مقدرة منع من ظهورها التعذر؛ لأنه فعل معتل الآخر، وهذا الإعراب أخذ قياسه من إعراب الصحيح نحو (كتب)، والفتى: فاعل مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة منع من ظهورها التعذر لأنه اسم مقصور، وهذا الإعراب أخذ قياسه أيضا من إعراب الصحيح نحو (زيدٌ) مع أن كليهما أي (أتى والفتى) مبنيان على سكون الآخر، ثم انظروا طول هذا القالب الإعرابي إنه يتكرر مع آلاف المواقع الإعرابية بنفس النمط فصار الدارس معنيا بتكرارها بشكل عبثي والبحث عن علامة كانت تدله على الموقع فصار هو يدل نفسه على موقعها وأين اختفت وما الذي منع من ظهورها؟ وفي هذا أصلا غش للعقل ورسائل تعليمية مغلوطة.

يقولون إن الفتى معرب لأن المثنى منه معرب فتيان وجمعه معرب فتيانٌ، وهذا أيضا من المعيارية والأقيسة غير العلمية بل هي إلى الفلسفية أقرب، قد يقال هذا أسلوب تعليمي يعرف الطالب أن الماضي حقه البناء على الفتح، وأن الفاعل حقه الرفع وأن الذي منع ظهورهما تغير الصيغة.

والجواب: نعم حقه في الاسم المعرب الذي تظهر عليه العلامة، أما المبني والمقصور والمعرب على الحكاية و..الخ فليس حقه لا رفع ولا بناء على الفتح .. فـ(أتى) فعل ماض مبني على السكون وليس الفتح أين الفتح؟ (الفتى) فاعل [بقرينة الإسناد] مبني على السكون ولا توجد علامة رفع لا ظاهرة ولا مقدرة غير أن المعيار النحوي جر نفسه قياسا مطردا على الظواهر المختلفة وهذا تهرب من تسمية الحالات كما هي، نعم ربما صح التقدير فيما يمكن ظهورها مثل:

– ما من أحدٍ في الدار. فنقول مجرور لفظا مرفوع محلا، لأن أصلها (ما أحدٌ في الدار) ومن زائدة للتوكيد.

مثال آخر:

– إعراب فعل الشرط:

جعل علماؤنا –رحمهم الله – الفعل المضارع المجزوم بعد أداة الشرط معيارا عاما للقوالب الإعرابية في جملة الشرط، فإذا تلا الأداة اسم قدروا لها فعل شرط محذوفا كما هو عند البصريين، وإذا جاء الفعل ماضيا جعلوه في محل جزم والماضي لا يجزم؟ فمثلا قول الله تعالى:

– (إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ) [الانشقاق : 1].

يقولون إذا اسم شرط غير جازم لما يستقبل من الزمان مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه (وفعل الشرط محذوف دل عليه ما بعده، فهو على تقدير إذا انشقت السماء انشقت؟. "لأن أداة الشرط لا تدخل إلا على فعل ظاهر أو مقدر"(5).

ومن الفرضيات المعقدة تقدير البصريين وجود أن مضمرة بعد أدوات ناصبة مثل لام التعليل، ولام الجحود، وحتى، و أو، وبعد فاء السببية ..إلخ "وقد حمل ابن مضاء حملة عنيفة

على القول بأن المضارع منصوب بعد فاء السببية وواو المعية بأن مضمرة وجوبا كما قال البصريون وقال إنه تقدير لا دليل عليه ولا برهان، ويكفي أن يقال إن المضارع منصوب ينصب بعد الأدوات المارَّة جميعا تيسيرا وتبسيطا (6).

وقد سبق من مشاكل المعيارية أن يجعل المفعول فاعلا، بقاعدة أنه لابد لكل فعل من فاعل، مثل: (انكسر الزجاج) وقد ينوب عن الفاعل شبه جملة مثل: (نُظِرَ في الأمر) في الأمر: نائب فاعل مع أن الأمر منظور فيه لا ناظر، ولو أنهم استدركوا هاهنا إلى جانب المعيارية المعنى العام كان متصالحا أكثر مع المنطق، فيقال نائب في الإسناد مفعول في المعنى. ولذلك الدارس ينظر في محصلة الإعراب فكثيرا ما يجد أنه وعقله في واد والإعراب في واد، حتى وإن صار عبقريا في النحو فإنما هو قادر على التحليل المعياري، الذي يحدد المعاني النحوية ولكن مع قصور في المعاني الدلالية، وأحيانا تناقض، ولا يعني أن هذا هو الغالب قطعا بل هو استثناء؛ ولأنه استثناء من السهل استقلالها بإعراب خاص يوفق بين المعنيين النحوي والدلالي.

وكان قد قدم د/شوقي ضيف – رحمه الله – في منتصف القرن العشرين مقترحات إلى مجمع اللغة العربية لإلغاء العامل والإعراب التقديري وعلى المحل ..الخ يقول في ذلك :" ورأيت أن أعرض – تتمة لأعمال الأسلاف في تيسير النحو– دعوة ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) إلى إلغاء نظرية العامل في النحو وكل ما ترتب عليها من تقديرات وصياغات وأبواب وعلل وأقيسة وتمارين افتراضية (...) وقد أرسلت بها إلى مجمع اللغة العربية لدراستها فدرسها وأدخل عليها بعض التعديلات في مؤتمرة سنة 1945م (...) وكنت حين نشرت كتابا لابن مضاء القرطبي سنة 1947م ذكرت في مدخله مقترحات في تيسير النحو أقمتها على ثلاثة

أسس هي إعادة تنسيق أبواب النحو، وإلغاء الإعراب التقديري والمحل، وألا تعرب كلمة لا يفيد إعرابها شيئا [7] ثم يذكر أن تلك المقترحات لم تجد طريقها إلى النور.

على أنه كان ينقص الدكتور شوقي وجود القرائن الدالة الأخرى التي أول من بلور نظريتها الدكتور العلامة/ تمام حسان رحمه الله في كتابه الرائد اللغة العربية معناها ومبناها، ودعا بقوة إلى العدول عن المعيارية في كثير من المواضع والاستعاضة عنها بالقرائن.

❋ معيارية بعض القواعد العامة:

تقول القاعدة النحوية: بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال .. ولكن هذه القاعدة منقوضة برأيي بنوع متعلق الفضلة ففرق بين:

- وجدت رجلا واقفا. وبين
- وجدت رجلا فقيرا.

فينبغي أن يكون (واقفا) حالا لأنها صفة منتقلة لا ثابتة فهل من صفة هذا الرجل أنه واقف؟ أم أنني رأيته حال كونه واقفا وحسب.

أما المثال الثاني فنعم تلك هي صفته وهو أنه فقير.

مثل آخر في الجملة:

- رأيت سفينة تغرق.
- رأيت سفينة ضخمة.

فقولنا (تغرق) لايمكن أن يكون من صفة هذه السفينة أنها تغرق بل رأيتها حال كونها تغرق فتغرق حال من السفينة.

أما ضخمة فهي صفة ثابتة لا تتحول وبالتالي فالصفات الحقيقية هي الصفات المشبهة باسم الفاعل وليس بقية المشتقات والجمل وأشباه الجمل. فهل قولنا:

- حضر طالب بالسيارة.

هل تكون بالسيارة شبه جملة صفة لطالب؟ وهل من صفاته أنه بالسيارة أم أنه الآن بالسيارة وبعد ذلك يتحول عنها؟.. طبعا هناك تخريجات ولكني من حيث الدلالة غير مطمئن لها.

ولقد ورد في كتاب سيبويه جواز جعل ما بعد النكرات أحوالا قال سيبويه رحمه الله:" مررت برجل قائما، إذا جعلت المرور به في حال قيام. وقد يجوز على هذا: فيها رجل قائما، وهو قول الخليل رحمه الله."(8) وهذا الكلام في غاية الأهمية وهو يحل هذا الإشكال وينتصر للدلالة أكثر من التعميم القاعدي غير المراعي لسياقات المقام ولنوع الفضلة ولم أجد مثالا كهذا في حدود بحثي إلا في كتاب سيبويه وهو ما يعني أن التحليل الإعرابي قد التزم توجيه الدلالة عند شيخ النحاة أكثر من القواعد المنحوتة، ثم حدث للنحو جمود من بعده وغلبته الأنماط المتوارثة.

- الإعراب في النحو الدلالي بتضافر القرائن:

إن العلامة الإعرابية لاتكفي وحدها لمعرفة الموقع، وليست هي الحاسمة في كل شيء، بل هي إن وجدت دالة على أن هذا الموقع على سبيل المثال منصوب لا مجرور ولا مرفوع، أي أنها تعين الدارس فقط على استبعاد المرفوعات والمجرورات، لكنها وسط المنصوبات علامة محايدة، فلا تقودك إلى أحد المنصوبات الستة عشرة، أو الأربعة والخمسين كما أوصلها بعضهم، فلاتدري عن طريق العلامة هل الموقع مفعول مطلق أو لأجله أو تمييز فكلها منصوبة..فبقيت عندنا فجوة كبيرة.

السؤال المهم والكبير؟؟؟ ما الذي يمكن أن يعين الدارس في النحو التعليمي على معرفة أي من المنصوبات الستة عشرة؟ الجواب القرينة الكبرى الخاصة بكل منصوب، التي لم تؤخذ في مناهج تأليف النحو كقرائن تحليل بل يتوصل إليها بالدربة الذاتية.. لذلك يحتاج الدارس لعمل ذاتي جبار أكثر حتى يستوعب الفروق.

ولأن علامة النصب على مستوى الباب الواحد تقول لك إن الموقع منصوب وحسب، فهي قرينة صغرى لكنها استمرت هي كل شيء في عملية الإعراب.

قد يقال كل منصوب له تعريف خاص به يميزه عن غيره، والجواب أولا- أن الحدود النحوية تشمل كل القرائن... مثل هذا التعريف للمفعول المطلق، أنه (مصدر منتصب فضلة سبقه فعل من جنسه أو من نوعه) لكن ما يأتي مصدرا كثير، وما يأتي منصوبا كثير، وما يأتي فضلة كثير..هناك قرينة واحدة كبرى لكل موقع إعرابي لايشاركه فيها موقع آخر (يجب ذكرها في الإعراب)، فمثلا المفعول المطلق قرينته الكبرى، أنه سبقه فعل من جنسه، والمفعول به قرينته الكبرى التعدية، والمفعول فيه قرينة الكبرى الظرفية، والحال قرينته الكبرى الاشتقاق والملابسة، والمفعول لأجله العلة، والتمييز التفسير الخ ولو لم يكن لكل موقع قرينة خاصة لما استقل بالإعراب وبها نفرق بين مواقع الفضلات التالية التي سبق شبيه لها:

أ- وجد محمد الماء منتشرا. حال.

ب- وجد محمد الدين منتشرا. مفعول ثان.

أ- أحببت الخير حبا. مفعول مطلق.

ب- فعلت هذا حبا. مفعول لأجله.

نشرح الفروق النحوية:

المثال الأول (أ) (منتشرا) حال منصوب بقرينة الصيغة وبيان الهيئة، لأن الحال لا يأتي إلا مشتقا مبينا لهيئة صاحبه، فهو جواب كيف؟ قد يلتبس بالمفعول به الذي قد يأتي مشتقا كالمثال الثاني، إلا أن الفعل (وجد) هنا متعلق بمادي غير قلبي فيتعدى إلى مفعول به واحد ويتم الكلام المفيد بقولك: (وجد محمد الماء) والمفعول به عمدة في المعنى فلا يكتفى بقولك (وجد محمد...) فلابد من مفعول به، فإذا زِيد عليه فالزائد فضلة فـ(منتشرا) إذن حال فضلة يمكن حذفه ولا يختل الكلام.

وليس الأمر كذلك في المثال الثاني (ب) فالفعل يتعدى إلى مفعولين لأنه متعلق بقلبي فالدين معنوي غير مادي، فوجوده كائن بالقلب ولا يتم الكلام مع الفعل القلبي إلا بمفعول به ثان، فلو قلت (وجد محمد الدين..) لم يتم الكلام وليس كقولك وجد محمد الماء، فلابد من تمام المعنى وهي (منتشرا) مثل (رأيت الله...) لايستقيم حتى تقول رحيما مثلا، وسيعرف الدارس الفعل القلبي وغير القلبي من المعنى الدلالي للسياق.

والآن نفرق بالقرائن بين إعراب التالي:

1- أهلا.

2- فعلا.

الأول لو قلنا إنه مفعول مطلق ف،(أهلا) اسم ذات والمصدر معنى، ولو قلنا مفعول لأجله لايستقيم جئت لأجل أهلا، وليس ظرف زمان ولامكان فيكون مفعولا فيه، ولا ليس حالا لأن حق الحال أن يكون مشتقا، وليس تمييزا لأن المميز لا يحذف إلا بسياق.

إذن هل يصلح أن يكون معناه: (أتيتَ أهلا..أو أتيت أناسا أهلا لك) وأتيت فعل متعد؟ الجواب.نعم موافق لدلالة السياق فهو إذن مفعول به.. أو صفة لمفعول به فالمعنى يتحملهما كما سبق.

والثاني بنفس الطريقة سوف نخلص إلى أنه مفعول مطلق، إذ يصح أن يكون مؤكدا للفعل فعلت هذا فعلا، ولا يستقيم له معنى آخر، وقد يكون الإعراب مشتركا بين وظيفتين وأكثر، وهذا أيضا بحسب صحة قرائن التعليق لهما في الموقع الواحد مثل قوله تعالى: (.. اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) [فصلت : 11].

انظر كيف شرحنا المنصوبات بالقرائن الدالة في نحو صفحتين، وهذا عند الشرح أما عند الإعراب نقول أهلا: مفعول به بقرينة التعدية منصوب بالفتحة؛ لأن التعدية هي القرينة الأولى الحاسمة، والطالب عندما يستدعى له بقية القرائن يدرك الفروق ولن يطول التباس النحو عليه بل سيفهمه سريعا.

- **إعراب الأسماء المبنية عن طريق تضافر القرائن:**

يتكلم المعربون عن وظائف المبنيات من فاعلية أو مفعولية دون أن يقولوا كيف توصلوا إليها، حيث تركوا هذا للخبرة الشخصية، ومن لا خبرة لديه سينتظر طويلا حتى تتكون لديه هذه الخبرة، ولو دخلت القرائن الأخرى في الإعراب لربما خرج الدارس بقدرة أسرع على تحليل صور التركيب.

أمثلة ذلك (كيف نعرب ما بين القوسين؟).

١- تشفيني (قل هو الله أحد): فاعل بقرينة الإسناد، أي بقرينة إسناد الفعل إليها.

٢- ضربَتْ هذا (هذه): فاعل بقرينة الإسناد وقرينة (مطابقة) الفعل للفاعل.

٣- كلم هذا (موسى) مفعول به بقرينة التعدية و(قرينة الرتبة) لأن المواقع إذا لم تدل عليها أي قرينة يلزم العودة إلى الترتيب لئلا يحدث اللبس.

٤- أكل الحلوى (سلوى): فاعل بقرينة الإسناد و(القرينة العقلية) لأن سلوى آكلة لا مأكولة.

٥- جالس زيدا (هؤلاءِ): فاعل بقرينة نصب زيد على التعدية، فيكون الفاعل هو هؤلاء.

٦- جاء (يجري): مصطفى إلى حظه جملة حال مقدمة من مصطفى بقرينة الملابسة (بيان الهيئة).

٧- على الله (توكلي): مبتدأ مؤخر بقرينة الإسناد و(قرينة الصيغة) لأن المبتدأ يكون اسما لا حرف جر.

٨- على الله (توكلت): فعل وفاعل بقرينة الإسناد و(قرينة الصيغة) لأن الجملة الفعلية تبدأ بفعل لا بحرف جر.

كل ما سبق من المواقع المراد إعرابها لاتوجد فيها العلامة الإعرابية، لكننا اهتدينا إليها بقرائن لفظية ومعنوية أخرى.

ولقد تنبه علماء النحو رحمهم الله إلى أهمية ودور القرائن الأخرى، وجعلوها دالة على الإعراب بل ألغوا دور العلامة إذا كان ثم قرينة أقوى منها مثل القرينة العقلية في قولهم: (خرق الثوبُ المسمار) وقالوا: المسمار فاعل وإن جاء منصوبا لاستحالة أن يكون الثوب خارقا للمسمار لا مخروقا، ومنه ندرك أهمية تعلم وتدريس بقية القرائن الإعرابية ووجودها في التحليل الإعرابي، لإزالة جزءا كبيرا من غموض النحو.

على أن البعض سيقول إن في هذا تعقيدا لا تبسيطا والجواب: إن إيراد القرائن لفهم المواقع خير من الرجم بالغيب الذي لايوصل إليها وخيرٌ من ترك الدارس فريسة للمتاهات

الظنية، وإذا قيل إن القرائن مفهومة من السياق فما الحاجة إلى ذكرها في الإعراب؟ نقول والعلامة حينما تكون في الإعراب ما الحاجة لذكرها بل ما الحاجة لافتراضها وتكلف ذكرها أحيانا وهي غير موجودة؟، ثم إن المراد التدريب عليها أكثر من تكرارها إذا كان الدارس على مستوى متقدم من الاستيعاب.

المبحث الخامس:جدلية العامل وتعقيداته

- **جدلية العامل في النحو الدلالي (كلام في غاية العلمية والأهمية):**

لا ريب أن اختلاف الإعراب هو خلاصة المعاني النحوية، ولم يكن ابن مضاء أحمد بن عبد الرحمن في القرن السادس الهجري (512-592هـ) في كتابه (الرد على النحاة)، ولا إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو) من المعاصرين على حق حين قالوا إن الحركات إنما هي لطلب الخفة في الكلام، ونحو ذلك، فكلام العرب والقرآن الكريم معرب وحركاته مسببه.

ولكن السؤال المهم ما الذي يجلب الحركات؟ هل هي العوامل اللفظية والمعنوية، أم هي الوظيفة النحوية للموقع؟ .فمثلا قولنا:

- جاء خالد. هل خالد مرفوع بالفعل أم بمعنى الفاعلية؟ ونحو:

- كلمت زيدا ..هل زيدا مفعول به بالفعل أم بمعنى المفعولية؟

لقد ذهب الدكتور / تمام حسان رحمه الله إلى أن سبب تغير الحالات الإعرابية هي المعاني النحوية التي توضحها القرائن[9]، فالفعل يأتي بعده أنواع من المرفوعات وأنواع من المنصوبات وقد يكون صيغته واحدة ولكن المعاني مختلفة، وليس مثل حروف النصب مثلا إذا

دخلت على الفعل المضارع نصبته مباشرة، ولذلك سماها قرينة الأداة، لكن الفعل وشبه الفعل غير الأدوات، وسوف استعين باستقراءاتي الخاصة لتوضيح هذا الرأي وعلى النحو التالي:

أولا: نحن نقول:

- جاء زيد. والكلام تام فإذا أردنا إضافة فضلة قلنا:

- جاء زيد راكبا.

- جاء زيد صباحا.

- جاء زيد حبا فيك.

فالفعل لم يقاض المنصوبات بل جيء بها حسب الحاجة، فإذن الحال منصوب على الحالية، والمفعول فيه منصوب على الظرفية، والمفعول لأجله منصوب على السببية، وليست منصوبة بالفعل..علما أنها والفاعل تحتاج إلى حدث أي حدث لتقييده، لكنه لا يحتاج هو إليها [عدا الفعل المتعدي هو الذي يقاضي المفعول به] والدليل عمله في الأمثلة بدون وجودها، وقد يرفع الفاعل وقد تنصب المنصوبات في جمل ليس فيها فعل، فالفاعل نحو:

- أقائم الزيدان؟ الزيدان فاعل سد مسد الخبر، فالفاعل مرفوع على الفاعلية بقرينة الإسناد، مثلما أن الذي رفع المبتدأ الابتدائية بقرينة الإسناد وعندما أقول: (أمنطلق زيد)؟ أربط الإعراب بالمعنى وأدرك أن زيدا قد أحدث الانطلاق، فهو فاعل بالفاعلية التي أحدثها، وليس بالفعل.

والمنصوبات قد تنصب في جمل ليس فيها فعل نحو:

- محمد في الكلية حبا في التعليم.

- السفر غدا، (غدا) مفعول فيه منصوب بالفتحة وقع موقع الخبر.

- لله دره فارسا.

وغيرها كثير من المواقع .. فحبا وغدا وفارسا، نصبت بلا فعل.

ثانيا- النحويون أنفسهم قد عللوا بعض الحالات الإعرابية بالوظيفة النحوية وليس بالفعل، فقالوا (منصوب على الاختصاص، منصوب على الإغراء، منصوب على التحذير)، تحاشيا من تأويل الفعل الذي هو هنا محذوف وجوبا؛ لأن صاحب الإغراء أو التحذير لم يرد ذكر الفعل وإلا لقال الزم أخاك في الإغراء ولكنه قال (أخاك) وفيه معنى أكثر من الفعل، أي احفظه راقبه علمه ..الخ ولو كان منصوبا بفعل مخصوص لأورده.

ثالثا- لو كان لابد لكل فعل من فاعل لوجب أن يكون للأفعال الناقصة فاعل ففيها الحدث والزمن كأي فعل (كان زيد واقفا) ونحن نقول (طالما وقلما) ولا فاعل لها نقول: (طالما نجح المجد) المجد فاعل (نجح) ولا فاعل (لطالما).

كذلك لو أنه لابد لكل حدث من محدث في المعاني النحوية، لكانت المشتقات كلها متضمنة الحدث لكنها لا تتطلب دائما فاعلا كما هو معروف، إذن لابد لكل فاعل من حدث، وليس لابد لكل فعل أو حدث من فاعل، وعليه فالفاعل مرفوع بالفاعلية لا بالفعل.

رابعا- لا يوجد للمبتدأ ولا الخبر ولا الفعل المضارع المرفوع عامل بل المبتدأ مرفوع على الابتدائية والخبر على الخبرية وكذلك الفعل المضارع المجرد مما يشير إلى أن الفعل (العامل) صناعة فرضية أكثر منه حقيقة تلازمية.

لماذا الأفضل إيعاز الحالة الإعرابية إلى المعنى النحوي بدل العامل؟

إن افتراض العامل قد جر نفسه كمعيار ضابط على كل فاعل، وعلى كل منصوب فضلة، فذهب النحويون يبحثون عن الفعل المقدر لكي يوجهوا علة الرفع أو النصب حتى في تلك التي لا فعل لها مخصوص، فتركوا جدلا في أبواب مثل التنازع، والاشتغال، والإغراء، والتحذير، والاختصاص، والشرط الذي تلاه اسم..الخ فجعلوا يقولون في نحو: (والسماءَ رفعها للأنام) أي: بنى السماء رفعها، أو هي منصوب بفعل دل عليه ما بعده، فهل الله أراد هذا؟ إنها منصوب على المفعولية وحسب، حيث إن متعلقها أفعال كثيرة صالحة، مثل: اذكر السماء، انظر السماء، بنى السماء، زين السماء..الخ وهذا أبلغ لأن فيه توسعا دلاليا ولا يحتاج إلى ذكرها المعرب؛ لأنها لا تحد بمعنى معين فيكفي أن يقول: منصوب على المفعولية، وفي الشرط يقولون في نحو: (وإن امرؤ من المشركين استجارك..) أي: إن استجارك امرؤ من المشركين استجارك، فهل حقا الآية تتحمل هذا المعنى، أم المعيار النحوي هو الذي أوجبه؟

وفي التنازع نحو: (كلم وضرب زيد خالدا)، بنظرية العامل لابد للفعل الأول من فاعل ولا بد للفعل الثاني من فاعل، ولا بد لهما أيضا من منصوبين اثنين، وكان يكفي أن يقال (زيد) مرفوع بالفاعلية بقرينة الإسناد و(خالدا) منصوب بالمفعولية بقرينة التعدية.

- **التحليل الإعرابي على ضوء العامل المعنوي:**

سبق أن أوضحت فيما سبق أن معنى المكون النحوي في الجملة هو وراء الرفع أو النصب أو الجر، وليس الفعل أو شبهه، قال الزمخشري: رحمه الله" لا يكون الاسم مجرورا إلا بالإضافة

وهي المقتضية للجر، كما أن الفاعلية والمفعولية هما المقتضيان للرفع والنصب."[10] وإلى هذا ذهب غير واحد من النحاة.

وهذا يقودنا إلى إدراك أن المنصوبات (الفضلات) هي قيود للحدث (الفعل)، فقد أضيفت إليه لافتقار السياق إلى واحد منها أو أكثر، لتخصيصه، وليست هي مفتقرة إليه أي الحدث (ما أسموه بالعامل) والدليل أننا نجد الفضلات في جملة اسمية كما سبق نحو: (لله دره فارسا). فهي أي الفضلات إضافات لبيان إما على من وقع الفعل فالمنصوب (مفعول به) .. أو أين وقع أو متى وقع الفعل فالمنصوب (مفعول فيه)،أو لماذا وقع فالمنصوب (مفعول لأجله)،أو كيف وقع فالمنصوب (حال)..الخ.

إذن هذه الفضلات هي قيود إخبارية على الفعل لجمل استخبارية، فالملقي يفترض أن المتلقي يحتاج لمزيد من توضيح متعلقات الحدث كيف وقع أو متى وقع؟..الخ فيوردها مقيدة للحدث في سياق الكلام.

ولو أُخذ بهذا الضرب من التوجيه الدلالي بين الإخبار والاستخبار لسهل التحليل النحوي في هذا الحقل كثيرا..نمثل لذلك بأسئلة افتراضية على النحو التالي:

- أكرم محمد خالدا.... خالدا: مفعول به لأنه جواب لسؤال من أكرم محمد؟..
- قطع محمد شجرة....شجرة: مفعول به لأنه جواب لسؤال ما قطع زيد؟ ما لغير العاقل.
- حضر محمد حبا فيك....حبا: مفعول له، جواب لسؤال لماذا حضر محمد؟
- جاء محمد صباحا.... صباحا: ظرف زمان، جواب لسؤال متى جاء محمد؟
- جلس محمد أمامك....أمام: ظرف مكان، جواب لسؤال أين جلس محمد؟

- عاد محمد منتصرا....منتصرا: حال، جواب لسؤال كيف عاد محمد؟

- اشترى محمد عشرين كتابا ....كتابا: تمييز، جواب لسؤال اشترى محمد عشرين ماذا؟

- عبدنا المدينة طرقا... طرقا تمييز: جواب لسؤال ماذا عبدنا المدينة؟

- امتلأ القلب حبا....حبا: تمييز جواب لسؤال ماذا امتلأ القلب؟

ويستثنى من الإخبار المفعول المطلق فهو جواب لجملة منفية لأن التوكيد يأتي لمن يشك في الخبر أو ينفيه فقولنا:

- كلمت محمدا تكليما. جواب لجملة ما كلمت محمدا!

وسنعرف الموقع الإعرابي من خلال جوابه على أي من الأسئلة الافتراضية السابقة.

** ثم إن الوضع سينعكس في إعراب أسماء الاستفهام، فيكون إعراب جمل الاستخبار هو إعراب جمل الإخبار، أي إن إعراب اسم الاستفهام هو نفس إعراب المستفهم عنه في الجواب، وهو ما يشير إلى علاقة الاستبدال بين جواب الأسئلة الافتراضية السابقة والأسئلة الحقيقية، وفهم هذا سيزيح عن الدارس إحدى معضلات النحو وهي إعراب أسماء الاستفهام وذلك على نحو الجدول التالي:

السؤال	الجواب	الموقع الإعرابي للمسؤول عنه في الجواب	الموقع الإعرابي للسؤال
- ما اسمك؟	اسمي زيد	زيد: في الجواب خبر	إذن ما: في السؤال خبر مقدم
- ما صنعت؟	صنعت سيارة	سيارة: في الجواب مفعول به	إذن ما: في السؤال : مفعول به مقدم.

– كيف جئت	جئت راكبا	راكبا: في الجواب حال	إذن كيف في السؤال حال مقدم
– من أنت؟	أنا صديقك	صديقك: في الجواب خبر	إذن من: في السؤال خبر مقدم
– من كلمت؟	كلمت زيدا	زيدا: في الجواب مفعول به	إذن من: في السؤال مفعول به مقدم
– أين أنت؟	أنا في السوق	في السوق: في الجواب خبر	إذن أين: في السؤال خبر مقدم
– أين تجلس؟	أجلس يمينك	يمين: في الجواب ظرف مكان	إذن أين: في السؤال ظرف مكان.
– متى حضرت؟	حضرت صباحا	صباحا: في الجواب مفعول فيه	إذن متى: في السؤال مفعول فيه ظرف زمان
– كم مالك؟	مالي ألف	ألف في الجواب خبر	إذن، كم: في السؤال خبر مقدم.
– في كم حضرت؟	في عشرين فردا	عشرين: في الجواب مجرور	إذن كم: في السؤال مجرور.
– ماذا عندك؟	عندي خير	خير: في الجواب مبتدأ	إذن ماذا: في السؤال مبتدأ

.....إلخ

وهكذا في بقية أساليب الاستفهام... ويستثنى ما يتحول فيه المبتدأ إلى فاعل في الجواب نحو:

– من جاء؟ الجواب: جاء زيد..هاهنا لا يقال إن (من) فاعل لأن الفاعل لا يتقدم على فعله بل هو مبتدأ مثل زيد حضر.

الخاتمة والنتائج:

مما سبق نخلص إلى النتائج التالية:

أولا- يأتي النحو الدلالي في مقابل النحو المعياري، فالذي يتحتم فيه أن تكون الدلالة مرتكز التحليل الإعرابي وليس ضابط معيار القواعد الحدية، بل يكون للدلالة السلطان في ترتيب أبجديات الإعراب وتوصيفه، فتركز على الدلالة النحوية والدلالة العامة، فلا يكفي أن يكون الفاعل مثلا فاعلا في الإسناد بل يدخل حقيقة الفاعلية أو المفعولية على الواقع فنحو: (انكسر الزجاج) فالزجاج: مفعول به في المعنى فاعل في الإسناد، ونحو:(ما ضرب زيد عمرا) نسميه فاعل الفعل المنفي؛ لأنه لم يضرب في الواقع.

ثانيا- يعاد النظر في تقسيم الكلمة دلاليا طبقا للحدود النحوية وليس بناء على ضابط معياري، مثل قولهم إن الاسم ما صح دخول حروف الجر عليه، أو صح الإسناد إليه، بل الاسم (ما دل على مسمى معين) فخرج بذلك الصفات، فالصفات صفات والأسماء أسماء، ويخرج ما هو ضمير عائد على الاسم وهي ضمائر الشخص والإشارة والموصولة، فهذه أدخلوها تحت تقسيم الاسم وإنما هي ضمائر كما ذهب إلى ذلك د. تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها ..الخ ضف إلى ذلك قصر مسمى الظرف على ما لا يتعدى الظرفية إلى غيرها، وتكون الظروف تقسيما خاصا.

كذلك يستدرك في تقسم الفعل تقسيمه بحسب زمن السياق، وليس بحسب زمن الصيغة الصرفية المجردة وحسب، فزمن الصيغة زمن محايد حيث يتغير في السياق فمن الماضي مثلا المنقطع، والمستمر، والمحول إلى المستقبل ..الخ فقولنا مثلا: (وكان الله غفورا رحيما) لا

يكتفى بالقول إن (كان) فعل ماض ناقص بل فعل ماض مستمر توفيقا بين المعنى النحوي للفعل والمعنى السياقي، وإلا سيعني أن الله كان غفورا رحيما ثم لم يعد كذلك.

ثالثا- لا نحتاج في النحو الدلالي أن نفترض علامة لما لا يظهر عليه العلامة كالمبنيات والجمل حيث لا نستفيد من تقديرها، ولكن يكتفى بالدلالة النحوية للموقع تحاشيا لتكرار أنماط غير مدركة وتعقيد طلاب العلم بها، فيقال فاعل مبني وانتهى، فلاوجود للعلامة والأجدر هنا الانشغال بتضافر القرائن الأخرى التي دلت على الوظيفة النحوية للموقع بعد غياب قرينة العلامة.

ومن أمثلة الظواهر المعيارية افتراض جزم فعل الشرط وجوابه إذا لم يكونا فعلا مضارعا، فهنا يكفي أن يقال والفعل الماضي فعل الشرط، كما لا حاجة إلى تقدير فعل الشرط في نحو قوله تعالى: (إذا السماء انشقت) فلا يقال إنه على تقدير إذا انشقت السماء انشقت استجابة لمعيار تم وضعه ليعم كل الظواهر وإن اختلفت صورها وأشكالها، ولعل رأي الكوفيين هاهنا أقرب للصواب.

رابعا- في النحو الدلالي يتم التركيز على معاني الفاعلية والمفعولية والإضافة أكثر من العامل الذي هو قرينة إعرابية وحسب، ونعني بذلك عامل الفاعلية والمفعولية تحديدا وهو(الفعل وشبهه) فقد يرفع الفاعل أو ينصب المفعول بلا فعل مثل (محمد في الدار جالسا) فيكفي أن يقال إن (جالسا): منصوب على الحالية، أي أن الناصب له هو معناه النحوي و(زيد ممسك كتابا) (كتابا): منصوب على المفعولية، إذ إن دراسة العامل باب كبير من فعل وشبه الفعل وفيه تكلف، فما هو أجدى هو التركيز على فهم المعنى النحوي للموقع بتضافر القرائن، والعامل قرينة لا أكثر فلا يضخم فوق ما يجب.

خامسا- يهتم النحو الدلالي حين يحدث تقارب شديد بين معنى نحوي وآخر باستدعاء القرائن الفارقة، فإذا اشترك المفعول المطلق كمثال والمفعول له في أن كليهما منصوب، وجامد، وفضلة، فإن المفعول المطلق يتميز أنه يؤكد فعله ولابد أن يسبق بفعل من جنسه أو من معناه، وأن المفعول له مصدر شعوري يبين سبب وقوع الفعل ويكون هذا منهجا ثابتا.

سادسا- يقوم النحو الدلالي بجدولة التعلق النحوي ما هو الطرف النحوي الذي يكمل مع هذا الموقع دلالة نحوية؟ وما هي شروط هذا التعلق؟، وما الذي يحدث من تحول في المعنى عند حدوث الاستبدال الصيغي؟ ففرق مثلا بين تعلق الفعل مع منصوبة في مثل : (قطعت ساعة في العمل) و(سرت ساعة للعمل) فالفعل قطع [يقع على] بينما الفعل سار [يقع في] ف(ساعة) الأولى مفعول به، والثانية مفعول فيه لاختلاف معنى المتعلق.

سابعا- النحو الدلالي يركز أيضا على قولبة الأبواب ودلالتها، انطلاقا من خصائص الجملة النحوية لكل باب من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، ومطابقة ومخالفة ..الخ بين المتعلقين النحويين، وبما من شأنه أن يجيب على سؤال موقف القاعدة النحوية من التقديم هنا أو منعه كمثال، وما في ذلك من قيم دلالية مختلفة وبشكل خفيف، إذ إن كل عدول عن أصل إنما يكون لغرض دلالي من المهم معرفته ولا يدرس ذلك فقط من باب الجواز والمنع، فوجود الغايات من شأنه تهديف النحو ومجرد التحليل ينزع عن النحو روحه المتمثل في الجمال والأسلوب.

ثامنا- يعمد النحو الدلالي إلى التفريق بين الموقع نفسه جامدا ومشتقا صريحا ومؤولا متصلا باللواصق وغير متصل على مستوى الدلالة النحوية والدلالة العامة، وبصورة مبسطة، وبالتالي يترك مجالا للتفريق بين حروف المعاني كاللامات والفاءات..الخ في جداول موجزة.

تاسعا- يتوخى النحو الدلالي الدقة في منهجية التأليف من حيث التدرج وعدم الحشو والاستطراد ويتوخى الدقة في منهجية الإعراب في التركيز على الدلالة أكثر من المعيار.

عاشرا- يهدف النحو الدلالي إلى تحرير بعض المصطلحات من المشترك اللفظي وتخليصه من الترف الفلسفي أحيانا، ولزوم مالا يلزم من تعديد شروط يمكن ضغطها بحد نحوي جامع مانع.

أحد عشر- يهدف النحو الدلالي إلى بلورة ما توصل إليه العالم العربي الكبير تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) من نتائج دراسة رزينة حول بعض الاختلالات المنهجية والاصطلاحية والدلالية في كتاب ينقل النظرية المجردة إلى واقع عملي علمي بقدر ما تمدنا العناية الإلهية وسط ظروف مائجة من تسهيلات وتذليل للصعوبات.

أخيرا ليس في مسمى النحو الدلالي المزمع إخراجه بتوفيق من الله بعد عرضه على أولي التخصص أي تغيير لأسماء المواقع وعلاماتها، والعلامة وضبط الكلام المعرب غاية أولى لكنه ليس الوحيد فلابد من الدلالة ومنهجيتها، وكل ما هنالك أنه يهدف إلى إخراج النحو بحلة جمالية دلالية ومنهجية وفنية مختلفة ومبسطة تهدف إلى خدمة النحو وتذليل مقاده لطالب العلم.

الهوامش:

(1) سيبويه، الكتاب تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل. بيروت، 1 /25.

(2) أبو البقاء محب الدين عبدالله، اللباب في علل البناء والإعراب تحقيق : غازي مختار طليمات، دار الفكر ، دمشق ط1 ، 1995م 55/1

(3) الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية بيروت 93.

(4) ينظر: السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر ينظر الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ-1990 . 2/ 283 وقال نقله ابن هشام في (تذكرته).

(5) حسن، عباس، النحو الوافي ، دار المعارف ط15، 4/ 442.

(6) ينظر : ضيف، شوقي، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا – دار المعارف – ط2، 82.

(7) المصدر السابق 4-5.

يقولون إن الإعراب التقديري أو على المحل يفيد في فهم إعراب التابع مثل (هؤلاء الفضلاء صادقون) فالفضلاء مرفوعة لأن المبتدأ مرفوع، والصحيح أن الفضلاء مرفوع لأنه كان حق المبتدأ الرفع، وليس لأنه مرفوع في المبني، فالمبني مبني.

(8) الكتاب 2/20.

(9) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها ،عالم الكتب، القاهرة- ط5 1427هـ-2006م 191.

(10)الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق : د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال – بيروت – ط1 ، 1993م ،113.

قائمة المصادر:

1. الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت.
2. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط5 1427هـ-2006م.
3. حسن، عباس ، النحو الوافي، دار المعارف الطبعة، ط15.
4. الزمخشري، محمود بن عمر ، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق : د.علي بو ملحم.دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1 ، 1993م.
5. سيبويه، عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل.بيروت.

6. السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية،ط1،1411هـ-1990.
7. ضيف، شوقي ، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا، دار المعارف،ط2.
8. العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر دمشق، ط1، 1995م.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

الرَّمز
في شعر فيصل البريهي

د. عبده عبدالكريم عبدالله مقبول*

الملخص:

اتَّجه الشِّعر العربي الحديث إلى توظيف الرَّمز، بوصفه تقنية خاصَّة يتوسل بها للتعبير عن الحياة برؤيا معاصرة، ويُجدِّدُ به الشَّاعر مواقِفَهُ؛ لأنَّهُ يعتمد نسيجا لغويًا خاصًا يتعدَّى به إقامة العلاقات إلى آفاق جديدة مفتوحة، تتداخل فيه نصوص حاضرة وغائبة، ويتمازج الواقعي مع الأسطوري، وتتقاربُ فيه وقائع شّتى متنافرة، أو متناقضة ممَّا يتوّلد عنه قراءات متعددة ومتباينة للنص.

وقد حاول الشَّاعر فيصل البريهي مسايرة هذا المدِّ الإبداعي، فعمد إلى توظيف كثيرٍ من الرُّموز التَّاريخية والتُّراثية والمحلية والشَّعبية فضلاً عن توظيف بعض الألوان رموزًا لما تُوحي به.

ويأتي هذا البحث محاولة لاستنطاق شعر البريهي من خلال رموزه التي وظفها في شعره؛ ليصل إلى نتيجة مفادها: إنَّ شعر البريهي نموذجٌ من تلك الحالات التي ضخّت حياةً جديدة في المشهد الشِّعري اليمني المعاصر، فقد انسجمت لغةُ الشَّاعر مع المجتمع، وتميَّزت بالوضوح والبساطة، فاقتربت من روح العصر وروح اللغة اليومية والمحلية، غير أنه قام بدور في تحديث وظائفها التعبيرية بما ينسجم مع رسالته التي يلتزم بها ويقدمها إلى أبناء أمته.

الكلمات المفتاحية: الرَّمز، الرَّمز الشِّعري، فيصل البريهي، الفني.

* أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية التربية – المهرة .

The Allegory in Faisal Al-Bureihi's Poetry.

Dr. Abdo Abdul Kareem Abdullah

Abstract:

Contemporary Arabic poetry has inclined towards employing allegory as an exceptional technique that is used as a means to express life with a modern vision and a way the poet defines his standpoints. This is because allegory adopts a distinct linguistic structure that goes beyond establishing new relations to new unwrapped horizons, where existing and unseen texts overlap, where realism and legendary merge and where various incongruous or contradictory facts converge, and as a result, multiple and different readings of the text emanate.

The poet, Faisal Al-Bureihi has tried to conform to this creative surge, and to this end, intended to exploit many of the historical, traditional, local and popular allegory, in addition to employing some colours as symbols for what they suggest.

This research comes as an attempt to inspect Al-Bureihi's poetry through the allegories that he employed in his poetry, and reached to a conclusion that Al-Bureihi's poetry is an exemplary of the cases that have propelled new life into the contemporary Yemeni poetic scene. The poet's language has become harmonious with the society and has been characterized with clarity and simplicity, and for that, it drew near to the spirit of the era and the spirit of the daily and local language. Yet, the poet has played a role in updating its expressive functions in line with the message he adheres to, and bestows it to the people of his nation.

Key Words: Allegory, The Poetic Allegory, Faisal Al-Bureihi, Technique.

مقدمة:

اقترن الاتصال منذ بدايته بالرَّمز والإشارة الحركية التي تواصل بها الإنسان مع أخيه الإنسان لغرض التعبير عن احتياجاته قبل تطور اللغة، مستخدمًا في ذلك الرسم أو الحفر أو

التلوين داخل الكهوف وعلى الجبال الصخرية بخامات بسيطة بساطة طرق التعبير آنذاك، فكانت الرموز تعمل بوصفها وسائطَ بين عالمين: المادي والروحي، ثم اقترن الرَّمز بالآداب والفنون العامة، باعتباره صيغة مُثلى تُعبِّرُ عن الواقع والخيال معًا؛ لهذا فانَّ جُلَّ مصادر الفنِّ الرَّمزي راسخة في الذاكرة الإنسانية؛ لاتصالها الوثيق بالديانات القديمة[1].

وقد استخدم الشَّاعر المُعاصر الرَّمز بدعوى أنَّ اللغة العادية عاجزةٌ عن احتواء التَّجربة الشُّعورية وإخراج ما في الشِّعور، وتوليد الأفكار الكثيرة في ذهن القارئ، فبالرَّمز تستطيع اللغة نقل هذه التجربة واجتياز عالم الوعي إلى عالم اللا وعي، وهذا ما عناه (إليوت) بقوله: ((الرَّمز يقع في المسافة بين المؤلف والقارئ لكن صلته بأحدهما ليست بالضرورة من نوع صلته بالآخر، إذ إنَّ الرَّمز بالنسبة للشاعر محاولة للتغيير ولكنه بالنسبة للمتلقي مصدرَ إيحاءٍ))[2].

وبذلك يحمل الرَّمز دلالتين: دلالة تعبيرية، ودلالة إيحائية؛ أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية والاجتماعية والثقافية؛ التي لا تقوى على أدائها اللغة العادية. فالرَّمز يبدأ من الواقع ليتجاوزه دون أن يُلغيه، إذ يبدأُ من الواقع المادِّي المحسوس ليتحوَّل هذا الواقع إلى واقعٍ نفسيٍّ وشعوريٍّ تجديدي يمتدُّ عن التجديد الصارم[3].

الرمز لغة واصطلاحا:

أ- الرمز لغة:

جاء في لسان العرب في مادة: (ر م ز): "الرَّمزُ تصويتٌ خفيٌّ باللسانِ كالهَمْسِ، ويكونُ بتحريكِ الشَّفَتَين بكلامٍ غير مفهومٍ باللفظ من غير إبانةٍ بصوتٍ، إنَّمَا هُو إشارةٌ بالشَّفَتَين ...، ورمزتهُ المرأةُ بعينها؛ ترمزه رمزا: غمزَتْهُ، والرَّمزُ والتَّرْمِيزُ في اللغة: الحَرْمُ والتَّحرِكُ))[4].

وربما أُطلِقَ الرَّمزُ على ما يُشير إلى شيءٍ آخر، ويقال لذلك الآخر: مرموزٌ إليه، ويجمع الرَّمز على رُموز. قال الشَّاعر:

وقال لي برموزٍ من لواحظه: إنَّ العناقَ حرامٌ، قلتُ: في عُنُقي[5]

وفي القرآن الكريم: ((قال ربِّ اجعل لي آية، قال آيتك ألا تكلِّمَ الناس ثلاثة ليال إلا رمزا))[6]، حيث وردت كلمة رمز بمعنى الإشارة[7]، سواء أكانت باليد أم بالرأس، وأصله التَّحريك. ومما ورد في تأويل الرَّمز في الآية؛ ((إنَّ زكريا عليه السلام عُوقب حينَ سأل اللهَ عزَّ وجل آيةً؛ أي علامة أنَّ هذه البشارة بـ(يحيى) إنَّما هي فعلاً بِشَارةٌ من الله تعالى رغم مشافهة الملائكة إيَّاهُ بذلك، فعُوقِب فأخذَ عليهِ بلسانِهِ، فجعلَ لا يقدرُ على الكلام إلا ما أوْمَأَ وأشار))[8]. أي أنْ يرمُزَ بلسانهِ الكلامَ.

ب- الرمز اصطلاحا:

يمكن القول: إنَّ الرَّمز لم يتخذ معنًى اصطلاحيًا عند العرب إلا في العصر العباسي؛ لِمَا عرفَتْهُ هذه الفترةِ من تطوُّرٍ في كُلِّ المستويات الاجتماعية، الاقتصادية، والفكرية، وحتَّى الدينية؛ ((حيثُ أخذ التشيُّعُ والتَّصوُّف سُبلاً مذهبيةً... هذه الأوضاع كانتْ مدعاةً إلى نشاطِ التَّعبير الرَّمزي على ألسنةِ الأدباء والشُّعراء والكُتَّاب، فضلا عن أنْ يتَّضِحَ معنى الرَّمز في أذهان النُّقاد))[9].

فالجاحظ الذي تحدَّث في مواضع عديدة من كتابيه: البيان والتبيين، والحيوان، عن البيان وقسَّم وسائله إلى لفظٍ وخطٍّ وعقْدٍ وإشارةٍ، ثمَّ وقفَ عند الإشارة وتحدَّث طويلاً عن مقدرتها على إيصال المعنى إلا أنَّهُ لم يُشر إلى الرَّمزِ، إنَّما ذكرَ الإشارةَ والوَحيَ والحذف[10].

يقول: فأمَّا الإشارةُ فأقربُ المفهوم منها رفعُ الحَواجِبِ، وكسرُ الأجفَانِ، ولَيُّ الشِّفَاهِ، وتحريكُ الأعناق، وقَبْضُ جِلدَةِ الوَجهِ.. [11]، ولذلك ألحَّ على أنَّ هناك بيانًا غائرًا في المخلوقات تستخلص دفائِنُهُ بالتأمُّلِ والتَّدَبُّرِ، فالكونُ شاسعٌ ناطق بعظمة خالقه، ومبرهن على وجوده، والأجسام الخُرْسُ الصَّامتَةُ ناطقةٌ من جهةِ الدَّلالَةِ ومُعرِبَةٌ من جهةِ صِحَّةِ الشَّهَادة...[12].

أما قُدامَة بن جعفر فقد ذهب إلى أنَّ الرَّمزَ هو الصوتُ الخفيُّ الذي لا يكاد يُفْهَمُ[13]، واستشهد بقوله تعالى: ((قال ربِّ اجعلْ لِي آيةً قال آيَتُكَ ألا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثلاثةَ أيَّامٍ إلا رمزا))[14].

في حين وقفَ ابن رشيق القيرواني وقفةً متأنيةً عند الإشارة وشرحها، وعدَّد أشكالَهَا؛ فذهب إلى أنَّها أنواعٌ منها: التَّعريضُ والإيماء، والتَّلويحُ، والتَّعمِيَةُ، واللمحَةُ والرَّمزُ؛ الذي عرفه قائلا: ((وأصلُ الرَّمز الكلامُ الخَفِيُّ الذي لا يكاد يُفهَمُ ثم استُعمِلَ حتى صارَ الإشارة..))[15].

أما أثرها في أداء المعاني فقد بيَّنَهُ بقوله: ((والإشارةُ من غريب الشِّعر ومُلَحِهِ وبلاغةٌ عجيبةٌ تدلُّ على بُعدِ المرمَى وفَرْطِ المقدرةِ وليسَ يأتي بِهَا إلا الشَّاعر المُبْرِزُ والحاذِقُ المَاهِرُ، وهي في كُلِّ نوعٍ من الكلام لمحةٌ دالةٌ واختصارٌ وتلويحٌ يعرف مجملا، ومعناهُ بعيدٌ عن ظاهرِ لفظِهِ))[16].

وعلى هذا يتفق الأقدمون في تعريف الرمز بأنه: كناية غامضة إذ إنَّ الرَّمزَ هو أنْ يُشَار إلى الشيء على سبيل الخُفْيَة.

و ((أصل مادة رمز في اللغة اليونانية: (Simbolien)؛ التي تعني الحِرْز، والتقدير، وهي مُؤَلَّفةٌ من Sim بمعنى مع، وBolien بمعنى حرز))[17]؛ ولذلك فإنَّ أرسطو يُحدِّدُ معنى الرَّمز على المستوى اللغوي من حيث إنَّ ((الكلمات المنطوقة رموزٌ لحالات النَّفس، والكلمات المكتوبة رموزٌ للكلمات المنطوقة))[18]. ولم تبتعد دلالتها التي عُرفت قديمًا عن الدَّلالة الأدبية الحديثة، فمثلا كانت تعني قديما: شيئًا ما يعني شيئا آخر[19].

أما في النقد العربي الحديث فقد عرَّفه محمد غنيمي هلال، بأنَّه: ((الإيحاء؛ أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية))[20].

وعرَّفَهُ محمد فتوح أحمد، بقوله: ((الرَّمزُ شيءٌ حِسِّيٌّ مُعتبَرٌ بوصفهِ إشارةً إلى شيءٍ معنوي لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائمٌ على وجودِ مُشابهة بين الشيئين أحسَّتْ بها مخيلة الرَّامزِ))[21]؛ لذا فهو وسيلةٌ من وسائل الربط بين عنصرين متداعيين لغايةِ دلالة أحدهما على الآخر، أما العلاقة بين الرَّمز وما يُشيرُ إليه، فهي علاقة إيحائية لكن تتحدَّد قيمته الدلالية حينما يندغم في البناء العام للنص[22].

في حين جاء تعريف المعجم المُفَصَّل في الأدب بأنَّهُ: ((علامةٌ تعتبر مُمَثِّلَةً لشيءٍ آخرَ ودالَّةٌ عليه، فتُمَثِّلُهُ وتَحلُّ مَحلَّه))[23].

ويبدو أن التعريفات جميعها تكادُ تتقارب في أنَّ الرَّمزَ هو الإشارة والإيماء، وأنَّ الدَّلالة الرَّمزية هي أن يُوحِي وجودُها بمعنًى آخر.

الرَّمز الشِّعري:

هو أسلوبٌ من أساليب التصوير في الشعر، أو وسيلةٌ إيحائية من وسائله، فالصورة والرَّمز يقومان على التشبيه وعلاقتهما أقرب إلى علاقة الجزء بالكل[24].

أما الشِّعرُ فهو صياغةٌ وتصوير يتجاوز بهما الشَّاعر إطار النَّظْمِ إلى الإيحاءِ والمُتعَةِ والإدهاش، فالشَّاعر يتناول المعاني ويحملها بألفاظٍ، يُلْبِسُهَا بها حُلَّةً جميلة بحيث يؤثر في سامعيه، ويسلب خيالهم وعواطفهم بما يحققه من متعة فنية لهم. وبملامسة المعنى بطريقة شعرية فهو غالبا ما ينأى عن التَّصريحِ إلى التَّلميحِ.

والشَّاعرُ يلجأُ إلى توظيف الرَّمزِ في تجربته لبلورة رؤية خاصة، أو خوفًا من السلطة والنظام؛ فيستخدم الرَّمز للإيحاء بدلاً من المباشرة؛ حتى لا يقع في دائرة المساءلة[25].

- المدرسة الرَّمزية:

تُعدُّ الرَّمزية إحدى المدارس الأدبية التي أَثْرَتْ الأدبَ بكُلِّ أنواعهِ في شكلهِ ومضمونهِ وغاياته، منذ توهُّجِهَا في فرنسا، وخروجها عن مألوف البيان، وصَدْمِهَا لذوق المتلقِّي حينما هوَّمَتْ بالشِّعر في كُلِّ أفقٍ، مُشِيحةً بوجهِهَا عن كُلِّ قيدٍ أو ضابطٍ فنِّي[26].

والرَّمزية ((مذهبٌ مثاليٌّ يرى العالم الخارجي من خلال الذَّات ويردُّهُ إليها))[27]، وأنّها طريقة في الأداء الأدبي تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر وإثارتها بدلا من تقريرها أو تسميتها أو وضعها، ولم تُعرف الرَّمزية على هذا الوجه إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[28].

وأول ما ظهرت هذه المدرسة في فرنسا بين عامي: 1880- 1900م، وكان من أهم رُوادِهَا: (بودلير)، و(فرلين)، و(رامبو)، و(مالارميه)... وغيرهم[29].

ومن أهم خصائص الرَّمزية بوصفها مدرسة أدبية[30]:

1- الاحتفاء بالغموض؛ أن يكون الشِّعر مبهماً لا يُفهَم، ويكفي أن يترك في النفس أثراً قوياً، والشِّعر الجيد- في نظرهم- هو الذي يترك في نفس المتلقي/ القارئ شعوراً بعدم الاكتفاء من خلال الكلمات الموحية غير واضحة الدلالة؛ لأن الغاية من الشِّعر ليست الفكرة الواضحة الدلالة، ولا الشعور الواضح المحدد، ولكن غموض الأحاسيس القلبية وعمق المشاعر النفسية.

2- التركيز على الإيحاء؛ إذ ليس على الشَّاعر أن يُسَمِّيَ الأشياء بأسمائها.

3- الاهتمام بموسيقى الشِّعر.

4- الدعوة إلى البعد عن الموضوعات الشعبية والسياسية.

5- أن يكون الشِّعر مرنا لتكييفه كيف شاءوا لإحداث الأثر النفسي الذي يطمحون إليه.

الرمز في شعر فيصل البريهي:

أولا: الرَّمز التراثي:

بالنسبة لاستدعاء الشخصيات التاريخية والدينية، والأدبية والسياسية فهي كثيرة في شعر فيصل البريهي، ولكن البريهي كما يبدو لا يوظفها على شكل قناعٍ رمزيٍّ دلالي بعيد الغَورِ لإنتاج دلالةٍ مكثفة، وإنما هو يستدعي هذه الرموز/ الشخصيات استدعاءً مباشرًا ليوظِّفَها في المعنى الذي يُريد. وسنسرد هنا بعض الأمثلة/ النماذج في توظيف هذه الشخصيات واستدعائها، من ذلك استدعاؤه لأسماء تراثية من نحو قوله:

أمـا تعرفـوني مـن أنـا؟ أنـا حمـيرٌ ... مـن تعـرف الـدنيا شـموخ مكـاني
أنـا ابـن ذي يـزن العظـيم وتُبَّـعٍ ... أصـلي وفصـلي اليعـربي قحطـاني

نسبي إلى تلك المعارق ينتمي جذرا عريق المنهلين يماني[31]

فـ(حمير، ابن ذي يزن، تُبَّع، يعرب، قحطان..) أسماء تشير إلى التاريخ اليمني القديم، وهي رموز تراثية دالة على القيادة والحكم والسياسة، والشَّاعر يوظفها هنا ليؤكد دلالة الانتماء إلى هذا البلد وهذا الشعب.

ويستخدم الرَّمز التراثي (قيس، و وضاح) في مثل قوله:

إن تاق شعبٌ للتَّحَرُّرِ صارَ في شرع الولاة دم الشعوب مباحا
بَتَرُوا شرايين الحياةِ وصوَّروا جِدَّيَّة اللعب المميت مزاحا
حتَّى قواميس المحبَّة لمْ تَعُد تروي لنا (قيسا) ولا (وضاحا)
ذَبُلَتْ رياحينُ الحياةِ وكُلُّ مَا عطرت به دنيا المحبة راحا[32]

ولعل توظيف الرمزين: (قيس)، و(وضاح اليمن)، كما يبدو هنا سطحيٌّ مباشرٌ، إذ لا يتجاوز المعنى الظاهر؛ الذي عُرِفا به هاتين الشخصيَّتين، فهما رمزان للحب الصادق العُذري المعروف في التاريخ والتراث العربي.

وقد يميل البريهي إلى استثمار أسماءٍ تاريخية وأدبية على نحو لافت، وفي معظم الأحيان تتوازى مدلولات هذه الصور مع دوالِّها الرَّمزية، وحينئذ تكون عناصر الصورة كلها الموظفة عبارة عن استعارات رامزة، ومن ذلك قوله في قصيدة: ((إلى أين يرنو الصباح؟)):

وتسمعُ فوقَ ثَرَى المُلْتَقَى أيا (سعدُ)، يا (عمرو)، يا (حارثة)
فلا تكترثْ إنْ سمعتَ النِّدَاءَ أفيقوا فقد نامت الكارِثَة
هنالكَ بعدَ الشَّتَاتِ القَديمِ تُحَدِّثُ عن نفسها الحادِثَة[33]

فـ(سعد)، و(عمرو)، و(حارثة)؛ رموز تبعث على التمويه، إذ إنَّ المتلقِّي للوهلة الأولى يُخَيَّلُ إليه أنَّها رموزٌ من التَّاريخ الإسلامي، غير أنَّ المُتَمَعِّنَ في النَّصِّ يجدُ أنَّ الشَّاعرَ يستدعِي هذهِ الأسماءَ بوصفِهَا أسماءَ شخصياتٍ في المجتمع المحلِّي اليمني، الذي يكثرُ فيه استخدام تلك الأسماء، ولعلَّ الشَّاعر يقصد هنا الاستغاثة بهؤلاء ممَّنْ رمزَ لهم بتلك الأسماء.

ومن الشخصيات التي حفل بها التراث الشعبي العربي شخصية (جحا)، وقصصه الكثيرة مع حماره، والشَّاعر يستدعي تلك الشخصية لدلالتها الإيحائية فيوظفها في مجال السُّخرية من الواقع؛ حيث يقول:

بمَ أعبِّر عن قولي وقد خرصت ... عمَّا يُراود فكري ألسن الفصحا
والانتخابات في الأبواب قائمةٌ ... فمن أصدِّقُ سمعي؟ أم حمار جحا(34)

في إشارة إلى قصة جحا مع الرجل الذي جاء يستعير منه الحمار، فقال له: الحمار غير مجود، غير أن الحمار نهق من داخل البيت فسمعه الرجل، فاستغرب وقال لجحا: ولكني أسمع الحمار في البيت، فرد عليه جحا: أتصدقني أم تصدق الحمار؟.

واذا كان توظيفُ الرَّمز الدِّينِي يُعدُّ ملمحًا من ملامح التَّجديد في القصيدة العربية الحديثة، فإنَّ الشَّاعر فيصل البريهي يستقي من ثقافته الدينية الكثير من الرموز، من ذلك على سبيل المثال توظيفه رمز (البراق) كنايةً عن السرعة وقطع المسافات:

ها أنت تستنفرُ الأطيافَ مُتَّخذًا ... من كُلِّ طَيْفٍ بُراقًا ظلَّ منطلقا
أراك تعبرُ أمواجَ الظلام إلى ... مرافئ الضوء طرْفًا يعشقُ الألقا(35)

ومثل ذلك قوله:

كم قصدنا (رضوان عَدْنٍ) فأودى كل درب بخطونا نحو (مالك)[36]

وفي السياق الرمزي إشارة إلى السير في غير الطريق.

ومن رموز العالم القديم عند الإغريق واليونان يأتي بالاسم أفلاطون وسقراط في توظيف المفردة في بناء الصورة الشِّعرية نحو قوله:

هبهم فلاسفة الخرافة إنهم قد (أفلطوا) ما (هذرموه)، و(سقرطوا)[37]

فهو يُشير إلى أفلاطون، وسقراط في إشارة إلى فلسفتهم للعلوم والنهوض بها في التاريخ اليوناني القديم، غير أن الصورة هنا تأتي عكس الظاهر إذ المراد منها هنا السخرية والتحقير من هؤلاء المتحذلقين والانتهازيين الذين يحاولون السيطرة على الوطن ونهب ثرواته.

ومن رموز الجاهلية يتَّخذُ من رمز (الصَّدَى) عند الجاهليين شخصًا يظلُّ يُردِّدُ قراءةَ أشعارِهِ، حيث يقول:

سيظلُّ يقرأها الصَّدَى والصمت من كل النواحي[38]

والصَّدى عند العرب في الجاهلية رمزٌ كانوا عندما يقتل لهم القتيل يظل الصدى يتردَّد حتى يؤخذ بثأره، ولذلك كثيرا ما ورد في أشعارهم، وقد أورد الجاحظ قول الشاعر:

تَجَشَّمْتُ من جَرَّاكِ والبُومَ والصَّدَى إنْ كنتِ أسريتِ منْ أجلِي[39]

وقد يتجاوز فيصل البريهي الاستخدام العادي لأسماء بعض الشخصيات في أحايين كثيرة، وذلك بتحميلها كثافة دلالية وقوة تعبيرية لتأكيد المعنى عن طريق استعمال أسلوب المبالغة، وتتجلى هذه المبالغة في تساؤل الشَّاعر الإنكاري مستخدما أسلوب تجاهل العارف؛ وذلك حين يكون المستفهم على علم بالإجابة، غير أَنَّهُ يتجاهلُ تلك المعرفة عن عمدٍ. أو تتجلَّى المبالغة في تشبيهه، وكأَنَّهُ هُوَ، على سبيل المبالغة وتأكيد المعنى وتقويته- **حيث يقول:**

وماذا عن أبي الطيب في بغداد؟

هل ما زال يسأل عن فتى الفتيان في حلب؟

وماذا عن أبي تمام..

هل قامت قيامته؟

وما زالت روايته مقارنةً تُحيك الفرق بين السيف والكتب؟!

وما زالت حقيقتها تسير على

رُفَاتِ الوهم "بين الصدق والكذب".

هنا لم يبق "حد السيف حدًّا"

يا أبا تمام

"بين الجد واللعب"(40).

فالشاعر يُوَظِّفُ النص التراثي ليقف متسائلا مع المتنبي وأبي تمام عن سيف الدولة في حلب، وفتح عمورية مع المعتصم فيستحضر قصيدته المشهورة:

السيف أصدقُ إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب(41)

وتوظيف التُّراثِ سواء أكان من ذات النص: (قرآن/ أدب/ شعر/.. إلخ) أم كان تُراثاً شعبياً فإنَّهُ يتمُّ من خلال خِبرةِ المبدع المكتسبة في تشكيل الصورة وطرائق إبداعها، **كقوله:**

يا منهلاً عذباً مواردهُ كم عَبَّ منها القلبُ وانتهلا
ناشدتك السُّقيا على ظمأٍ مُضنٍ وورد الحب قد ذبُلا(42)

وفي البيتين إشارة إلى بيت الشِّعر العربي:

ما الماء من طلبي ولكن ربما مدت به فتنال من يدها يدي

وقد كانت عادة الشِّعراء والمحبين أن يقتنصوا الفرص ويلاقوا محبوباتهم عند موارد الماء، وذلك لخلو الرقيب وعيون الأقارب والأهل.

وقد يتناص مع التُّرَاثِ الشِّعري في صورةٍ رمزية موحية، ومن ذلك قوله:

لا يحملُ الحُبَّ إلا كُلُّ ذِي شَرَفٍ يعدو إلى شُرُفَاتِ الطُّهر سبَّاقا(43)

فهو يذكرنا بالبيت المشهور لعنترة العبسي، الذي يقول فيه:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب(44)

ومع أنَّ الشَّاعر البريهي يحاول أن يُثري شعره بكثيرٍ من الرُّموز؛ التي يُحوِّرُ بعض ملامحها ويُبَدِّلُ أدوارها غير أنَّهُ لا يجنحُ إلى الغموض العسير على المتلقِّي، بل يعمد إلى كشف الرَّمزِ بشكل مباشر داخل القصيدة/ البيت مع إبقائه على طلاء رمزي بسيط، إذ أنَّ شعره يتميَّزُ

بشكلٍ عام بالبساطة في الفكرةِ ووضوحِ العبارة ورُبَّمَا الشفافية في الرَّمز، فهو لا يُلزم نفسه بمنهجية صارمة في الغموض.. بل يتعامل مع رموزه بما يتلاءم مع نفسيته الشفافة المستريحة إلى واقعها الوجداني.

ولعلَّ ميزته هي وضوح شعره الرَّمزي – إذا صحت نسبة الوضوح إلى الأدب الرَّمزي– فتراه يكشف للقارئ كل مرموزاته ويحول دون المعاناة الخيالية المفترضة، وهذا لا يُقَلِّلُ من شأنه في هذا المجال ولا ينفي تأثره بهذه التقنية، ولا ينتقص من صُوَرِهِ أو يغمطها حقَّها في الإبداع والتأثير بوصفها رسماً قوامه الكلمات المكتنزة بالإحساس والمفعمة بالعاطفة الإنسانية.

ثانيا: الرَّمز اللغوي:

يقول عز الدين إسماعيل: ((إن كلمات مثل: الحزن، الصمت، البحر، الليل، القمر، النجم، ..الخ، عادةً تُستخدم بوصفها كلماتٍ ذات دلالة رمزية، وربما كانت بعض هذه الدلالات مشتركة بين معظم الناس، ولكن استخدام الشاعر لها لن يكون له قوة التأثير الشعري ما لم يُحسِن استغلال العلاقات والأبعاد لهذه الرموز، وما لم يُضفْ إلى ذلك أبعادًا جديدة هي من كشفه الخاص))[45].

والظاهر أنَّ الرمز اللغوي قد استهوى معظم الشعراء، ولعلَّ مردُّ ذلك أنَّهُ من أبسط الأنماط وأقلِّهَا إيغالًا في الرمز، وبساطة هذا النمط تظهر في اعتماد الشاعر على أنه يستثمر المفردة اللغوية، ويستخدمها استخداما رمزيا لتدل على معنًى أبعد من دلالتها الظاهرية عن طريق التَّشابه بين الدلالتين، وهذا النوع من الرموز لا يختلف كثيرًا عن استخدام الشُّعراء القدامى المجاز اللغوي، لولا ما تحمله هذه الرُّموز من جِدَّة دلالية؛ لأنَّها تكون عادةً تعبيرًا عن واقعٍ يعيشه[46].

ولعلَّ التتبع والتقصي في دواوين الشاعر البريهي يمنحنا بعض الدَّوال اللغوية التي حاول الشاعر البريهي توظيفها توظيفا رمزيًا لدلالتها الإيحائية، فمن تلك المفردات: الحزن، بوصفه ظاهرة إنسانية تظهر مع الإنسان لأسباب كثيرة، من ذلك قول الشاعر:

تتناسـلُ الأحـزانُ حيـث أتـوا فكـم ... في إثْـرِهِمْ يلـدُ العـذابَ عـذابُ
كـم مـن دمـوعٍ بالـدِّمَاء تمازجَـتْ ... حتَّـى تعـانَقَ في الثَّـرَى الأحبـابُ(47)

أو مثل قوله:

مـن أيِّ أبـوابِ حُـزنِي قـد أطـلَّ عـلَى ... وجهِـي الـذي عنـهُ مـاءُ الوجـهِ وارانِي؟(48)

فحين تنزع الصورة الشِّعرية نحو التجديد فإنَّ الشاعر يُحاوِل إضفاء نوعٍ من الرَّمزية عليها، فيتخذ من بعض الدوال اللغوية رموزا لاسيما تلك المفردات التي تحمل قدرا من الإيحاء الرمزي، ولنقرأ قوله:

مـن كُـلِّ أدغَـالِ عُمـري جئتُ محتضـنًا ... قلبًـا تمـاهى لُجَاجًـا في الحشَـا ورَغَـى
مُسـتقرئًا مـا أقَـرَّ الحُـزنُ مِـنْ لُغـةٍ ... في دفتيـه.. ومـا منهـا الزمـانُ لغَـى(49)

فهو يستخدم الرَّمز اللغوي (الحزن) في صورة تجسيدية تخيلية تضفي على الصورة نوعا من الجدة والإدهاش؛ فيشعر معها المتلقي بالتفاعل والإثارة. وهو مقصود الشَّاعر الذي يبحث عنه في مَظَانِّ الصُّورِ التي يُبدِعُهَا. فلا مكان في القاموس الشِّعري لصورةٍ باهتة لا تُؤدِّي مفعولها من الشعور النفسي أو الحسي الذي يظهر عند المتلقي، أو القارئ.

ولأنَّ الصَّمْتَ من الدَّوَال التي يكثرُ ورودها في شعر فيصل البريهي بصورة لافتة وتتعدد مدلولاته بين الرمز والكناية حتى غدا أحد رموزه اللغوية التي يهندس إيقاعها في تخليق صورته الشعرية، فنراه يقول:

يا لهفةَ البوح كفُّ الصمت غائصةٌ في النفس تبتزُّ ياقوتي ومرجاني(50)

فالصمت يغدو في صورة تجسيدية، لهُ كفٌّ تغوصُ وتتحرَّك، لكن هذا الصمت المُجَسَّدِ غائصٌ في النفس يأخذُ منها كُلَّ جميل.

ولئن كان الليل قد ارتبط بمدلولات رمزية كثيرة في الثقافة العربية فإنه عند الشاعر فيصل البريهي قد ارتبط بكثير من التساؤلات التائهة، الحائرة التي أعيت الشَّاعر عن فهمها؛ حيث يقول:

ماذا..؟ وتمتدُّ خلفَ التِّيهِ أسئلةٌ عمياء فيها لسانُ الليلِ قد بَصَقَا
حالُ التَّساؤُلِ يبدو حَالَ منكفئٍ في شاهقٍ كُلَّمَا مَدَّ الخُطَى انزلقا(51)

ومن ذلك أيضا قوله:

يبعثُ الليلَ في رؤى الفجر كي لا تستفزَّ الكهوف رؤيا القلاع(52)

وفي صورة تالية يبدو توظيف الليل مرتبطا بالمدلول الثوري (الصبح)؛ إذ يقول:

يا آخر الليل قل للصبح إنَّ فمي منذ افترقنا بغير الضوء ما نطقا(53)

فالليل والصبح/ الفجر، رمزان مرتبطان بالمدلول الزَّمني الذي عاشه الشعب في فترة ما قبل الثورة، فقد كان الشعب في انتظار الصباح الذي تبزغُ فيه شمسُ الثورة فتزيح عن كاهله كُلَّ آلام الجراح؛ التي خلفَّها النِّظام الملكي.

ولأنَّ الليل يكثر وروده في الشِّعر اليمني المعاصر بوصفه رمزًا لعهد ما قبل الثورة، فقد حمل هذا الرَّمز هذا المدلول عند الشَّاعر فيصل البريهي، من ذلك ما نجده في مثل قوله:

والليـــل يُمطِرُنَـــا شـــوقًا ويَزْرَعُنَـــا شـــوكًا.. يخنجـــر في أحشـــائنا الغســـقا(54)

إنَّ رمز الليل هنا رمزٌ سلبي غير مؤنسٍ، فهو سوداوي موحش، فقد رأى فيه الشاعرُ كائنًا موحشا يعيث في دماء العروبة وينهش فيها صاخبًا مجتاحًا لآمالها وطموحها، وهذا يدلُّ على نفسيَّةٍ غير مرتاحةٍ يعيشها الشاعر ويُعاني فيها حتَّى أنَّهُ لم يَعُدْ يستطيبُ الليل الطبيعي لما يبعثه من أحزان، وهذا الجانب الرمزي لليل كثير في نصوصه مقارنة بالليل الذي يبعث الفرح والسرور والحلم.

ومنه أيضا قوله:

والليـــلُ يلهـــثُ في دمـــاءِ عُروبَتِـــي ويعيـــثُ فيهَـــا صـــاخبًا مُجتَاحَـــا(55)

ولأنَّ الفجر مرتبطٌ بالليل في مُعظم الصور الشِّعرية عند الشَّاعر فيصل البريهي، فإنَّهُ يبسطُ كَفَّهُ ويمدُّها في أَلَقٍ ليستقبلَ ضوءَ الشَّمس لتتكحَّلَ بهِ العيون:

والفجـــر يبســـط كفـــهُ فيزيـــدهُ ألقًـــا بـــه تتكحَّـــل الأعيـــانُ(56)

فالفجر يتشخَّصُ في صورةٍ آدمية ويبسطُ كفَّه؛ وهو ما يمنحه الألق فيغدو شيئًا جميلاً تتكحل بجماله العيون؛ فالرَّمز يُحقِّقُ المتعة الفنية التي تهدف إلى خلق الوعي من خلال الأداء الجمالي المتميز، والإيحاء المنبعث، ولذلك فإنه حين بزغ هذا الفجر/ الصباح خاض الثوار ومن ورائهم الشعب معارك ضارية ضدَّ هذا الظلم والطغيان، ولعلَّ الصورة التالية تمنح المتلقي هذا التأويل، حيث يقول الشَّاعر البريهي:

وهـــا أنـــا في خِضَـــمِّ الليـــلِ مُقـــتحمٌ أعتـــى الأعاصـــير للأخطـــار مخترقـــا

حتى اغتصبتُ النُّجومَ البِكْرَ مُسْتَلِبًا أضـواءَهَا.. ثُـمَّ شـكَّلتُ المُنَـى فِرَقَـا[57]

ويقترن توظيف رمز الفجر مع اللون الأسود في صورة متناقضة تتولد منها صورة أخرى مشرقة؛ حيث يقول:

فالفجر من رحم العشايا السود

يُولد ضاحكًا

لكنه يسعى إلى فمها

طعاما صائغا[58].

وفي المقطع إشارة إلى المقولة السياسية: الثورة يخطط لها العباقرة ويقوم بها الأبطال، ويستغلها الانتهازيون. فالصورة ترمز لفجر الثورة حينما تبزغ من بين احتلاك الظلام غير أنَّ الانتهازيين يستغلونها ويستولون عليها.

وفي صورة أخرى مغايرة تعكس نفسية الشاعر المشرئبة إلى النور والضياء والحياة الحالمة، يقول:

في خاطري عالمٌ من ضياء

وكونٌ من الفلِّ والياسمين

وشمس مراهقةٌ

وسحابٌ ملبَّدةٌ

بالمطر.. [59].

فالمقطع مزدحمٌ بالصور الرَّمزية التي تتمثل في هذا الكم من الرموز: (عالمٌ من ضياء..، كونٌ من الفل والياسمين..، وشمسٌ مراهقةٌ..، وسحابٌ ملبَّدةٌ بالمطر..)، وهذه الصور كما تظهر تعتمد في إدراكها على البصر لاسيما الصورة التي يعتمد أحد طرفيها على الضوء؛ في قوله: (عالم من ضياء..)؛ فالضياءُ من الخواص التي تُلازم حاسَّة البصر..، غير أنَّ الشَّاعر لا يتوجَّهُ إلى المتلقِّي بالمدلول القريب أو السطحي، إذ إنَّ الصُّورة (عالمٌ من ضِياء) تحملُ في طيَّاتها مدلولاتٍ مختلفة؛ فهذا العالم المُضيء الذي يُشير إليه الشَّاعر هو عالمٌ خيالي يتمنَّاهُ ويرغبُ في أنْ يَعيشَهُ، ولعلَّ الصورة كناية عن الوعي والنقاء.

غير أن صورة (شمس مراهقة..) تبدو أكثر رمزية وأكثر إيغالا في الغموض.. فيا ترى من تكون تلك الشمس، إن لم تكن رمزا للثورة؟!.

وإذا كان الضوء يغدو أحد المدلولات الرَّمزية عند الشَّاعر البريهي في تكوين صورته الشِّعرية؛ لذلك نجده يُضِيْفُهُ إلى تركيبِ أحدِ عناوينِ مجموعاتهِ الشِّعرية ((العبور إلى مرافئ الضوء))[60]؛ ولعلَّ مدلول العبور معروف، كما أنَّ المرافئ أيضا معروفة، لكنْ أنْ يُضيفَ إلى هذا التركيب لفظة (الضوء) بحيث يغدو التركيب مُكَوَّنًا من مضافٍ ومضاف إليه: (مرافئُ الضوء)، فما هي يا تُرى تلك المرافئ التي وُصِفَت بالضوء؟، وما المدلول الذي يُمكن أنْ توحي به؟ لعلَّ الشَّاعر يريد أنْ يوحي من خلال ذلك إلى الأمل في المستقبل الذي يرنو نحوه ويتمنَّى الوصول إليه.

ثالثا: الرَّمز اللوني:

لما كانت العلاقة بين اللغة أو الصورة الشِّعرية واللون في القصيدة العربية منذ العصر الجاهلي إلى الحاضر تنطلق من علاقة الشَّاعر المتوترة بالطبيعة والإنسان، فإنَّنا لو قاربنا اللون

ودلالاته في الشِّعر الجاهلي إلى الوقت الحاضر وهذا ما قامت به كثيرٌ من الدراسات فإنَّها لا تتجاوز استعمال الألوان عند الإنسان في وصف وجوه عديدة تمثَّلت في المرأة والوجه واليدين والملبس والأخلاق والمدح والذمِّ، وفي الطبيعة بين الخوف والوحشة والسعادة والطهارة والنقاء... الخ (61).

وفي ضوء الدراسات والمقاربات الكثيرة التي قاربت دلالات اللون في الشِّعر القديم والحديث فإن الشَّاعر فيصل البريهي اتخذ من الألوان رموزا أضفى عليها نوعا من الدلالة أو التعبير لاسيما تلك الألوان التي تحمل شحنةً تعبيرية أو دلالة رمزية.

فالشَّاعر البريهي مولعٌ بتوظيف مُعظم الألوان لاسيما الألوان الرَّمزية التي كثيرا ما يوظفها الشِّعراء للإيحاء بمدلولاتها في نصوصهم؛ من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، توظيفه للون الأحمر في مثل قوله:

يحمـرُّ في مُلتقـاهُ وجـهُ كـلِّ ضُـحىً في إثـر كـل اقـترانٍ مطلقـا شـفقا(62)

فإذا كان أميرُ الشِّعراء أحمد شوقي استخدم اللون الأحمر رمزًا للدلالة على القوَّة والعُنف، لمواجهة المحتلِّ الأجنبي، في مثل قوله:

وللحريـة الحمـراء بـاب بكـل يـدٍ مـضرجةٍ يـدق(63)

فإن الشَّاعر فيصل البريهي - كما يبدو – يستخدم اللون الأحمر للدَّلالة على الصِّراع والعُنف وتقلبات الحال.

ومن توظيفه اللون الأخضر، قوله:

غادرت كل الحكايا الخضر في لغةٍ كانت تفردس أطيافي وألواني(64)

ومن شعر التفعيلة قوله:

فعش في نبضها..

روحًا..

وراودْ في حشاها..

الأمنيات الخضر.. (65).

واللون الأخضر –هنا– دلالة أو رمز يوحي بالنماء ورغد العيش، فضلا عن الأمنيات التي تتحقَّقُ، أو يصل إلى تحقيقها.

وعناية الشَّاعر باللون الأخضر كما تبدو نابعةٌ أو مرتبطةٌ بالطبيعة اليمنية لاسيما ما يمكن أن يعكسه هذا اللون من شعور بالارتياح واتساع في الأفق، وجمال للمكان.

ويوظف اللون الأبيض في صورة تخيلية مجرَّدة، حيث يتقابل فيها اللون الأبيض للأماني مع الليل بِدُجَاهُ المُدلهِمِّ في كلِّ عينٍ، فيقول:

آنستُهُ والأماني البيض نائمةٌ والليل في كل عينٍ .. موقظًا فلقا(66)

واللون الأبيض هنا رمزٌ للفرح والسعادة، في حين كانَ الليلُ بظلامه يغشى غيره.

ومن توظيفاته للون الأبيض في دلالةٍ رمزية، قوله:

هل أرفع الراية البيضاء؟ لستُ أنا أدري بمن فسد منهم ومن صلحا(67)

والراية البيضاء مصطلحٌ للدَّلالة على الاستسلام وقُبول الهزيمة في العرف القبلي اليمني في بعض المناطق(68)، والشَّاعر يستعيره هنا بالدلالة نفسها، إذ لم يُحاول أن يجعل منها مصطلحًا مغايرًا أو يُوظِّفها توظيفًا أعمق، إنَّما جاء التوظيف سطحيًا مباشرا.

ومن توظيفه للون الأسود، قوله:

سود الدياجير في عين المدى ربضتْ دهرا .. فكم كفَّفَتْ ضوءا وكم حجبت
ظلت مع الوهم في أدجى غياهبه تزدادُ غيًّا على غيٍّ وما حسبتْ(69)

فاقتران السَّواد بالدَّياجِير كنايةٌ أو رمزٌ عن شدَّةِ الظلام الذي بلغ مداه، وفي هذا إشارة إلى تلك الأنظمة الفاسدة التي تعيش مع الوهم فتزدادُ غيًّا وفسادًا.

رابعا: اليومي والمحلي:

ولمَّا كان الشَّاعر فيصل البريهي يستقي صورته من منابع الحياة اليومية ولغتها كثيرا، فالشَّاعر ابن بيئته، يتأثَّرُ بها وتُؤثِّر فيه، لذا فإنه قد يلجأ إلى استخدام تلك اللغة اليومية المتداولة رموزًا للدَّلالة على ما تُوحي به، فمن ذلك قوله:

مثل السياسة كم أغرتْ موائدها من أنفسٍ.. وتلظَّتْ مهجةً شبقا
كم لَذَّةٍ تحتويها المغريات وكم من ظامئٍ تاهَ في أفيائها وشقى
كم لحظةٍ من سنين العمر باسمةٍ ألفيتُ أفراحَ عمري بعدها مِزَقا(70)

وقد يلجأ إلى استخدام المفردة العامية التي يستقيها من الحديث اليومي ويتخذ منها رمزا؛ لإكمال الصورة الهزلية للواقع الذي يعيشه، فيقول:

هل أغرقوا البحر الذي غرقت به أحلامهم من دون أن يتورَّطوا[71]

فالفعل (يتورَّطوا) المستخدم بكثرة في حديث الناس اليومي؛ والذي يحمل مدلولات كثيرة في تعاملات الناس وأحاديثهم في اليمن يضطرُّ الشَّاعر إلى استخدامه أولا من أجل الوظيفة الصوتية المستقرَّة في القافية والوزن في القصيدة، ثم لأجل مغزاه ودلالته الإيحائية التي يكتمل بها المعنى.

ومن اللهجة المحلية يستعير لفظة (شدح) التي تقال لتوجيه الحمير ذات اليمين وذات الشمال، فيقول:

قل للذين أنا منهم وشاعرهم لا أزدري منمنما فيهم ولا (شدحا)
كنت وكانوا معي والزيف يجمعنا منذ اتخذنا الهوى رمزا ومصطلحا[72]

و(شَدَحْ) مصطلح شعبيٌّ مستخدمٌ من اللهجة العاميَّة يُقالُ عند توجيه الحمير للسير ذات اليمين أو ذات الشمال[73].

ومن اللغة المحكية اليومية يستعير قولهم: (ليُّ الذراع)، حيث يقول:

لو فتَلْتُمْ أحلامكم ما لَوَتكم أذرعٌ لوَّحتْ بـ(ليِّ الذراعِ)[74]

و(ليَّ الذِّراع)؛ كنايةٌ اجتماعية، تدور على ألسنة المجتمع كثيرًا، وهو ليس على حقيقته، وإنَّما فيه إشارة ورمز عن القهر مع التحدِّي والتَّمَكُّن، أو الانتهازية، والعجز عن المواجهة أو الردِّ من قبل ملويَّ الذراع.

ومن ذلك أيضا كنايته عن صفة (الحياء) بـ(ماء الوجه)، في قوله:

مـن أي أبـواب حـزني قـد أطـلُّ عـلى وجهـي الـذي عنـه مـاء الوجـه وارني؟![75]

والصورة الكنائية المقصودة هنا: (ماء الوجه)؛ وهذا القول تستخدمه العرب كناية عن صفة الحياء أو الشعور بالخجل والاستحياء.

ومن المصطلحات التي يتداولها العامة ويرمزون بها لمعانٍ أخرى، قوله:

للبشـــاعات خلفهـــا أوجـــهٌ لم يقـضِ عنهـا الضـحى بكشـف القنـاع
ربَّـــما لم يشـــأ لهـــا الـــدهر إلا أنْ يُعَـــرَّى عنهـــا الجهـــاز المنـــاعي[76]

والصورة المقصودة هنا: (الجهاز المناعي)؛ إذ إنَّ فيه إشارة عن الشخصيات الكبيرة أو الوساطات أو ما نُسميه بمصطلحنا المحلي (الظهر) الذي يحمي مثل أولئك المندسِّين والعُملاء، الذين يقفون سدًّا منيعا أمام من يتعرَّضُ لهم أو من يحاول مسائلهم على أفعالهم.

وقد تأتي مثل هذه الكناية على سبيل التعريض؛ **الذي** هو ((إطلاق الكلام للإشارة إلى معنى آخر يفهم من سياق النص أو من ظروف الكلام))[77]، فهو نوع من التصدير يدخل في باب الكناية، لأن العلاقة فيه تنبني على الحقيقة[78]، غير أنه يتميز بالاستغناء عن المعنى الأصلي المراد ليعبر عنه بمعنى آخر، ولذلك فعنصر المفاجأة والتضليل يُؤدِّيان دوراً مهماً فيه[79]. ومن هذه التعريضات نشير إلى قوله:

ســـوف تبتـــزُّه جـــراحُ المـــدى في لحظـــةِ الحســـم قبـــل يـــوم الـــوداع
حيـــث لم يبـــق منـــه غـــير رمـــادٍ يتلاشـــى فيـــه الـــولاء الصـــناعي
حينهـــا تبصـــق الفضـــاءات قيحًـــا مـــن صـــداه في كـــل بـــثٍّ إذاعـــي[80]

فالصورة الكنائية في البيت/ الأبيات تساهم في توسيع دائرة الرؤيا حين تغدو الكنايات الرامزة متعددة، من مثل: تبتزه جراح المدى، لحظة الحسم، يوم الوداع، يتلاشى الولاء الصناعي، تبصق الفضاءات قيحا من صداه، والصورة - كما تبدو- مستوحاةٌ من مفارقات الواقع، والشَّاعر يُعرِّضُ من خلال المفارقة بالحالة الاجتماعية، والسياسية، والثقافة الإعلامية الضَّحلة التي تعاني منها البلاد وانعكاس ذلك على كل مظاهر الحياة.

وقد يصوغ من الاسم الجامد غير المشتق فعلا على غرار اللهجة المحلية في اشتقاقها للأفعال من أسماء محلية، ومن هذا القبيل قوله:

يا طفلةً مكيَجَتْ وجْهَ البَرَاءَةِ فِي وكرٍ دعاها إليهِ الشوق وافترسا(81)

حيث اشتقَّ من الاسم (مكياج) الفعل مكيجت. وفعل المكياج رمز للغش والخداع من خلال إخفاء الصورة الحقيقية وإظهار الصورة الجميلة المخادعة.

ومثل هذا أيضا توظيفه الفعل (تأكسد) في قوله:

تأكسدت في رئات الشِّعر أوردتي لمَّا تنَفَّسَ منها الشِّعر وانتشقا
ظلَّتْ تُبادله الأنفاس إن شهقت يَزْفَرُّ.. وإنْ زَفَرَتْ في صدره شهقا(82)

فالفعل (تأكسدت) مأخوذ من اللغة العلمية (أوكسيد) وهو من المصطلحات الكيميائية، والشَّاعر يشتق منه الفعل تأكسد، ليرمز به إلى التفاعل وتغير الحال.

ومثل هذا أيضا قوله:

كانتْ تُبَخِّرُ أنفَاسِي وتنشُرُهَا غيمًا يُرَيْحِنُ آكامي ووديَاني(83)

فهو يوظف الفعل (تُبَخِّرُ) المشتق من البخور، والبخور من العادات اليمنية التي اشتهرت بها بلاد اليمن، بل إن اليمن كان يطلق عليها بلاد البخور. أما الفعل: (يُرَيْحِنُ) فهو مشتقٌّ من الرَّيحان؛ وهو نوعٌ من الأشجار العطرية المعروفة، وقد صاغَ منه الشَّاعر الصورة الشمية التي تُعطِّرُ الآكام والوديان. كما أنَّه استعار لفظ تنثُرها للأنفاس على سبيل الاستعارة المكنية، فشكَّلت الاستعارة صورة شمِّيةً واسعة تفوحُ بالبخور والرَّياحين.

ومن ذلك أيضا قوله:

أنهكـــتُ في جـــدرانها وصـــخورها زبـــر الحديـــد وأفـــؤسي ومعـــاولي
وأنـــا المحـــاصر خلـــف قضـــباني وفي قيـــدي وأغـــلالي أجـــرُّ سلاســـلي
أحيـــا أســـيرا للقصـــيدة وهـــي في قلبـــي وروحـــي تســـتثير تفـــاعلي(84)

فالشَّاعر وهو في لحظة مناجاة القصيدة ومعاناته منها يستدعي رموز البيئة المحلية اليمنية المستخدمة في الحقول مع الفلاحين: الفؤوس، والمعاول، والصخور. فضلا عن الجدران والقيود والأغلال والسلاسل التي هي رموز من رموز الذل والمعانة والاعتقال التي عانى منها الشعب اليمني في فترة من الفترات.

ومن الأشياء المستخدمة في الريف اليمني وما زالت (الفانوس) حيث يستعيره الشَّاعر بوصفه رمزا تراثيا كان وما يزال وسيلة للضوء في كثير من مناطق اليمن:

مـا زلـتُ أرقـص دهـرا في الظـلام عـلى (فانوسُ جَدِّي) الذي بالقاز قد قدحا(85)

ودلالة الرَّمز هنا أن البلاد ما زالت تعيش عصر ما قبل الكهرباء، وهي صورة ساخرة توحي بالوضع المتردي الذي ما زالت تعيشه معظم مناطق اليمن رغم مرور خمسين عاما على زوال الحكم الملكي الذي جعل اليمن تعيش في عزلة تامة عن العالم.

ويستعير من الطبيعة (الأعاصير) بوصفها رمزًا للقوة والتدمير، فيقول:

وهـا أنـا في خضـمِّ الليـل مقـتحمٌ أعتـى الأعاصـير للأخطـار مخترقـا(86)

فضلا عن أنه يستعير (النجوم) بوصفها رمزا للتماهي والبُعد:

حتى اغتصبتُ النجومَ البكر مستلباً أضـواءها ثـم شـكَّلتُ المنـى فرقـا(87)

ويبدو أن الصورة – هنا- تُحَاولُ أنْ تُوحي بمدلول جرأة الشَّاعر وقُدرته على الوصول إلى ما يُريد لأجل إرضاءِ محبوبته/ معشوقته اليمن.

ومن الشِّعر الحر أو التفعيلي قوله:

لا الشمس تغزل للضحى

قلبا خرافيا

ولا ليل الأسَى

من فوق وجهِ الأرض

تكسوه الشموع(88).

ولعلَّنَا نلمسُ التَّدخُّلَ الذِّهني والشُّعوري في رسم نقطة الالتقاء بين طرفي الصورة، لكن هذا التدخل لا يسلمنا إلى الصورة؛ لأن الصورة تحمل في طياتها روح المغامرة اللغوية والرئيوية معاً(89)، إذ الصورة تتسم بالمفارقة التي يبدو فيها الشَّاعر وهو يغازل لغته فيحيل العنصر الطبيعي إلى رمز يشع إيحاء ودلالة.

رابعا: الرَّمز الشَّعبي:

أقبل الشُّعراء على هذا اللون التُّراثي، لإدراكهم ((بأنَّ الاتِّكاء على هذا التراث، لا يكفل التجاوب الأوسع مع ذلك الشِّعر وحسب، بل يقدِّم أيضاً شهادةً على الاعتزاز بالموروث المشترك، ويكشفُ عن خوفٍ دخيل من ضياعِ رابطةٍ تُعدُّ مُقدَّسةً حين تتعرَّضُ أقلِّيَّةٌ ما للانصهارِ في تيارٍ كبير))[90].

ولعل توظيفُ التراث الشعبي في الشِّعر يصبغه ((بلون محليٍّ إقليميٍّ خالصٍ يَصعبُ أنْ يتخطَّى حُدود الإقليم الواحد، وهو يرسمُ بذلك مستوىً آخر – أعمق دلالة على الإقليمية – من الطابع الإقليمي العفوي الذي يُمَيِّزُ الشِّعر اليمني عن الشِّعر المصري عن العراقي عن اللبناني عن التونسي... إلخ، وهذا الطابع يكاد أن يكون أمراً لا مفرَّ منه))[91].

ولعلنا حين ننظر في شعر الشَّاعر فيصل البريهي نستطيع أن نميِّز يمنية هذا الشَّاعر ويمنية شعرِهِ من صُورِهِ التي يرسُمُها عن الطبيعة المحلية، ورموزِهِ التي يستقيها من التراث اليمني، والعربي بكل أشكاله وصوره الجامدة والمتحركة، القديمة والحديثة.

فمن الأساطير التي حفلت بها الحكايات الشعبية في اليمن أنَّ دم القتيل لا يتجلط ولا تتشرَّبه الأرض، وقد استعار الشَّاعر هذه الأسطورة الشعبية ووظفها في قوله:

ذَبَـحَ الضُّـحَى في عُقْـرِ دارِكَ شاخصًـا ودمُ الضُّـحَى المَسـفُوكِ لا يَـتَجَلَّطُ[92]

فالبيت يُوحي إلى الأسطورة في التُّراث اليمني التي مفادها: أنَّ دم القتيل لا يتجلَّط ولا تتشرَّبُهُ الأرض، حيث يظلُ لأيام في مكانه[93].

وقد يعتمد على الرَّمز الأسطوري من خلال التعبير المباشر للتعبير عن تجربة معاصرة كقوله:

أقتات من جنتي تاريخ مملكةٍ أحيت سدودي بها أمجاد فئراني
عصرنت تاريخها في كل منحدر قحطا.. كما عاش فيها كل قحطاني(94)

فهو يُشير إلى أسطورة الفأر والسَّدِّ؛ في تهكم وسخرية، وهي أسطورة يمنية قديمة، مفادها أن الفأرة كانت سببا في تهدم سد مأرب عند وقوع السيل العرم، وفي الكلام إشارة ساخرة لما يدور في الواقع السياسي اليمني من سياسة بلهاء أدَّت بالبلد إلى هذا الوضع السيء الذي تعيشه الآن.

وإذا كان المقصود بالرَّمز الأسطوري استدعاء أسماء وثنية أو فلكلورية لترمز إلى أشخاص في الواقع، أو إلى صفات تبدو في شخص أو أكثر في واقع الشَّاعر فقد ظهرت في شعره أسماء أسطورية وتاريخية مستمدة من التاريخ والأساطير القديمة، فمن ذلك قوله:

وظللت أفترس الحنان كأنني في معقلي غول من الغيلان(95)

والغول، حيوان أسطوري لا وجود له في الواقع، والشَّاعر يرمز به إلى الشدة والعنف.

ويقول الشَّاعر:

يا وردة نفحت روائحها شذىً يُذكِي بطيبِ أريجِهِ استنشاقِي
لا تضرمي نارَ الصُّدودِ وتُسرِفِي بالشُّوقِ في كَيِّي وفي إحرَاقِي(96)

والكي عادة شعبية تستخدمها العامة في الطب الشعبي، وفي المثل: آخر الدواء الكي، والشَّاعر يستخدم رمز الكي ليشير لتلك العادة المتعارف عليها في الأوساط الشعبية حينما يعجز الطبُّ عن شيء فيعمدون للكي وسيلة أخيرة في التطبيب والاستشفاء.

ومثل ذلك توظيف أسطورة دهان القطران في قوله:

وتبيت فيك ثعالب محشوَّةُ الـ ـجوفين من غدر ومن قطران(97)

وتفيد الأسطورة الشعبية أن من لم يدهن أنفه من القطران فسوف يصاب بالمس من شيخ الجان. والقطران؛ دهانٌ خشبي يطبخ من أعواد معروفة ويستخدم دهانا للجرب ولقروح جلود الإبل، وعندما تروج الإشاعات بانتشار العفاريت وظهورها كان الناس يلجؤون إلى هذا السائل لدهن الأبواب وأظلاف المواشي، وأكثر ما يحدث هذا في سنوات القحط، ولعل هذه عادة يمنية. والأبيات توحي بمدلول الخرافة الشعبية القائلة: إنَّ الذي يصفرُّ في القفر أو تحت الظلام فإنَّما يجلب عليه العفاريت.

ومن المدلولات التي يستقيها من الأقوال الشعبية ما نجده في قوله:

والنفس إنْ مدَّ الهوى يده لهَا في ما يُثير جموحها وهلوعها
خفضت جناح وئامها طوعا وما لسواه أبدت في الحياة خضوعها(98)

في إشارة إلى المثل الذي يدور في أوساط الشعب: (إذا امتلأ الفم رقَّ الوجه).

وقد يستخدم اسم المكان رمزا، للدلالة على المحلية، كما في قوله:

يصوغ في (جبل الشرق) الندى قبلا عطرية تتندى كلما رشحا(99)

وجبل الشرق اسم مكان في اليمن وبالتحديد في محافظة ذمار، يقع على مقربة من سهل تهامة، وفي هذا معادل رمزي لعالم الانتماء، ومثله قوله:

سل الجموع التي في (الجمعة) احتشدت كم صاغها القلم الأفاك مقترحا(100)

ويبدو أن الشَّاعر يريد أن يُمَوِّهَ القارئ حيث يستخدم اسم (الجمعة) الدَّال على أحد أيام الأسبوع للتمويه لاسيما وأنَّ الناس تحتشد في هذا اليوم للصلاة، غير أنَّ الجمعة المقصودة هنا هي اسم مكان، وهو مركز مديرية الشرق في محافظة ذمار، وقد يكون هذا من باب التورية وهو أن يذكر شيئا ويريد غيره. وفي هذا معادل موضوعي للمكان.

كما يُوَظِّفُ المعادل الموضوعي (البلبل)، للتعبير عمَّا في نفسه، فيقول:

يـا بلـبلا في سـواد الليـل قـد صـدحا يسـتولد الفجـر مـن بطـن الظـلام ضـحى
مُـــرَدِّدًا آيـــة التَّرجيـــع أُغنيـــةً ممقوتـــةً تستضـــيف الحـــزن والفرحـــا
مـا آيـةُ الصُّـبح إنْ خـاطَ الزَّمَـانُ لهَـا ثـوب الكسـوف فغطـى وجههـا ومحـا[101]

وهو يذكرنا هنا بقصيدة الشَّاعر العربي اللبناني (الأخطل الصغير) بشارة الخوري، التي أشهرتها الفنانة فيروز:

يبكـي ويضـحك لا حزنـا ولا فرحـا كعاشـقٍ خـط سـطرا في الهـوى ومحـا[102]

ولعل الشاعر محمد محمود الزبيري كان أسبق منه في توظيف البلبل معادلا موضوعيا عن الغربة، حين قال:

بعثـــت الصـــبابة يـــا بلبـــل كأنـــــــك خالقهـــــــا الأول
غنـــاؤك يمـــلأ مجـــرى دمـــي ويفعـــل بالقلـــب مـــا يفعـــل[103]

لقد اكتسب التراث الشعبي ميزة مهمة؛ "لأنه تراث حيّ، وحين يلجأ إليه الشَّاعر لا يحس أنه مثقل بما في الماضي الطويل من خلافات ومشكلات ... وتكمن الجاذبية في التراث الشعبي في أن يمثل جسراً ممتداً بين الشَّاعر والناس من حوله"[104].

ولعلَّ النماذج التي وردت في هذا المبحث كافية للتدليل على ذلك؛ لأننا لو تتبعنا كل النماذج من قصائد ومقطوعات قيلت في هذا المنحى سنجد الكثير، ولا يسع المقام لذكرها كلها، لذلك اكتفينا بما ذكر في إشارة إلى وجود هذا الاتجاه.

الخاتمة والنتائج:

شعر البريهي كما كشف البحث – الحالي – نموذجٌ من تلك الحالات؛ التي ضخّت حياةً جديدة في المشهد الشِّعري اليمني المعاصر، فقد انسجمت لغةُ الشَّاعر ومُعجمه مع المجتمع، وتميزت بالوضوح والبساطة، فاقتربت من روح العصر. وروح اللغة اليومية والمحلية، غير أنه قام بدور في تحديث قوامها، ووظائفها التعبيرية بما ينسجم مع رسالته التي يلتزم بها ويقدمها إلى أبناء أمته.

– كما كشف البحث أنَّ رموز البريهي في أغلبها معجمية أو تراثية، لا تتعدَّى التوظيف الجزئي إلا نادراً.

– إنَّ البريهي استطاع أن يوظف الرَّمز الشعبي في شعره، ليحقق بذلك خصوصيته المحلية اليمنية، وذلك بحكم عمق ثقافته الشعبية ومزاجه الباحث عن دقائق تفاصيل الحياة.

– إنَّ البريهي لجأ إلى توظيف رموز تاريخية كثيرة وعديدة تعود إلى التاريخ العربي في مراحله المتعددة تثبت صلته بالتراث من جهة، ومن جهة أخرى تُشير إلى عُمق قراءاته التاريخية وقدرته على استدعائها في نصِّهِ الشِّعري.

الهوامش:

(1) ينظر: درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1958م: ص46.

(2) محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1984م: ص140.

(3) المرجع نفسه: ص33.

(4) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1997م: مج3/ ص119.

(5) ورد البيت في معجم بطرس البستاني، محيط المحيط، قاموس عربي مطول، مكتبة بيروت، 1998م: ص250.

(6) سورة آل عمران: آية 41.

(7) يقول ابن كثير: ((أي الإشارة لا تستطيع النطق على أنك سوي صحيح))، ينظر: تفسير ابن كثير، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1990م: ج2/ ص23.

(8) الطبري، محمد ابن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: 41،

(9) درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، دار النهضة، للطباعة والنشر، القاهرة، د ت.: ص43.

(10) ينظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1965م: ج1/ ص94.

(11) ينظر: المصدر نفسه: ج1/ ص48.

(12) ينظر: المصدر نفسه: ص34.

(13) ينظر: قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1963م: ص61

(14) سورة آل عمران: آية 41.

(15) ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م: ص302.

(16) المصدر نفسه: ص305.

(17) محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص33.

(18) المرجع نفسه: ص35.

(19) المرجع نفسه: ص35.

(20) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1983م: ص398.

(21) محمد فتوح أحمد، الرمز في القصيدة الحديثة، بحوث في اللغة والأدب، الكتاب التذكاري بمناسبة مرور 20 عام على تأسيس قسم اللغة العربية، جامعة الكويت إعداد وإشراف سهام الفريح، ط1، 1987م: 280.

(22) ينظر: المرجع نفسه: 280.

(23) محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999م: ج2/ ص488.

(24) محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر: ص139.

(25) ينظر: عز الدِّين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، ط3، 1982م: 232.

(26) سارة نجر ساير العتيبي، الرمزية وتجلياتها في الشعر العربي الحديث، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، العدد 25، المجلد2، نوفمبر2017م: ص217.

(27) محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ص119.

(28) ينظر: سارة نجر ساير العتيبي، الرمزية وتجلياتها في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق: ص217.

(29) للمزيد عن هذه المدرسة ينظر: أميمة حمدان حمدان، الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1981م: ص28 وما بعدها. ومحمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، منشورات دار المعارف القاهرة. ط1، 1984م: ص47، وما بعدها.

(30) ينظر: أمين عبدالله محمد اليزيدي، محاضرات في النقد الأدبي، ، كلية التربية المهرة، قسم اللغة العربية 2017م: ص18. وينظر: شوقي محمد العاملي، دراسة في فنون الأدب، دار العودة، بيروت، د. ت. ط.: ص 92.

(31) بسمة في شفاه الفجر: ص129.

(32) وللربيع طقوس أخرى: ص80

(33) بسمة في شفاه الفجر: 160.

(34) نفسه: 177.

(35) عزفٌ على أوتار الجراح: ص106

(36) أحلام في مخيلة السراب: ص13.

(37) عزف على أوتار الجراح: ص62.

(38) نفسه: ص183.

(39) الجاحظ، الحيوان: ج2/ ص409.

(40) عزف على وتر الجراح: ص144.

(41) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، الديوان، ص162.

(42) روائح الصمت: ص155 .

(43) بسمة في شفاه الفجر: 104.

(44) عنترة بن شداد، الديوان، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، د. ط. ت: ص49.

(45) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: ص198.

(46) محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته، وخصائصه الفنية، (1925- 1975م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م: ص550.

(47) أحلام في مخيلة السراب: ص5.

(48) على ضفاف الأمنيات: ص34.

(49) عزف على أوتار الجراح: ص119.

(50) على ضفاف الأمنيات: ص32.

(51) عزف على أوتار الجراح: ص 105.

(52) وللربيع طقوس أخرى: ص8

(53) عزف على أوتار الجراح: ص108.

(54) نفسه: ص104.

(55) وللربيع طقوس أخرى: ص75.

(56) روائح الصمت: ص41. غير أنَّ ما يؤخذ على الشَّاعر أنه قد حشر كلمة (الأعيان) حشراً في البيت؛ لأجل أن يكتمل له الوزن والقافية، فأوقعه ذلك في خطأ صرفي يتمثل في جمع (عين) على (أعيان)، وجمعها كما هو معروف في القياس على (أعين)، و(عيون). ومثل هذا لا يعفي الشَّاعر، ولا يُعد ضرورة شعرية، ولو كان قال: (العينان) لتحقَّق له تمام الوزن وصحة اللغة.

(57) عزف على أوتار الجراح: ص112.

(58) نفسه: ص66.

(59) على ضفاف الأمنيات: 25.

(60) صدر هذا الديوان عن مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون، ومركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء 2014م.

(61) ينظر: نصرة محمد محمود شحادة، اللون في شعر البحتري، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الخليل، عمادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، 2013م: ص11.

(62) عزف على أوتار الجراح: ص104.

(63) أحمد شوقي، الشوقيات، دار العودة، بيروت، ط1، 1988م: مج2/ ص72.

(64) على ضفاف الأمنيات: ص33.

(65) عزفٌ على أوتار الجراح: ص103

(66) نفسه: 105.

(67) بسمة في شفاه الفجر: 178.

(68) كما أنها أيضا رمز للاعتراف بفضل الطرف الآخر في عفوه ضمن القضايا الجنائية، وهو حاصلٌ في بعض المناطق في المحافظات الشمالية من اليمن. وهو ما أفادني به أ. د. أمين عبدالله محمد اليزيدي.

(69) أحلام في مخيلة السراب: ص3.

(70) عزف على أوتار الجراح: ص110.

(71) نفسه: ص83

(72) بسمة في شفاه الفجر: ص178.

(73) ينظر: هامش القصيدة في الحاشية، في ديوان: بسمة في شفاه الفجر: ص178.

(74) وللربيع طقوسٌ أخرى: ص11.

(75) على ضفاف الأمنيات: ص34.

(76) وللربيع طقوسٌ أخرى: ص11.

(77) بكري الشيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بيروت دار العلم للملايين 1979م 1399ه: ج1/ 162.

(78) ينظر: محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، 1981م: 222.

(79) المرجع نفسه: 222.

(80) وللربيع طقوس أخرى: ص12.

(81) على ضفاف الأمنيات: ص57.

(82) عزف على أوتار الجراح: ص108.

(83) على ضفاف الأمنيات: ص33

(84) جراح دون إعراب: ص12.

(85) بسمة في شفاه الفجر: 178.

(86) عزف على أوتار الجراح: ص112

(87) نفسه: ص112

(88) نفسه: ص64.

(89) ينظر: شعر المقالح، دراسة أسلوبية، ابتسام القطري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات، جامعة صنعاء 2002م: ص148.

(90) إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، العدد الثاني، فبراير، 1978م، المجلس الوطني للعلوم والثقافة والفنون، الكويت: ص 118.

(91) المرجع نفسه: ص 119

(92) عزف على أوتار الجراح: ص56.

(93) ينظر: عبد العزيز نصر، الأساطير والخرافات في الحكاية والتراث اليمني، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء 2003م: ص79

(94) على ضفاف الأمنيات: ص37.

(95) بسمة في شفاه الفجر: 126.

(96) نفسه: ص19.

(97) نفسه: 128.

(98) العبور إلى مرافئ الضوء: ص24.

(99) بسمة في شفاه الفجر: 176.

(100)نفسه: 178.

(101)نفسه: ص93.

(102)بشارة الخوري، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، 1988م: ص236.

(103)محمد محمود الزبيري، الأعمال الكاملة، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م: ص362.

(104)إحسان عباس، اتجاهات الشعر المعاصر، مرجع سابق: ص: 118

المصادر والمراجع:

أولا: دواوين الشاعر:

1- أسرار الرماد، إبداعات يمانية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2003م.

2- روائح الصمت، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2004م.

3- بسمة في شفاه الفجر، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2004م.

4- العبور إلى مرافئ الضوء، مؤسسة الإبداع، للدراسات والنشر، صنعاء، 2012م.

5- عزف على أوتار الجراح، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2013م.

6- على ضفاف الأمنيات، نسخة الكترونية.

7-مقام في رحاب الحب، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2014م.

8-وللربيع طقوس أخرى، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2014م.

9- أحلام في مُخَيّلة السَّراب. ديوان لم ينشر بعد.

ثانيا: الكتب:

10- ابن جعفر، قدامة ، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1963م.

11- ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1981م.

12- ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1990م.

13- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1997م.

14- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، الديوان، منشورات دار المعارف العمومية، بيروت. (د.ت.ط).

15- إسماعيل، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، ط3، 1982م.

16- أمين، بكري الشيخ ، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بيروت دار العلم للملايين 1979م 1399ه.

17- البستاني، بطرس ، معجم محيط المحيط، قاموس عربي مطول، مكتبة بيروت، 1998م.

18- التونجي، محمد ، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999م.

19- الجاحظ، عمرو بن محبوب، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1965م.

20- الجندي، درويش ، الرمزية في الأدب العربي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1958م.

21-حمدان، أميمة حمدان ، الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1981م.

22- الخوري، بشارة ، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، 1988م.

23-الزبيري ، محمد محمود ، الأعمال الكاملة، إصدار وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م.

24- الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، 1981م.

25- العاملي، شوقي محمد ، دراسة في فنون الأدب، دار العودة، بيروت، (د. ت. ط).

26-عباس، إحسان ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، ، المجلس الوطني للعلوم والثقافة والفنون، الكويت.العدد الثاني، فبراير، 1978م

27- فتوح، محمد ، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1984م.

28- ناصر، محمد ، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته، وخصائصه الفنية، (1925- 1975م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

29- نصر، عبد العزيز ، الأساطير والخرافات في الحكاية والتراث اليمني، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء 2003م.

30- هلال، محمد غنيمي ، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1983م.

31- اليزيدي، أمين عبدالله محمد ، محاضرات في النقد الأدبي، كلية التربية المهرة، قسم اللغة العربية 2017م.

ثالثا الرسائل العلمية:

1- شحادة، نصرة محمد محمود، اللون في شعر البحتري، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الخليل، عمادة الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، 2013م

2- المقطري، ابتسام ، شعر المقالح، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات، جامعة صنعاء 2002م..

رابعا: البحوث:

1- العتيبي، سارة نجر ساير ، الرمزية وتجلياتها في الشعر العربي الحديث، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، العدد 25، المجلد2، نوفمبر2017م.

2- فتوح، محمد ، الرمز في القصيدة الحديثة، بحوث في اللغة والأدب، الكتاب التذكاري بمناسبة مرور 20 عام على تأسيس قسم اللغة العربية، جامعة الكويت إعداد وإشراف سهام الفريح، ط1، 1987م.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

التشكيل اللغوي والدلالة في شعر أحمد دحبور

أ.م.د. محمد حيدر *

الملخص:

تتضمن هذه الدراسة الموسومة بـ: **"التشكيل اللغوي والدلالة في شعر أحمد دحبور"**، من مقدمة وعرض لمحتوى الدراسة وخاتمة.

وقد دارت الدراسة "التشكيل اللغوي والدلالة" في محاور تتعلق بالتراكيب والدلالات والرموز ومستويات اللغة والضمائر والتكرار والتناص وغير ذلك من القضايا المتعلقة بالبناء اللغوي.

فعلى مستوى تحليل المتناصات وجِدَ أن النص الشعري بيئة حاضرة مفتوحة على الماضي ومتحركة نحو المستقبل وبذرة خصبة منتجة تحدد إطار الحضور الذهني والتداعيات التي تخلقها الدلالات التحويلية بين سيميولوجيا النص الغائب وما تؤول إليه في بنية النص الحاضر.

أما على مستوى التشكيل اللغوي فقد تميز "دحبور" بتنوع التشكيلات الطباعية للكتابة المطبوعة وذلك بتوظيف ثنائية السواد والبياض وتقطيع الكلمات وتلوين النص بعلامات الترقيم الدلالية.

كذلك نجح الشاعر في توظيف دلالات الترديد اللغوي على مستوى الألفاظ والعبارات في إنتاج بنى متماسكة أشبعت دوائر الخطاب دلاليًا وإيقاعيًا.

* أستاذ الأدب الحديث والنقد – المشارك – جامعة عمران.

أما عن شواجر الضمائر في خطاب "دحبور" فإن أبرز تداعيها خروج الأنا الذاتية إلى الأنا الجماعية العليا، وبالنسبة لتحولات البنى الصوتية ودور أصوات المد في تشكيل الدلالات فقد أتحدت المتواليات المكانية والزمانية لأصوات المد في نصوص الشاعر مع صيرورة السياق المعنوي.

وجاءت الخاتمة لتجمل أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات.

الكلمات المفتاحية: التشكيل، اللغوي، الدلالة، أحمد الدحبور.

The Linguistic Composition and Semantics in Ahmed Dahbour's Poetry

Dr. Mohammad Hider

Abstract:

The current study entitled 'The Linguistic Composition and Semantics in Ahmed Dahbour's Poetry' consists of an introduction, presentation of the study content and a conclusion.

In the introduction, the researcher has presented the reasons of selecting 'Linguistic Composition and Semantics" as subject of the study in addition, monitoring the objectives of the intended methodology during the course of the study. On the intertextuality analysis level, the poetic text was found to be an open environment. This was open to the past and moving towards the future, and fruitful seed which determines the framework of intellectual presence and the implications created by the transformational semantics between the semiology of the absent text and the consequent structure of the present text. The study has showed the distinction of Dahbour at the level of

linguistic composition in the variety of the typographical formations for printed writing by employing bi-black-white, segmenting words and coloring text with punctuation marks.

The poet has also succeeded in employing the semantics of linguistic repetition at the level of words and phrases in the production of coherent structures saturated with circles of rhetoric and rhythm. As for the pronouns in the speech of Dahbour, the most prominent decline is the emergence of self-ego to the ego supreme group, and for the transformations of phonetic constructions. The role of the phonetic lengthening in the formation of semantics, the spatial and the temporal sequences of the phonetic lengthening in the texts of the poet were combined with the process of the moral context. The conclusion has summarized the recommendations and the main findings of the study.

Key words: Linguistic Composition, Semantic, Poetry, Ahmed Dahbour

المقدمة:

يشكل النص الشعري المعاصر نمطًا فريدًا ونسيجًا متميزًا من الأداء اللغوي الذي تكمن في سياقه دلالة المعنى، وتنبع من علاقاته علامات ورموز متجددة، بغير فصل بين الشكل اللغوي والمعنى التعبيري؛ لأن الفصل بين الموضوع Theme والشكل Form في الجسد اللغوي للنص تعسف يخالف الطبيعة التشكيلية المتكاملة للنص الشعري "Formulation".

إن تشكلات البنية اللغوية وتحولاتها في النص المعاصر أدَّت إلى اتساع مساحة الدلالة، وانفساح مسافة الإيحاء، الأمر الذي أدَّى إلى تكثيف تعبيري ناتج من تزاحم الصور الرمزية

المتضامة في نسق دلالي دائم الصيرورة والتحول، وسياق لغوي يفارق رقابة التراكيب اللغوية النمطية المرتبطة بإشارية التوصيل والفائدة الوظيفية للخطاب اللغوي العادي. "إن شعرية القصيدة لا تقع خارج لغتها، وإنما تنبع من خلال ما يقدم عليه الشاعر من تجاوزات بارعة وانتهاكات محببة لثوابت القول وعادات التعبير المتعارف عليها، فالقصيدة في حقيقتها ليست إلَّا خطوة خلاَّبة تتفتح في خشب اللغة".

وقد ركزت مناهج النقد المعاصر اهتمامها على البنية اللغوية للنص الشعري؛ لأنها بؤرة تشكيله الجمالي، والمساحة المكانية التي تجري فيها عملية التحليل النقدي، والقراءة التي تعيد إنتاج النص.

إن بنية النص اللغوية تشتمل على مجموعة من الأنظمة الصوتية والصرفية والنحوية التي يتألف كل واحد منها من مجموعة من العلاقات التي تتقابل وتتفارق وتتقاطع لتشكل في نهاية الأمر نصًا شعريًا تتم فيه عملية اختراق النظام اللغوي المعياري، وانزياح عن النسق الوضعي للتراكيب والمباني التحليلية والدلالات المباشرة.

أولًا: أسباب اختيار موضوع الدراسة:

مما يجعل هذا الموضوع موضوعًا جديرًا بالدراسة الآتي:

1- الطبيعة التشكيلية الحداثية لشعر أحمد دحبور "ظهرت آفاقها من خلال تطوير أشكال الصياغة اللغوية وكثافة التعبير والتصوير وتصاعد الإيقاع المتزامن مع تنامي الحس الثوري ونمو نزعة التمرد على واقع المتناقضات والهزائم والمفارقات وفقدان التوازن النفسي.

2- الشاعر "أحمد دحبور" أصبح أكثر استيعابًا لمتطلبات المرحلة جماليًا وموضوعيًا، فنيًا وسياقيًا، فحرص على تحديث تراكيبه اللغوية وتكثيف رموزه حتى وصل إلى قمة الأداء الشعري المتميز.

3- شعر "أحمد دحبور" خطاب فني سياسي لبس النص اللغوي رداء دلالة تحولاته الثورية وتوشى الحدث بوشاح الرمز.

ثانيًا: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى استكناه التحليلات النقدية التي تفكك المعطيات الحسية والمتناصات النصية للتراكيب اللغوية في النصوص وتفسر تداعياتها وتأول إيحاءاتها، وتقارب بنيتها الدلالية مع التركيز على استكناه "شعرية" النص من خلال تراكيبه اللغوية، وفك شفراته الكامنة في تشكيلها الخاص، وسبر أغوار النصوص؛ لاستخراج كنوزها وتحليل علاقاتها الأفقية والرأسية.

ثالثًا: منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التحليلي للآتي:

1- قدرة الأسلوب التحليلي على رصد الظواهر الجمالية واستكناه عناصرها وتشريح البنى اللغوية من أجل إعادة تركيبها دلاليًا في إطار سياقها الموضوعي.

2- توجيه الدراسة إلى التقييم الداخلي للنص بعيدًا عن الإسقاطات المضللة.

غير أن طبيعة البحث تقضي الاستفادة من معطيات المناهج النقدية البنيوية وتوظيف إجراءاتها التجريبية اللامعيارية في التعامل مع البنى التركيبية الدالة صوتيًا ونحويًا وحرفيًا من

خلال البنية اللغوية للنص المغلق – مؤقتًا – ثم الاستفادة من إنجازات التحليل الأسلوبي المتمثلة في إبراز الخصائص اللغوية المهيمنة ثم ممارسة إجراءات التفكيك والتشريح النصي واستشفاف الدلالات بواسطة علم السيمولوجيا وأخيرًا ربط هذا النص اللغوي بالسياق الثقافي والاجتماعي والسياسي وإتاحة الفرصة للقراءة الناقدة أن تقرأها ما وراء السطور، وبذلك تصبح المقاربة الجمالية للنص أكثر تغطية لآفاق الشعرية.

إن دراستنا لتشكيل البنية اللغوية في شعر أحمد دحبور سوف تدور في محاور تتعلق بالتراكيب والدلالات والرموز ومستويات اللغة والضمائر والتكرار والتناص وغير ذلك من القضايا المتعلقة بالبناء اللغوي؛ من خلال نماذج لتطبيق الإجراءات التحليلية عليها مع الاكتفاء برصد الظواهر اللغوية عبر أجزاء تشهد على مساحة معقولة من شعرية النص.

أولًا: إيحائية اللفظ الشعري:

تمتلك لغة الشاعر أحمد دحبور طاقات تعبيرية عالية، تتكثف فيها دلالات الألفاظ، وتنفرد الكلمات بالإيحاءات الخاصة"، فكل كلمة هي قطعة من الوجود أو وجه من وجوه التجربة الإنسانية، ومن "ثم فإن لكل كلمة طعمًا ومذاقًا خاصًا ليس لكلمة أخرى؛ لأن التلاحم بين اللغة والتجربة يجعل لكل كلمة كيانًا منفردًا عن كل ما عداه"[(1)]، والكلمة في هذه الحالة "تصبح طازجة وغضة ومفعمة بالنبض – على حد تعبير الدكتور عزالدين إسماعيل[(2)]–، ولا يمكن أن تكون حشوًا في بنية النص، بل إن كل الفاعلية الموجبة وإشعاعاتها المتوهجة تنبعث من تأثير هذه الكلمة في السياق الشعري. وفي هذه الحالة أيضًا لا يمكن استبدال هذا اللفظ المتلحف بأردية الإيحاء، والذي يشكل مضغة تبعث الحياة في جسد النص وصوتيًا يهيمن

على أجوائه الشعرية، هذا العنصر اللغوي المهيمن يتيح للقارئ الغوص في ضمير الرؤية النصية، والحلول – صوفيًا – في ذاتها عبر إضاءاته الروحية، وسوف نبدأ بمقاربة نص يأسرنا بتجلياته الإيحائية للشاعر أحمد دحبور، يقول في قصيدة "حلم":

حلمت أن أبكي على يديك

أن أذرف المنفى على التراب

حلمت أن أخاصر الهواء والسراب

وأدفع اليباب

حلمت أن أضيء ضفتيك

ماذا لو انتظرتني؟

يا وطنًا مودوعة أمانتي لديك

كبا الجواد لا تغب

سينهض الجواد يا حبيبي لا تغب[3].

يبدأ الشاعر هذه المناجاة الذاتية بالحديث عن الحلم والبكاء بين يدي الوطن، ثم يكسر التوقع الدلالي للقارئ باستبداله مصاحب اللفظ – أذرف – المختزن في ذاكرة المتلقي وهو عادة الدمع وتبلغ الإيحائية مداها في لفظة "أخاصر" المرتبطة بسياقها، فالمخاصرة هنا شدة الالتصاق حتى التجسد والحلول بالهواء رمزًا للحرية والسراب رمزًا للحلم. زد على ذلك ما في هذا اللفظ من إيماء إلى العشق الجسدي الميتافيزيقي المشتهى للمحبوب وهو هنا – الوطن – المنادى في نهاية هذا المقطع "يا حبيبي".

وإذا أمعنا النظر في مضغة النص التي يتمحور حولها ويعيش بها، فهي "الحلم" مرتبطًا بتاء المتكلم، "حلمت أن أبكي"، "حلمت أن أخاصر"، "حلمت أن أضيء" وهي تراكيب متوازية لغويًا ودلاليًا تستشرف آفاق المستقبل عبر أفعالها المضارعة، ثم يتفجر السؤال – الصرخة – "ماذا لو انتظرتني؟" وكأن الشاعر يخشى أن يستغرق في الحلم حتى الغياب التام من دون أن يسعفه القدر باللقاء على الوطن. وعلى الرغم من سوداوية الواقع العربي والفلسطيني الذي توحي به عبارة "كبا الجواد" واستفادة من إشعاعات التضاد تومئ عبارة "سينهض الجواد" إلى الثقة في العودة وتحقق الحلم الذي سيطر على كيان الشاعر وجسد النص.

ثانيًا: دلالة التراكيب الشعرية:

إن الوقوف على ملامح الرؤية الجمالية – التي تتكشف أبعادها بالمزيد من التأويلات – يقتضي متابعة دلالات التراكيب اللغوية مهما امتدت إشعاعاتها وتقادمت؛ لأن ذلك هو الضمان الوحيد لكشف أبعاد التجربة الشعرية. وسوف يقتصر تحليلنا اللغوي على جسد النص الشعري وسياقه الداخلي الخاص من دون الاستعانة المباشرة بخارجة السياسي أو الثقافي؛ لأن ذلك يسهم في كشف المزيد من جمالياته التركيبية ودلالاتها والمعاني المخبأة خلف سطحها اللغوي، والحد من هيمنة المؤلف والظروف الموضوعية المحيطة به على لغة النص ومعانيه وصوره.

ولنبدأ بمقطع شعري في قصيدة "هيهات ... لكني أعد": حيث تتنافر أفعال الأسئلة التي تثير الجدل وتشغل الذهن بمتابعتها؛ إذ يقول في قصيدة: "هيهات ... لكني أعد":

هل كنت اكتشفت المدينة أم كاشفها بخوفي؟

يقف السؤال.

وتعبر السيارة الصفراء نصف أزقة الدنيا

وكيف تركت ملء مخيم اليرموك طيفي

من نكون إذن؟

ومن يتفهم النار الشهيدة وهي تلتهم الشجر؟

(هذا ولم أسأل من النار الشهيدة بيننا ومن الشجر)

وهل العذاب قلادة؟

أم صك تأمين لمولانا الضمير؟(4)

فيض من الأسئلة المتولدة من رحم اللاشعور، والكبت الكامن في وعي الشاعر تنثال في مساحات هذا النص لتخلق لدينا الاستثارة والدهشة وفضول البحث عن الأجوبة، وبعض الأسئلة لا يحتاج جوابًا مثل سؤاله للذات "**هل كنت اكتشف المدينة أم أكاشفها بخوفي** "وبين دوال الاكتشاف والمكاشفة والحيرة يبرز مدلول الخوف" ويقف السؤال". ثم يتساءل الشاعر كيف ترك طيفه يملأ آفاق المخيم الفلسطيني بل إنه يذهب إلى أبعاد من ذلك فجسده لا زال متجسدًا وحالًا في أزقة اليرموك. وفي جملة استفهامية – يتوجه بها إلى "نحن" العرب "فعل الخيانة"– يسأل: "من نكون إذن؟" ويبدو ألق الإيحاء وإشعاع الدلالة في السؤال من القاتل ومن المقتول؟ النار الحارقة أم الشجر المحروق؟ ويدرك الشاعر عمق هذا السؤال واحتمال خفاء دلالته على بعضهم أو إساءته لبعضهم الآخر فيعقب "هذا ولم أسأل من النار الشهيدة بيننا ومن الشجر "ثم يتابع الأسئلة، هل العذاب قلادة؟ يتحلى بها جيد الطغاة ووسام يتدلى على

صدورهم، أم إسكات لصوت الضمير، بإسكات الصوت الثائر، ولا ينتظر الشاعر إجابة، بل يترك للمستقبل كل الاحتمالات.

وفي نص آخر للشاعر أحمد دحبور يجمع فيه بين جدلية الأسئلة ودرامية الحوار بين "الأنا" و"الآخر" يقول:

قل لي:
إذا عدنا غدًا للوطن الفجر.
ألن أرى قاعدتي في الحلم البكر؟
ألن أشتاقها فعلاً؟
وقل لي:
ما الذي أفعله لو جئتكم في هذه الأيام؟
أغفو عند مذياع يبث الدود؟
أتلو صحفًا تأمرني بالفرح المعهود؟
لا ..
بل قل لأهلي:
سأعود اليوم في برقية أو حلم
لا تنتظرني في القريب العاجل
لست أحب الموت
لنحيا في السعيد الآجل[5].

يتساءل الشاعر هل يتجسد حلمه في العودة إلى وطن يحمل الملامح نفسها التي يريدها، أم أنه سيعود إلى وطن سوف يشتاقه مرة أخرى لأن ملامحه تغيرت، ثم يتساءل متخيلاً، ماذا سيفعل لو عاد ولم يجد الوطن الذي يتمنى؟ هل يستسلم للأمر الواقع؟ إن شاعرنا يطلقها مدوية " لا " ويفضل الشاعر أن يبقى سعيدًا في حلم مؤجل ولا يموت في عودة آجلة تحمل في رحمها بذور الضياع والموت.

ثالثًا: التناص:

التناص من أبرز سمات الخطاب الشعري المعاصر، ومن أدق خصائص بنيته التركيبية والدلالية، حيث تتداخل فيها أبنية نصوصية لها صلة مختزنة في ذهن المبدع، وبذلك يصبح النص مجموعة من النصوص السابقة الممتدة في الذاكرة والتي تلتقي جذورها في حقل التناص فتثمر شجرة نسب شعرية عريقة تتشابك جيناتها وتتداخل وتلقي بظلالها على القارئ الذي يبدأ في فك شفراتها الدلالية وعلاقاتها واحتمالاتها.

إن حضور النص الغائب في جسد النص الآني هو نوع من الحلول الصوفي الذي تتوحد فيه الذوات، وتتماهى فيها التشكيلات المتغايرة وتتناسخ فيه المدلولات، "إن بذرة النص تنغرس خلسة في اللاوعي والمخيلة وتبدأ رحلتها متنكرة مجهولة الملامح، مستحثة الكاتب أن يلاحقها عبر منعرجات الذاكرة ومتاهات الكلمات ومن ثم فإن "كل نص حداثي نصًا موازيًا يتابع تكويناته وتحولاته ويحكي مسار المبدع وهو يجري لاهثًا خلف مجهول النص لاستدراجه وتشكيله(6)"، وتختلف أشكال التناص بين الاستيحاء والاستدعاء والتأثر بالشكل أو المضمون والاقتباس بمعنى تضمين النص الحاضر أجزاء كاملة من النص الغائب، ويمكن أن نمثل للتناص الشعري الذي يستوحى نصوص القرآن بتوظيف أحمد دحبور القيمة الدلالية للرقم "سبع سنابل" والتي أكسبت سمتها القدسي من ورودها في القرآن الكريم وذلك في قوله:

ذلك الصقر المقاتل

أسرجت أعوامه العشرون

خيل العاصفة

كان في جبهته سبع سنابل

لمها حتى يصد البؤس عن سود المنازل(7).

ففي السطر الرابع يتناص الشاعر مع تركيب لغوي من آية في سورة البقرة: **(مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)**(8)، لكن السنابل في النص الشعري مجازية الإنبات والعدد، مع أن الشاعر استغل القيمة الدلالية للرقم الذي رسخ في ذهن القراء مصاحبًا للسنابل "سبع سنابل"؛ ليرسم إيحاءات تشكيل شعري يشي بسريان الثورة في دمه وحلولها في جسده إلى درجة يستحيل معها التراجع إلَّا بعد أن يصد المقاتل البؤس عن سوء المنازل.

وقد تناثرت في نصوص دحبور الشعرية عشرات الاستلهامات القرآنية التي تقف على قمة المتناصات، من ذلك قوله:

أبشروا يا آل ياسر

قلت في فوارة القيظ يجيء الفاتحون

وأراهم يعبرون

قلت عن طير الأبابيل وعن ريح المنون

إنها تنهض من مرج ابن عامر

إنها تبزغ من كل الشجون(9).

يبدأ الشاعر القصيدة ب "أبشروا يا آل ياسر" وهي العبارة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر بها آل ياسر "أبشروا آل ياسر" والشاعر أضاف "يا النداء" لضرورة الوزن فكأنه اقتبسها محورًا في دلالتها الزمانية والمكانية ومحققًا الامتداد الجهادي من تضحيات صحابة النبي صلى الله عليه وسلم إلى كفاح المناضلين في فلسطين، ثم يردد الشاعر التعبيرات القرآنية "طير الأبابيل" ، " ريح المنون "رمزا لأدوات المقاومة التي يحركها رب العالمين عز وجل ناصرًا جنده، ولم يقحم الشاعر هذه التراكيب على السياق دون مبرر "بل ارتبطت عضويًا بالنص فأصبحت جزءًا من بنيته" وهذا تنوع جديد على الموقف نفسه يؤكد أن العملية ليست مطلقًا مجرد عملية اقتباس..، وإنما هي عملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النص يستكشفها شاعر بعد آخر، كل حسب موقفه الشعري الراهن(10).

وفي تناص قرآني آخر يقول أحمد دحبور:

بلحظتي إصغاء

تلفت...

"إن بعض الظن إثم".

غير أن الإثم يفتح شهوة النار.

ونحن حصيلة النار.

فمر على الدم المحروق فينا.

أو يموت الماء(11).

لقد استوحى الشاعر قول الله عز وجل من سورة الحجرات: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)(12)**، غير أن السياق مختلف والمخاطب مجموع في الآية ومفرد

في النص فضلاً عن اختلاف صفته، إن تضمين النص بهذه الآية فتح المزيد من التأويلات وتنوع الدلالات خاصة وأن الشاعر جعل الإثم يفتح شهوة النار وجموع المناضلين المنفيين فهل هي دعوة للظن؟! أم دعوة لاجتنابه"؛ لأن بعض الظن إثم" وهنا قد تلتقي دلالة الآية والنص برغم اختلاف السياق.

وقد عمد الشاعر إلى التناص من أحداث التاريخ من خلال عبارات ترددت على السنة القادة الزعماء "الأمر الذي يتيح تمازجًا ويخلق تداخلاً بين الحركة الزمانية، حيث يسكب الماضي بكل إثاراته وتحفزاته وأحداثه على الحاضر بكل ما له من طزاجة اللحظة الحاضرة، فيما يشبه تواكبًا تاريخيًا يومئ الحاضر فيه إلى الماضي، "وكان هذا الاستلهام يمثل صورة احتجاجية على اللحظة الحاضرة التي تعادلها في الموقف اللحظة الغائرة في سراديب الماضي"[13].

يقول: "أحمد دحبور"

البحر من ورائكم

ماذا وراء البحر؟

خليفة يسلبنا القوت وغار النصر

البحر من ورائكم

نحن نريد البحر[14].

فالشاعر يستحضر موقف "طارق بن زياد"، وهو يحث الجند على التقدم للفتح على الرغم من وعورة المسالك لكن اختلاف الرؤية أتت من زيادة الشعور بالأسى والمرارة والاستكانة الحاضرة وظلالها السوداء الكثيفة التي أظلمت فضاء أرواحنا. إن حدة التوتر النفسي تتصاعد في هذا النص وآفاق التحدي تظهر، ورغم التهديد فإن الشاعر يضع روحه على

كفه ويطلقها مدوية "نحن نريد البحر" أتركوا لنا الخيار وضعونا في مواجهته فلعله أرحم من بحر حقدكم.

ونصوص الشاعر "دحبور" تميزت بكثرة المتناصات وتنوعها ونبدأ بقوله:

فاختلفوا بموت ضيق متمزق الأوصال

واتسعت حياة حيثما ذهب الشهيد

ذهب الذين أحبهم

ذهب العديد

وبقيت نصف البرتقالة حامض مر

ونز دم على النصف المحلى[15].

إن السطر الشعري "ذهب الذين أحبهم" يستدعي في الذهن الشطر الأول لبيت عمرو بن معد يكرب:

ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا[16]

واستحضار هذا البيت في الذاكرة يعكس سيطرة الشعور بالوحدة والتمزق والضيق على روح الشاعر المتلبسة بهذا الضياع، كما نلاحظ خفوتًا في صوت الفخر الذي كان يعلو في النص الغائب، ومع ذلك فقد تشابك النصان عضويًا وتلاحما دلاليًا على الرغم من التغيرات التي حدثت حيث جاءت "وبقيت" بعد سطر آخر، وانحرف التركيب اللغوي عن مساره وتغيرت الصورة المجازية في السطرين الأخيرين كل ذلك أدَّى إلى انفساح حقيقي في الدلالة، "إن كثافة الاستلهامات اللغوية تتجاوز مجرد اقتناص قولي يتجمد في لصق تضميني، وإن تعدد ابتثاثها

وتنوع احتشادها يخترق النسيج اللغوي خالقًا توافقًا وتفارقًا مع ما ضوية القول وأحادية المقول، فيتناسخ الماضي في آنية الحاضر، وتتحول الأسماء والمقولات إلى دلالات معاصرة، والى إلماعات لها كينونتها المتميزة وحضورها المتمايز(17).

ونبقى مع تناص آخر في قول "أحمد دحبور":

معافاة من الوطن

فقلت: ليبتدئ زمني

وصحت بخير من ركب المطايا

والمطايا بعد لم تسرج

فما وصل الصدى من زحمة المدن

ولن يأتي سوى الفقراء(18).

يتضمن النص السابق جزءًا من بيت جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح(19).

وقد تلاحم نص دحبور مع نص جرير تركيبيًا واختلف عنه دلاليًا، فاستدعت خير من ركب المطايا نقيضها في الزمن العربي الردي، وأضاف الشاعر تفصيلات جديدة للصورة القديمة والمطايا بعد لم تسرج" وهي قرينة على ما ذكرنا من تناقض الدلالة.

ونختم بأنموذج ثالث للشاعر "دحبور" يقول فيه:

أقول وقد بدلت لساني العاري

بلحم الرعد

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا بعد

حرقنا منذ هل الضوء ثوب المهد

وألقمنا وحوش الغاب

ورملاً عاصف الأنواء[20].

استدعى المخزون التذكاري في لا وعي الشاعر بيتًا للشاعر القديم عمرو بن كلثوم يقول:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين[21].

وعلى الرغم من تباعد المساقات الزمنية بين النصين، إلَّا أن هناك تشابكًا وتلاحمًا في الدلالة، فالسياق فيهما يعكس فخرًا واعتدادًا بالذات وتحديًا صارخًا للأعداء، وقد اكتسب النص الجديد زخمًا تعبيريًا بالغ الأثر والإيحاء وصارت "البنية الإحالية التي تقف خلف هذا النص خصبة، لأنها تغترف معرفيتها من روافد متنوعة، فهي بهذا المنظور خلاصة لقراءة الحاضر من خلال الماضي، وغربلة للمورث من أجل توظيفه في عملية بناء الغد المأمول عن طريق إبداع علائق جديدة تحكم أبعاد الزمن "[22].

إن النص الشعري – وفق تحليل المتناصات السابقة – بنية حاضرة مفتوحة على الماضي ومتحركة نحو المستقبل،وبذرة خصبة منتجة تحدد إطار الحضور الذهني والتداعيات التي تخلقها الدلالات التحويلية بين سيميولوجيا النص الغائب وما تؤول إليه في بنية النص الحاضر.

رابعًا: دلالات التشكيل الكتابي:

تميز موروثنا الشعري القديم بنظام كتابي خاص يلتزم التوازن التام والتوازي بين شطري البيت في القصيدة العمودية، ولم يتح للشعراء أن يخالفوا هذا النظام إلَّا في العصور الأدبية

المتأخرة. ثم ظهر شعر التفعيلة وبدأ الانحراف عن المعايير الشكلية والإيقاعية، وانتهج الشعراء مسلك الحرية في تشكيل السطر الشعري سوادًا كتابيًا يستدعي تدفقًا شعوريًا، أو بياضًا فراغيًا ينتج إيحاءات عدة، ومع ذلك فإن شعراء التفعلية – لقرب عهدهم بالشعر العمودي – حافظوا على شكل قريب منه، واهتموا بتكرار بعض القوافي، والتزموا بالتفعيلات العروضية التزامًا حادًا، وهي – كما أرى – أساور من ذهب تحيط بمعصم القصيدة، لكنها على أي حال تحد من حرية الشاعر في استغلال المساحات البيضاء وتقطيع الكلمات وتلوين النص بعلامات الترقيم، وما إلى ذلك من الوسائل الطباعية التي رافقت تطور الشعر الحداثي المعاصر، وهي أدوات لإنتاج المعنى وتنويع الدلالة، حيث تتحكم التشكيلات الصياغية للكتابة المطبوعة في تحديد المعاني أو توضيحها أو تعميقها، والتحكم في مستواها الحركي وتكثيف دلالاتها.

وسوف نعرض لبعض وسائل التشكيلات الكتابية في شعر "أحمد دحبور" ونبدأ بقصيدة "خروف العيد" التي يقول فيها:

ويفور حبري في يدي فيتلف الدفتر
وأرى الذي يجري جرى من قبل
سوف ترد أمي شعرها
ردته
سوف تقول: جئ ببقية الزعتر
قالت،
وسوف أقول ...
قلت: ألا يكف أبي عن الشكوى وغسل الميتين؟
نم يا حبيبي تحت نومك غابة من ياسمين[23].

بعد وصف سردي وحوار داخلي يخاطب به الشاعر ذاته المتوترة يستخدم الشاعر أفعال القول بطريقة تعكس أعلى مستوى من التردد "قالت، سوف أقول ... قلت: "ثلاث من علامات الترقيم" فاصلة، نقط، نقطتان "الأولى تعكس توالي الحدث واستحضاره في الذهن، والثانية تدل على محذوف لم يشأ الشاعر ذكره، أو فاصلاً زمنيًا يعكس طول اللحظات قبل اتخاذ القرار بالكلام، وينفذ الشاعر قراره بالبوح المر بعد العلامة الثالثة على الرغم من تيقنه بأنها قد تجرح مشاعر الأب، وقد جاءت العبارة على هيئة سؤال لم تجب عليه الأم بل هدأت من روع ولدها ودعته للنوم باطمئنان.

ويستخدم دحبور شكل الدوال / البدائل بالطريقة المدرجة في سياق جديد في قصيدة "كلام الغريب" يقول:

إنا ولدنا شيوخًا

وطارت عصافيرنا والطفولة لم تأت

من أين تأتي؟

وليل المخيم يمضي بها نحو ليل المخيم

إن حزيران

غمان

لبنان

كوكبة من مرايا

رأينا الوجوه بها فكشفنا الوجوه[24].

إن صياغة الدوال "حزيران – عمان – لبنان "بهذه الطريقة المدرجة تعني أن لها مدلولًا واحدًا وظروفًا سياسية متشابهة، وقد أتبع الشاعر هذه الدوال بعبارة "كوكبة من مرايا"، تتكشف على صفحاتها الوجوه والحقائق، وقد أكمل بها درجات السلم الدلالي، ثم شكل مسطحًا أفقيًا تحت هذا السلم بدأ فيه تبرير موقفه من هذه المسميات.

وهناك تشكيل كتابي هندسي آخر في قصيدة "إنهم يقتلون حميدو" يقول دحبور"

هذا الحميدو يموت ...

لماذا ؟

ومن قتله؟

لا الصهاينة المجرمون،

ولا شركات الأذى،

إنهم أهله الأقربون...

أجل ...

فعلوا ...

مثلما تتخلص من عزمها العضلة[25].

بعد أن ذكر الشاعر الحدث "موت حميدو" تساءل في بداية سطر "لماذا" وترك فراغًا بعدها ليتيح للقارئ أن يشاركه التساؤل، ثم ذكر بعد مسافة تعادل زمنًا للدهشة والحيرة" ومن قتله؟"، وبعد نفي القتل عن أصناف معينة ذكر القتلة "إنهم أهله الأقربون" ويكاد الشاعر لا يصدق نفسه، فيحاور ذاته محاولًا إقناعها بتصديق الحدث "أجل..." مع ملاحظة النقط التي

تلي كل كلمة وهي مسافات زمنية أيضًا. ثم يردف "فعلوا..."، لقد تيقنت نفس الشاعر أنهم القتلة ثم قدم لهم في نهاية الأمر صورة مجازية "مثلما تتخلص من عزمها العضلة".

ويوظف دحبور تقنية النقط توظيفًا دلاليًا جديدًا في قصيدته: "تركته نائمًا"، يقول:

وفي القميص رسالة:

كنزك في هذا العنوان .....

سايرت العنوان

ركضت معي الطاقات والجدران(26).

إن استخدام النقط للحذف تقنية مألوفة في قواعد الترقيم، لكن تضمينها نصًا شعريًا يحتاج إلى قوة إدراك للأبعاد الدلالية والسياق الدرامي للمحذوف وما يليه من تراكيب وقد استغل دحبور ذلك وأتبع المحذوف – الذي يشكل تفصيلات هامشية – بالفعل الماضي متصلاً بدال "العنوان" ثم ذكر العبارة الأخيرة التي تعكس شدة الأثر الانفعالي الذي تركه العنوان في نفس الشاعر.

ويقدم لنا دحبور نمطًا آخر من أنماط التشكيل الكتابي في قصيدته: "هيهات... لكني أعد"، يقول:

وفي الكناية أننا فعل الخيانة

من نكون إذن؟

ومن يتفهم النار الشهيدة وهي تلتهم الشجر؟

(هذا ولم أسأل من النار الشهيدة بيننا ومن الشجر)

وهل العذاب قلادة

أم صك تأمين لمولانا الضمير[27].

وظف الشاعر في هذا النص علامة القوسين محاولًا فصل محتواهما عن جسد النص شكليًا مما يوهم بانشطار الخطاب؛ لكن الحقيقة أن هذه العبارة تشكل بؤرة الدلالة ومحور الصراع الدرامي، فهي تشد انتباه القارئ وتستثير تفكيره في محاولة تحديد ما هية القاتل وما هية المقتول من الظالم؟ ومن المظلوم؟ في ملحمة احتراب شواجر الأرحام التي قطعتها شواجر الأرماح.

وفي تشكيل آخر في قصيدته: "هم" يقول دحبور:

أنا الآن شبه حالم

لو اليوم صرت منهم

لو اليوم صرت منهم

لشهر

لبعض أشهر

ليوم

لنصف ساعة ...

إذن لانتحرت[28].

يتحدث الشاعر عن الزعماء الطغاة ويفترض حالمًا أن يصير منهم، ولأن ذاته المترددة تستبعد ذلك فإن اللاشعور قد أفرز تشكيلاً إبدعيًا يتمثل في طرح بدائل زمنية تنازلية، اتخذ كل بديل منها شطرًا، ورسمت بطريقة متدرجة "من شهر ... إلى نصف ساعة" ثم يصحو الشاعر من هذا الحلم ويسترجع كل مخاطر هذه المغامرة ثم يصرخ "إذن لانتحرت".

أمَّا الأنموذج التشكيلي الأخير لشاعرنا "دحبور" هو قصيدة" الاعتراف مرة واحدة" يقول:

كان السمع مشلولًا

ومازال يناديني يناديني يناديـ... غاب

في الماء

ومالي من يد تلقى حزامًا[29].

إن حذف حرفي النون، والياء من كلمة "يناديني" بعد تكرارها مرتين يومئ بانقطاع النداء تدريجيًا حتى "غاب في الماء" وهذا استغلال جيد لتقنية الحذف أسهم في تكثيف دلالات السياق وتعميق معنى النص.

خامسًا: دلالات الترديد اللغوي:

إن أسلوب التكرار "يستطيع أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، ذلك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة ويستخدمه في موضعه، وإلَّا فليس أيسر من أن يتحول هذا التكرار نفسه بالشعر إلى اللفظية المبتذلة"[30]. وميزان هذا الأمر هو القدرة التشكيلية لدى الشاعر وعمق تجربته الشعورية، وإحساسه بالقيمة الدلالية للألفاظ المكررة "فالتكرار يضع في أيدينا مفتاحًا للفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء "اللاشعورية، يسلطها الشعر على أعماق النفس فيضيئها بحيث نطلع عليها، أو لنقل إنه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة"[31].

أمَّا عن طريقة تحليلنا للأنساق التشكيلية المتضمنة ألفاظًا أو جملاً مكررة فإننا سوف ننظر لهذه الأنموذجات من زاويتين: زاوية الألفاظ، وزاوية العبارات، وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال عن ترديد الحروف، والجواب أن تكرار الحرف له قيمة إيقاعية تفوق قيمته الدلالية، بل إن الحرف المفرد يكاد يخرج من نطاق الدلالة المعنوية وتبلغ الغواية التحليلية ذروتها عند التعامل مع هذا المستوى الصوتي موسيقيًا.

أولًا: دائرة الألفاظ:

تميزت نصوص الشاعر أحمد دحبور بإشباع دوائر الخطاب بظواهر التردد اللفظي الأمر الذي ينتج تراتبًا دلاليًا وتناسقًا شكليًا وإيقاعيًا وتناميًا دراميًا، وإلحاحًا على سياقات أفرزتها حالة الثورة الفلسطينية وتفاعل الشاعر مع معطياتها.

ففي قصيدة "الجبل" يزاوج الشاعر بين لفظين يشكلان بؤرة الخطاب تشكيليًا ودلاليًا، يقول:

.. مثلاً، كان لدينا جبل

كان الجبل

طفلنا حينًا، وأحيانًا أبانا

وعلمنا بالمثل

لا جديد للذي ليس له أي قديم

فاحتفلنا بالذي ياما رعانا

ثم نام الجبل الشامخ في يوم عظيم

وأتانا جمل غير صبور

لا يحب الشعراء

قال بالصوت المقيت

بايعوني جبلاً يا أمراء

فضحكنا نحن لسنا أمراء

والجبل

وحدة يبقى فما معنى الجمل؟(32)

اللفظات المتكررة هما "الجبل"، "الجمل" صوتان متقاربان، ورمزان متفاوتا الدلالة، تردد الأول خمس مرات في هذا المقطع، وتردد الثاني مرتين لأن بؤرة الدلالة ترتكز في رمز "الجبل" ودليل ذلك أن عنوان النص قد صيغ باسمه. ويؤدي الجناس دوره في إيهام القارئ بتقارب دلالة اللفظين المترددين لكن السياق يدهشه فيدرك جدلية التناقض المطلق بينهما.

ثانيًا: دائرة العبارات:

لا تقاس القدرة التشكيلية للشاعر بإدراكه للقيمة الدلالية لترديد اللفظ فحسب، بل باتساق هذه الألفاظ في نسق تركيبي متناظر، تتردد فيه عبارات معينة وتفتح آفاق الاحتمالات الدلالية أمام القارئ.

ففي قصيدة "تلويحة" للشاعر" أحمد دحبور" يزاوج الشاعر بين ترديد عبارتين تتبادلان إشعاعات التوقعات الدلالية يقول:

كيف لي أن أقول الوداع؟

كيف لي أن أجالس دمع المعزي؟

وأنا ليس لي قمر من كلام وأرز

... لو قبلت بجوع الجياع

فهل كان لي أن أحلل خبزي؟

وإذن كيف لي أن أقول الوداع؟

... كل ما فعلوا

أنهم قتلوا

هل لكاتم صوت إذن أن يكمم هوج الرياح؟

... من سيوقف هذا الذي يصل؟

كل ما فعلوا

أنهم قتلوا

وأنا ما فعلت سوى أن أفقت من الموت

والسر ذاع

وإذن ليس لي أن أقول الوداع[33].

لقد بدأ الشاعر النص بواحدة من العبارتين **"كيف لي أن أقول الوداع"** سؤال قد لا يحمل جوابًا لكنه يمهد لعشرات الأجوبة والاحتمالات، ويحمل طاقة انفعالية تزداد تأججًا عندما يتكرر السؤال مع إضافة "وإذن" التي تنشئ بعدًا جديدًا يرسخ الدلالة، ثم يفاجئنا الشاعر بفاعلية النفي التي صنعها تغير بنية الترديد **"وإذن ليس لي أن أقول الوداع"**، وكيف يودع شاعرنا من تشابك معه في نسيج جدلية معطيات الفناء والبقاء. العبارة الأخرى المترددة **"كل ما فعلوا .. أنهم قتلوا"**، وفيها إلحاح على إبراز العلاقة الضدية المقابلة للدلالة المباشرة، فإذا تبادر إلى الذهن تهوين مسألة القتل فإن الدلالة الحقيقية التي يسهم الترديد في إنتاجها في تعظيم هذه الجريمة، ويبقى الغرض المجازي رهنًا بتأويلات القراءة.

سادسًا: الامتدادات الصوتية:

تلعب تحولات البنى الصوتية وأشكالها وتواليها دورًا هامًا في تشكيل الدلالة وتوجيه فاعلية الخطاب الشعري المعاصر، حيث تتمازج المتواليات الصوتية في إطار نظام صوتي تجريدي مع القيم التعبيرية للأصوات التي تنقسم إلى حروف، وعند ذلك تبني مقاربة النص صوتيًا ودلاليًا على مراعاة القيم العلاقية لحروف بعينها. وسوف نركز حديثنا على ما تشي به الامتدادات الصوتية من دلالات عبر تحليل الوحدات اللغوية الصغرى للنصوص وتبيان مدى توظيف الطاقات الإيحائية لأصوات المد؛ لأن حروف العلة تؤدي مهمة جليلة في اللغة حيث تعتبر أساسًا لقوة الإسماع، خاصة وأن أصل استخدام العربية المشافهة وأهم سمات شعرها الإنشاد إضافة إلى كونها عنصرًا ضروريًا في بناء نظامي النبر والتنغيم.

ففي قصيدة "الفتى المغني" يوظف دحبور الطاقات الإيحائية للمدود الثلاثة يقول:

سمعت الفتى المغني يغني كمن يطير

وبالعود يسكب الصوت

نجمًا من الحرير

صلاة من الأغاني

على قطعتي غمام

ولكنه على الأرض يسري ولا يسير[34].

في السطر الأول نلاحظ التجانس بين صوت الياء في الاسم والفعل "المغني"، يغني" من جهة والفعل "يطير" من جهة أخرى مع مناسبة المد بالياء للغناء والطيران، كما نلاحظ في السطر الثاني تناسب صوت المد بالواو بين لفظي "العود، الصوت" ودلالة هذا المد على الامتداد النغمي للعدد والسعة الكمية للصوت "المسكوب" ويبرز المد بالألف في الكلمات "صلاة، الأغاني، غمام" ليكمل الإطار الدلالي التعبيري لهذه اللوحة البديعة، فالصلاة اتصال ممتد مع الخالق سبحانه، والأغاني ترانيم تتعالى في الآفاق، والغمام مساحات واسعة في المدى.

الخاتمة والنتائج:

وخاتمة القول:

1- تمتلك لغة الشاعر طاقات تعبيرية عالية تتكثف فيها دلالات الألفاظ وتنفرد الكلمات بالإيحاءات الخاصة، فكل كلمة هي قطعة من الوجود أو وجه من وجوه التجربة الإنسانية.

2- وظف الشاعر تداخل النصوص توظيفًا أثرى سياقها فأعطت المتناصات التراثية زخمًا تعبيريًا للمعنى نتج عن تزامن البنيات مهما اختلف سياقها الزمني فأثرى ذلك الطاقة التأثيرية.

3- أظهرت الدراسة على مستوى تحليل المتناصات أن النص الشعري "لدحبور" بيئة حاضرة مفتوحة على الماضي ومتحركة نحو المستقبل وبذرة خصبة منتجة تحدد إطار الحضور الذهني والتداعيات التي تخلقها الدلالات التحويلية بين سيميولوجيا النص الغائب وما تؤول إليه في بنية النص الحاضر.

4- تميزت نصوص الشاعر – على مستوى التشكيل اللغوي المكاني – بتنوع التشكيلات الصياغية للكتابة المطبوعة والتحكم في مستواها الدلالي وذلك بتوظيف تنائية السواد والبياض وتقطيع الكلمات وتلوين النص بعلامات الترقيم للدلالة.

5- نجح الشاعر في توظيف دلالات الترديد اللغوي على مستوى الألفاظ والعبارات في إنتاج بني متماسكة وتكوينات تشكيلية أشبعت دوائر الخطاب دلاليًا وإيقاعيًا وديناميًا وإلحاحًا على سياقات معنوية خاصة.

6- اتحدت المتواليات المكانية والزمانية لأصوات المد في نصوص الشاعر مع صيرورة السياق المعنوي لتؤدي تحولات البنى الصوتية ودور أصوات المد في تشكيل الدلالة وتوجيه فاعلية الخطاب.

الهوامش:

(1) رجاء عيد: لغة الشعر، ص95.

(2) عزالدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص154.

(3) أحمد دحبور: ديوان حكاية الولد الفلسطيني، ص86.

(4) أحمد دحبور: ديوان شهادة بالأصابع الخمس، ص31.

(5) نفس المصدر، ص114.

(6) محمد برادة: الأدب وبوطيقا المجهول، ص292.

(7) أحمد دحبور: ديوان شهادة بالأصابع الخمس، ص196.

(8) سورة مريم: الآية 25:22.

(9) أحمد دحبور: ديوان حكاية الولد الفلسطيني، ص196.

(10) عزالدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص31.

(11) أحمد دحبور: حكاية الولد الفلسطيني، ص286.

(12) سورة الحجرات: الآية 12.

(13) رجاء عيد: لغة الشعر، ص301.

(14) أحمد دحبور: ديوان حكاية الولد الفلسطيني، ص 123.

(15) نفس المصدر، ص 77.

(16) عمرو بن معد يكرب: الديوان، ص66.

(17) رجاء عيد: القول الشعري، ص116.

(18) أحمد دحبور: حكاية الولد الفلسطيني، ص 161.

(19) جرير: الديوان، ص94.

(20) أحمد دحبور: ديوان حكاية الولد الفلسطيني، ص 201.

(21) الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص104.

(22) محمد السرعيني: محاظرات في السميوطيقا، ص113.

(23) أحمد دحبور: ديوان كسور عشرية، ص100.

(24) أحمد دحبور: ديوان شهادة بالأصابع الخمس، ص9.

(25) نفس المصدر، ص25.

(26) أحمد دحبور: ديوان كسور عشرية، ص25.

(27) أحمد دحبور: ديوان شهادة بالأصابع الخمس، ص31.

(28) أحمد دحبور: ديوان "هكذا"، ص390

(29) أحمد دحبور: ديوان شهادة بالأصابع الخمس، ص 121،122.

(30) محمد عبد المطلب: هكذا تكلم النص، ص67

(31) نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ص264.

(32) نفس المصدر، ص96.

(33) أحمد دحبور: ديوان هكذا، ص236.

(34) أحمد دحبور: ديوان كسور عشرية، ص96.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1- دحبور، أحمد، ديوان حكاية الولد الفلسطيني، دار العودة، بيروت، 1971م.
2- دحبور، أحمد، ديوان شهادة بالأصابع الخمس، بيروت، دار العودة، 1982م.
3- دحبور، أحمد، ديوان هكذا، بيروت، دار الآداب، 1990م.
4- دحبور، أحمد، ديوان كسور عشرية، دمشق، الأهالي، 1992م.
5- دحبور، أحمد، ديوان هنا وهناك، عمان، دار الشروق، 1997م.

ثانيًا: المراجع:

1- ابن عطية، جرير، ديوان جرير تحقيق: محمد إسماعيل الصاوي، بيروت، دار الأندلس، (د.ت).

2- إسماعيل، عزالدين، الشعر العربي المعاصر، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط5، 1992م.

3- برادة، محمد، الأدب وبوطيقيا المجهول، دار البسام، بيروت، 1992م.

4- الزوزني، حسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، بيروت، دار الجيل، 1979م.

5- السرغيني، محمد، محاضرات في السيميولوجيا، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1987م.

6- عبد المطلب، محمد، هكذا تكلم النص، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.

7- عيد، رجاء، القول الشعري، مصر، دار المعارف، 1990م.

8- عيد، رجاء، لغة الشعر، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1985م.

9- الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، بيروت، دار العلم، 1983م.

10-يكرب، عمرو بن معد، الديوان تحقيق: مطاع الطرابيشي، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1974م.

ثالثًا: الدوريات:

1- مجلة الكرمل: فلسطين، مؤسسة الكرمل الثقافية، 1997م.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

ميمية المُرقِّش الأصغر
قراءة في البناء الفني والأسلوب البلاغي

أ.د.عبد الكريم حسين رعدان *

الملخص:

هذا البحث قراءة فنية بلاغية لميمية المرقش الأصغر، وهي إحدى القصائد الجاهلية القديمة نسبيا، وشاعرها من قدامى الشعراء الجاهليين، وفي شعره روح الزمان، وعبق المكان، وقد وُصِفَ بأنه أشهر عشاق العرب وفرسانهم. وتكمن أهمية القصيدة في جانبين؛ الأول: في بنائها الفني، واتسام مفرداتها بالصلابة، وتماسك تراكيبها، ومعانيها الفخمة، وجاء موضوعها الغزلي في نمطها الخاص المغاير للقصائد الجاهلية الطوال. والثاني في ارتباطها ببيئتها، وتمثيلها للفترة الزمنية التي قيلت فيها، ولصوقها بطبيعة شاعرها. حيث كانت الفكرة الرئيسة فيها هي لوم الذات والندم نتيجة خيانة المحبوب، وقد جعل الشاعر من ذاته مخاطبا معنيا بخطابه، فثمة عاطفة عارمة تسيطر على بنية نص القصيدة في شقه الشعوري، بينما أتى الجانب الفكري مشتتا على مساحات النص، وممتزجا بالحكمة وتجارب الحياة، مرتسما فيه منحىً عقلي مع مشاعر الحب، وسذاجة العلاقات وفطريتها بين المحبين في ذلك العصر.

الكلمات المفتاحية (قصيدة، المرقش الأصغر، الفني، الأسلوب، البلاغي).

* رئيس قسم اللغة العربية – كلية التربية بالمهرة – جامعة حضرموت –اليمن

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

Technical and Rhetorical Reading of the Mimiat Al-Marqash the Smaller

Dr. Abdulkareem Hussein Ali Ra'adan

Abstract:

This research is a rhetorical study of the disciples of the Mimiat Al-Marqash the smaller, which is one of the relatively ancient pre-Islamic poems. The poet is one of the ancient pre-Islamic poets, and in his poetry the spirit of time and the fragrance of the place, has been described as the most famous Arab lover and their knight. The importance of the poem lies in two aspects. The first is in its artistic construction, its vocabulary is solid, the consistency of its structures, and its luxurious meanings. Its flirtatious theme came in its own style that contrasts with the long pre-Islamic poems.

The second is in its relation to its environment, its representation stops the time in which it was said, and its affinity with the nature of its poet. Where the main idea was to blame the self and regret the betrayal of the beloved, and the poet made himself an addressee concerned with his speech. There is a strong emotion that dominates the structure of the text of the poem in the emotional apartment, while the intellectual side came dispersed over the areas of the text, mixed with wisdom and life experiences, setting a mental trend in it with feelings of love, and the naivety of relationships and their innateness among the lovers of that era.

Key Words: Poem, Little Mottled, Artistic, Style, Rhetoric

مقدمة:

لعل من أهم أسباب إعجاب العرب القدماء بالشعر هو ما يتسم به من لغة رصينة، وبلاغة راقية، وأسلوب لساني فخم، ولذلك وصفوه بقولهم: "الشعر ميزان القول أو ميزان القوم"[1]. فكان الشاعر -بفطرته وسليقته- حكيما أو في مقام الحكيم؛ يفلسف للحياة

والذات، ويسجل المآثر، ويستفز العواطف، ويبهج النفوس، وفق رؤية شاملة للحياة والأشياء وبتفصيلات دقيقة، "فالشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في بواديها، وتسل به الضغائن من قلوبها"[2]. وميمية المرقش الأصغر إحدى القصائد الجاهلية القديمة نسبيا، وتكمن أهميتها في شقين؛ الأول في بنائها الفني، ونمطها المغاير للقصائد الجاهلية الطوال. والثاني في ارتباطها ببيئتها، وتمثيلها للفترة الزمنية التي قيلت فيها، ولصوقها بطبيعة شاعرها، وعلاقتها بالحدث الملابس لآنيتها.

إن أهمية هذه القصيدة تتبدى في خشونتها اللغوية، وإيغالها في حقبتها الزمنية، وقسوة بيئتها التي عاشها الشاعر، في حياة الصحراء، وملازمة الرعي ومطاردة الأغنام، وما يكتنفها من حكايات الرعاة، وقصص المعاناة العاطفية والوجدانية التي كانت مادة فنية لتجربة الشاعر وفكرته.

لم أجد دراسة وقفت على القصيدة بشكل مخصوص، عدا دراسة واحدة حول المرقش الأصغر وشعره بشكل عام، وهي رسالة ماجستير مخطوطة بعنوان: "المرقش الأصغر حياته وشعره"[3]، لعبد الرحمن فضل أحمد، جامعة الخرطوم، 2005م. وتقع في مائة وأربعة وثلاثين صفحة، تناول الباحث فيها حياة الشاعر ونشأته وعصره، وذكر أغراض الشعر والصورة والموسيقى، غير أنه لم يتناول القصيدة التي بين أيدينا إلا في إشارة مقتضبة إلى بضع أبيات منها، ضمن تناوله لموضوعات شعر المرقش الأصغر.

إن هذا البحث يهدف لقراءة هذه القصيدة قراءة تحليلية؛ لبنيتها الفنية، واستقراء أسلوبها البلاغي، ووصف إمكاناتها التأثيرية والإمتاعية.

وستكون الدراسة في شقين مبدوءة بتمهيد؛ سيتناول التمهيد تعريفًا بالشاعر وحياته، وفي الشق الأول: سيتناول البناء الفني في القصيدة، والشق الثاني سيتناول أسلوبها البلاغي.

تمهيد:

المُرقِّش الأصغر: ترجمته وحياته

لم تذكر المصادر سوى معلومات قليلة حول المرقِّش الأصغر– بكسر القاف وتضعيفها– هو على الأرجح "ربيعة بن سفيان بن سعد"[4]، فهناك تضارب لدى العلماء والمؤرخين في شخصية ونسب المرقِشَين؛ الأصغر والأكبر، يقول ابن رشيق: "ومنهم المرقشان؛ الأكبر منهما عمّ الأصغر، والأصغر عم طرفة بن العبد، واسم الأكبر عوف بن سعد، وعمرو بن قميئة ابن أخيه، ويقال: إنه أخوه، واسم الأصغر عمرو بن حَرْملة، وقيل: ربيعة بن سفيان"[5].

وبعيداً عن ذلك الخلاف فالمرقش الأصغر شاعر جاهلي قديم، من أهل نجد كان أجمل الناس وجها، ومن أحسنهم شعرًا، ويعد أشعر المرقشين وأطولهم عمرًا وأشهر عشاق العرب المشهورين وفرسانهم المعدودين. كانت له مواقع في بكر بن وائل وحروبها مع تغلب[6]. ويرى ناصر الدين الأسد أن "المرقش الأصغر كان راوية عمه المرقش الأكبر، وطرفة راوية عمه المرقش الأصغر"[7]. ونقلت المصادر أنه كان متيما بفاطمة بنت الملك المنذر، حتى قيل أنه قطع إبهامه بأسنانه ندما، بعد أن أفشى سرّه معها لصاحبه جناب، ويقال في المثل: "أتيم من المرقش"[8]. وهو من المقلين، وشعره يتصف بالقوة والمتانة "ويغلب عليه الغزل، وهو أكثر صقلا، وأقرب مطابقة لأسلوب المتأخرين"[9]. ويرى بعض علماء الأدب أن قصائده الغزلية القليلة تمتزج بالرثاء[10].

أما قصيدة المرقش الأصغر الميمية فهي قصيرة بالقياس إلى مثيلاتها من المطولات الجاهلية وقصائد المعلقات[11]، إذ تتكون من ستة وعشرين بيتاً، ويعد حجمها – من الناحية الفنية– مؤشراً على عدم الإضافات والزيادة في أبياتها من قبل الرواة كما في بعض القصائد[12]، فقد وردت في عدد من المصادر دون اختلاف في الألفاظ، واقتصر الخلاف في زيادة بيتين في نهايتها[13]. ويبدو ثمت تقديم وتأخير في أبياتها من حيث ترتيبها والتئامها الموضوعي، ولا يستبعد أن يكون ذلك من أغلاط الرواة، فالبيت الثاني حقه التأخير، كما أن البيت الذي يقول فيه: ألا حبذا وجه ترينا... يلزم أن يقدم ليكون بعد البيت الخامس "صحا قلبه..." لتتلاءم الدلالة مع السياق.

وبالنظر إلى زمنية القصيدة فإنها تمثل مرحلة النضج الذي بلغه الشعر الجاهلي لحظتذاك، ويبدو ظرفها حدثًا استثنائيًا؛ لارتباطها بقصة عشق تحكي حادثة قد تبدو المبالغة فيها، ومع ذلك ففيها حيثيات تشير إلى أن عشق المرقش الأصغر وغرامه بفاطمة بنت المنذر تبدو واقعية إلى حد ما، وقد ذكر صاحب الأغاني وغيره تلك الحادثة، وخبر المرقش مع صاحبته، وذكر إفشاء السر لصاحبه وحَلْفه وخيانته، وواضح من هذه القصة التي أوردها الأصفهاني[14] أنها تميل إلى البعد الأسطوري[15]، ولا يستبعد أن يكون من نسج الرواة.

ثم إن وجود هذه المناسبات الآنية التي تحكي قصة القصيدة بشكل أسطوري لا تعني أن الشعر الجاهلي أسطوريا، فالشعراء الجاهليون لم يسعوا وراء الأساطير، ولعل جوانب من إشارات المرقش الأصغر في قصيدته لها صلة بأحداث حقيقية[16]، تؤيد وجود صلة ما بين الشاعر وفاطمة بنت المنذر، إن كانت هي المعنية في القصيدة.

أولاً: البناء الفني في القصيدة

سأقف في هذا الجانب على قراءة البناء الفني للقصيدة، بداية بشرح معانيها وتحليل نصها، واستقراء نمطها على ضوء مقدمتها، ومقاربة نمطها بنمط القصائد الجاهلية، والنظر في مفرداتها وبنيتها التركيبية.

نص القصيدة وشرحها(17):

أَلا يا اسْلَمِي لا صُرْمَ لِي اليومَ فاطِما ... ولا أَبَداً ما دامَ وَصْلُكِ دائِما(18)

رَمتْكَ ابْنَةُ البَكْرِيِّ عَنْ فَرْعِ ضالَةٍ ... وهُنَّ بِنا خُوصٌ يُخَلْنَ نَعائِما(19)

تَراءَتْ لَنا يومَ الرَّحيلِ بِوارِدٍ ... وعَذْبِ الثَّنايا لم يَكُنْ مُتَراكِما(20)

سَقاهُ حَبِيُّ المُزْنِ في مُتَهدِّلٍ ... مِنَ الشَّمسِ رَوَّاهُ رَباباً سَواجِما(21)

أَرَتْكَ بِذاتِ الضَّالِ منها مَعاصِماً ... وخَدّاً أَسِيلاً كالوَذِيلَةِ ناعِما(22)

صحا قَلْبُهُ عنْها عَلى أنَّ ذِكْرَةً ... إذا خَطَرَتْ دارتْ به الأرضُ قائِما(23)

تبَصَّرْ خَلِيلي هل تَرى مِنْ ظَعائِنٍ ... خَرَجْنَ سِراعاً واقْتَعَدْنَ المَفائِما(24)

تَحَمَّلْنَ مِنْ جَوِّ الوَرِيعةِ بَعْدَ ما ... تَعالى النَّهارُ واجْتَزَعْنَ الصَّرائِما(25)

تَحَلَّيْنَ ياقُوتاً وشَذراً وصيغَةً ... وجَزْعاً ظَفارِيّاً ودُرّاً تَوائِما(26)

سَلَكْنَ القُرى والجزْعَ تُحْدى جِمالُهُمْ ... ووَرَّكْنَ قَوّاً واجْتَزَعْنَ المَخارِما(27)

أَلا حَبَّذا وَجْهٌ تُرِينا بَياضَهُ ... ومُنْسَدِلاتٍ كالمَثانِي فواحِما(28)

وإنِّي لأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ جائِعاً ... خَمِيصاً وأستحيي فُطَيْمَةَ طاعِما(29)

وإنِّي لأَسْتَحْيِيكِ والخَرْقُ بَيْنَنا ... مخافَةَ أَنْ تَلْقَيْ أَخاً لِيَ صارِما(30)

وإنِّي وإِنْ كَلَّتْ قَلُوصِي لَراجِمٌ ... بِها وبنَفْسي يا فُطَيْمَ المَراجِما(31)

أَفاطِمَ إنَّ الحُبَّ يَعْفُو عن القِلى ... ويُجْشِمُ ذا العِرْضِ الكرِيم المَجاشِما[32]

الا يا اسْلَمي بالكَوْكَبِ الطَّلْقِ فاطِما ... وإنْ لم يَكُنْ صَرْفُ النَّوى مُتَلائِما[33]

ألا يا اسْلَمي ثمَّ اعْلَمِي أَنَّ حاجَتِي ... إليكِ فَرُدِّي مِنْ نَوالِكِ فاطِما

أَفاطِمَ لَوْ أَنَّ النِّساءَ بِبَلْدَةٍ ... وأَنْتِ بأُخْرَى لاتَّبَعْتُكِ هائِما

متى ما يَشأْ ذُو الوُدِّ يَصْرِمْ خَلِيلَهُ ... ويَعْبَدْ عليهِ لا مَحالَةَ ظالِما[34]

وآلى جَنابٌ حِلْفَةً فأَطعْتَهُ ... فَنفْسَكَ وَلِّ اللَّوْمَ إنْ كُنْتَ لائِما[35]

كأَنَّ عليه تاج آلِ مُحَرِّقٍ ... بِأَنْ ضَر مَوْلاهُ وأَصْبَحَ سالِما[36]

فمن يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ... ومن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائِما[37]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْء يَجْذِمُ كفَّهُ ... ويَجْشَمُ مِنْ لَوْمِ الصَّدِيقِ المَجاشِما[38]

أَمِنْ حُلُمٍ أَصْبَحْتَ تَنْكُتُ واجِما ... وقَد تَعتَرِي الأَحلامُ مَنْ كانَ نائِما[39]

أخوك الذي إنْ أَحْرَجَتْكَ مُلِمَّةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ لم يَبْرَحْ لها الدَّهْر واجما[40]

وليس أَخوك بالذي إنْ تَشَعَّبَتْ ... عليكَ أمورٌ ظلّ يلحاك دائما[41]

نمط القصيدة ومقدمتها الغزلية:

سارت القصيدة الجاهلية -عموما- وفق نمط فني محدد في مقدمتها وفي قالبها الشكلي، وهي بصورة أوضح في المطولات الشعرية كالمعلقات، إذ اتسمت -أي القصيدة الجاهلية- بتآلفها اللفظي والإيقاعي، وتنوع موضوعاتها، وتعدد أفكارها التي لا تخلو من علاقات معينة تربطها وغرضها العام، فالشعر الجاهلي وصفوه بأنه "كامل الصياغة؛ فالتراكيب تامة ولها دائمًا رصيد من المدلولات تعبر عنه، وهي في الأكثر مدلولات حسية، والعبارة تستوفي أداء مدلولها، فلا قصور فيها ولا عجز، وهذا الجانب في الشعر الجاهلي يصور رقيًّا لغويًّا"[42].

إن ميمية المرقش الأصغر –هذه- واحدة من القصائد الجاهلية الأقدم إلى حد ما، إذ يجد القارئ نصها نفسه ماثلا أمام آنها الزماني والمكاني، مدركا عمق الأحداث وتظهر فيها حياة نابضة متفاعلة. وقد لقيت ارتياحا فنيا لدى جمهور الشعر من العرب الأُوُل ورواته[43]، شأنها شأن الشعر الجاهلي، إذ كانوا يرون فيه صورة لأفكارهم الساذجة والجادة، فضلا عن كونه تعبيرًا عن حياتهم الفكرية والعاطفية.

غير أن هذه القصيدة لم تلتزم النمط الفني الذي درجت عليه القصائد الجاهلية، وخاصة في المقدمة، فالشاعر لم يتحدث عن مألوف الطلل والديار والوقوف، إلا في إشارات سريعة، ولعل السبب يعود إلى طبيعة القصيدة نفسها، فالنص فيها موجز في حادثته، والروابط والمتعلقات الإسنادية قليلة ونادرة لندرة في التفاصيل.

وإلى حدً ما فبداية القصيدة جاءت بداية غامضة، نجد فيها غزلا مشوبا باهتزاز الشاعر النفسي، مُخْفِياً قطيعة وندما يُستوحى من مطلعها، وتؤكده أبيات لاحقة عديدة، وهذه البداية وبدايات القصائد الجاهلية – عموما- مهمة فنيا، فهي "جسر المتلقي ومنفذه الى عالم التجربة التي بعثت الشاعر على قول القصيدة برمتها"[44].

إن المرقش الأصغر لم يمعن في بداية الانطلاق والرحلة نحو المحبوبة، بل أخذ يدعو لحبيبته بالسلامة والدوام، منوها إلزام نفسه الوفاء لها، ما دام وصلها قائما، فحياها تلطفاً وتوددا ومؤكداً أن وصلها سيستمر ولن ينقطع.

أَلا يا اسْلَمِي لا صُرْمَ لِي اليومَ فاطِما ولا أَبَـداً مـا دامَ وَصـلُكِ دائِـما

والمطلع هنا يحمل عنفوانا وجدانيا، ومشاعر هائجة، واضطرابًا شعوريًا، فأسلوب النداء الذي وقع على الفعل "اسلمي" يستوعب أكثر من معنى، ولا يقتصر على تفسيره النحوي[45] في

قوله: "ألا يا اسلمي"، فهو نداء يسبقه تنبيه بمثابة صرخة يطلقها الشاعر بنفسية مضطربة – سواء كان هذا التقدير على الحذف أو غيرها– ففخامة المطلع وقوته الملفتة بفخامة أسلوب الاستفتاح الملتصق بنداء الفعل. وهو من الأساليب النادرة في مطلع القصائد الجاهلية. ويوحي بعاطفة حب عميقة سيطرت على الذات الشعرية للشاعر، كما أن ألم التمنع من محبوبته جعلته في هيام دائم، ويمكن القول أن الشاعر لم يقطع الصلة بالفنيات الطللية بشكل كامل فنجد إشارات قصيرة للناقة والحيوان والرحلة، وهناك قصائد جاهلية لم تلتزم بمقدمات طللية واحدة، وبدأت بالغزل وأخرى بالفخر والطيف وغيرها(46)، وهذه الإشارات الفنية لدى المرقش ذكرها حيثيات أرادها لسفره المفترض نحو الحبية نائية الديار:

رَمتْكَ ابْنَةُ البَكْرِيِّ عَنْ فَرْعِ ضالَةٍ وهُـنَّ بِنـا خُـوصٌ يُخَلْـنَ نَعـائِما
تَـراءَتْ لَنـا يـومَ الرَّحيـلِ بِـوارِدٍ وعَـذْبِ الثَّنايـا لم يَكُـنْ مُـتَراكِما
سَـقاهُ حَبِـيُّ المُـزْنِ فـي مُتَهـدِّلٍ مِـنَ الشَّـمسِ رَوَّاهُ رَبابـاً سَـواجِما

لقد سيطرت على الشاعر الذات العاشقة منذ البداية، ويظهر ذلك في وصف الحبيبة وصفا يوحي ببعدها وعلو منالها، وتمنعها:

أرَتْكَ بِذاتِ الضَّالِ منها مَعاصِماً وخَـدّاً أَسِيـلاً كالـوَذِيلَةِ نـاعِما
صـحا قَلْبُـهُ عنْهـا عَلـى أنَّ ذِكْـرَةً إذا خَطَـرَتْ دارتْ بـه الأرضُ قـائِما

إن غزل الشاعر هنا يقوم على وصف الحبيبة وصفا تقليديا، كما هو شأن الجاهليين الشعراء، إذ "يقوم أكثر الغزل الجاهلي على الوصف والتشبيب؛ وأقله ما جاء قصصياً يحمل ذكريات المغامرات الغرامية يتخللها الحوار. وليس الغزل عند شعراء الجاهليين فنا مستقلاً

برأسه، وإنما هو غرض من الأغراض المتعددة التي تشتمل عليها قصيدتهم، ولكن له حق الصدارة يستهل به ثم ينتهي منه الى غيره. ويكون الغزل في العصر الجاهلى بصورة البساطة والبعد عن التكلف وعلى رغم إكثار الشعراء في الغزل واشتهاره لم يكن الغزل فنا مستقلا "[47].

ويأتي الغزل في بواطن الحكمة والعتاب والندم، كما كرر الشاعر اسم محبوبته ست مرات وهذا يؤكد أن الشاعر قصد اسمها –حقيقة- ولم يكن استخداما رمزيا كما في كثير من أسماء الخليلات لدى الشعراء الجاهليين الذين يرمزون للمحبوبة بليلى وسلمى وفاطم وغيرها.

لغة القصيدة:

تتفاعل مفردات القصيدة في السياق النصي ضمن اشتقاقات خاصة، غير مألوفة في الشعر الجاهلي أو قليلة الاستعمال، وعلى سبيل المثال نجد المفردات: (اجتزعن، ورَّكْنَّ، والمفائم، والمراجم، المجاشم، يلحاك) تشير إلى فطرية القصيدة، ولصوقها بالشعر المطبوع، وقد قيل في المرقش الأصغر بأنه "أشعر أهل الْجَاهِلِيَّة "[48].

ومثل تلك المفردات –بصيغها الاشتقاقية- تنحاز بالقصيدة إلى الجانب الحركي، وهي تعمل ضمن جمل فعلية–على الأكثر- بوصفها موشراً لأحداث التجربة الشعرية، ويسندها الفعل بزمنه الماضي الذي غلب على النص، كما توزعت الأفعال بين التعدي واللزوم، إذ الفعل اللازم يوحي بعدم الحاجة لذكر المفعول كونه مشهورا ولا يحتاج لظهور[49]، أما الفعل المتعدي فيأتي لتوضيح المعنى وتوسيع الدلالة وتفصيل الحدث من حيث الحال والمكان والزمان

ونحوها[50]، وهذه التشكيلة أكسبت النص فخامة وقوة نتيجة استدعاء دلالة الفاعلية والمفعولية كما في: (رمتك، تراءت، يجذم، أحرجتك، يحمد، تعتري)، ونحوها. ففي قوله:

تَحَمَّلْنَ مِنْ جَوِّ الوَرِيعةِ بَعْدَ ما تَعالى النَّهارُ واجْتَزَعَنْ الصَّرائِما

نجد الأفعال الثلاثة: (تحملّن، تعالى، اجتزعن) صيرت المعنى ممتدا في بعده الأفقي، إذ الزمن المتواصل والتعب والحركة، وهذا المعنى متسق مع الكلمات والروابط الأخرى بجانب ما يحتويه من ملمح جمالي .

ونجد مفردات أخرى اشتقاقها يوحي ببعد الحبيبة عن الشاعر؛ في الواقع وفي الشعور، منها: (تراءت لنا، لاتبعتك هائما، كلّت، المراجم، الخرق، المخارم، لراجم بها وبنفسي)، فهي تحمل لهف الشاعر ورغبته الشديدة في الوصول إلى مكان الحبيبة مهما حصل له من تعب ومشقة.

كما نجد مفردات أخرى توحي بلوم الشاعر لذاته، وعتابه لنفسه، وإحساسه بالألم والندم والحسرة على العشق الضائع كما في: (صحا قلبه، أستحيي، لاستحييك، مخافة، يعفو، القلى، فردي، اتبعتك، اللوم، ضر، يغو، يجذم، تنكت، واجما)، فهذه المفردات توحي بشكل مباشر إلى عمق الأثر النفسي لدى الشاعر ومعاناته، نتيجة وقوعه في خيانة محبوبته.

الإيقاع:

يقوم الإيقاع – في الغالب– على عنصرين بارزين، هما؛ الوزن، وبنية الكلمة وتراكيب الجملة داخل النص، وفي القصيدة العمودية –وبالذات الجاهلية– نجد الوزن هو الأساس الفاعل والمسؤول عن إيقاع القصيدة وإبراز جمالها، يقول ابن طباطبا: "وللشعر الموزون إيقاع

يطْرَبُ الفهم لصوابه"[51]. وذلك بوصفه "مجموعة التفعيلات التي يتألَّف منها البيت، وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية في معظم الأحيان"[52].

وحين يتحد الوزن مع السياق العام، يتولد جمال النص ومتعته، ولكل وزن عروضي قيمته الفنية، فبحر الطويل الذي جاءت عليه القصيدة من الأوزان الطويلة الفخمة، يأخذ بتفعيلاته المزدوجة المكرورة في البيت الواحد مساحة واسعة للحديث، وفيها يتسع التعبير لمعان ودلالات متنوعة، وقد أتاح للشاعر بث معانيه وافية، وعبر عن تجربته الشعورية بنفس أطول، كما منح القصيدة موسيقى هادئة طويلة النغمات، متلائمة مع الحب وما صاحبه من هم الشاعر وشعوره الوجداني، ومكنه من الاعتذار الضمني لحبيبته، ومنحه القدرة على الحديث عن الحكمة المستوحاة من تجربة فعلية عاشها الشاعر في حياته، فالوزن الشعري يرتبط في علاقات متظافرة مع موضوعه، "ومن تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان، ووجد الافتنان في بعضها أعم من بعض، فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط ... فالعروض الطويل تجد فيه أبدا بهاء وقوة"[53].

وتتظافر القافية مع الوزن في علاقة متماسكة، فهي "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية"[54]، فروي الميم المطلقة أعطى دفقة إيقاعية تنمو بشكل أفقي، فيه فخامة وتناسب دلالي مع الفكرة التي تعالجها القصيدة، أضف إلى ذلك مجيء كلمات القافية على وزن (فاعل) أو (مفاعل) أكسبها قوة إيقاعية وطلاقة وامتدادا أفقياً في الموسيقى.

ويأتي حرف الميم في المرتبة الأولى ليعزز الحضور الإيقاعي والبعد الترنمي الناتج من كون (الميم) حرفاً شفهياً ينحبس معه الهواء في الفم، فيعطي رنينا إيقاعيا، متعاضدا مع الروي.

كما أن الميم من الحروف الذلقية بوجوده في بنية الكلمة يعطي ذوقا جماليا، ومن ثم يضفى للقصيدة طابعا نفسيا يوحي بالندم والألم واللوم.

بينما العنصر الثاني نراه في مفردات القصيدة المختارة ذات البناء المدي، الدال على المبالغة والمشاركة والتفاعل، كما أن بنية الجملة فيها تحمل الفخامة الأسلوبية، ويجعلها في سياقات راقصة غنائية.

إن هذه القصيدة كغيرها من القصائد الجاهلية "تمتلك طاقة موسيقية هائلة، فهي إلى جانب الإيقاع العروضي المتمثل في الوزن والقافية، تعتمد على الطاقات والإمكانات اللغوية في تجسيد التكامل الموسيقي للنص الشعري"(55).

ثمت عناصر لغوية أخرى أسهمت في إنتاج هذا الإيقاع الفخم، تمثلت في توزيع الأصوات الصوائت مع الصوامت، داخل المفردات نفسها، وكذا نوعية المفردات وموقعها في النص وتوزيعها بشكل متناسق.

ونجد عددا قليلا من المحسنات البديعية في القصيدة، شكلت رافدا إيقاعيا مهما، كما في حسن التقسيم في قوله:

تَحَـلَّيْنَ ياقُوتـاً وشَـذراً وصِيغَـةً وجَزْعـاً ظَفَـارِيّاً ودُرّاً تَوائِـما

وكذا الطباق الدلالي بين فعل الخير والغواية في قوله:

فمـن يَلْـقَ خَـيْراً يَحْمَـدِ النَّـاسُ أَمْـرَهُ ومـن يَغْـوِ لا يَعْـدَمْ عـلى الغَـيِّ لائِـما

مما جعل العديد من النقاد يثنون على هذا البيت ويستشهدون به على دلالته المبتكرة، فقيل: بأن هذا البيت الشعري نادر(56).

ثانياً: الأسلوب البلاغي في القصيدة

البلاغة والإبلاغ:

وظيفة البلاغة إتمام عملية الإبلاغ، وإبلاغ الكلام إيصاله إلى نهايته وغايته(57)، في ذهن المتلقي، وهذا ما يؤكده القدماء في أن البلاغة تسعى إلى "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"(58)، ومن ناحية لغوية يقولون بأنها "حُسْنُ الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد"(59). ويأتي الأدب – بشقيه شعرا ونثرا – ليكون ميدان البلاغة الأوسع، إذ تسعى لضبط سياقه الجمالي، وهي التي تتولى شأن النص وبنيته في يد الملقي أو المبدع، وتشكَّله في صوره الفنية المبنية على الأطر المعيارية السليمة، بعد ذلك ينتقل النص فيتواصل مع المتلقي، حاملا معه فكرة الملقي ومراده، وهنا تراعى قواعد عدة تربط ما بين قدرة المبدع لحبك النص واستعداد المتلقي للقبول والاستيعاب، فيحدث النص تأثيره وأداء وظيفته في الإبلاغ والإقناع حيث: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"(60). ويمكننا رصد الأساليب البلاغية في ميمية المرقش الأصغر من خلال تحولات الخطاب، وتنوع الأسلوب، وتكرار أسلوب التنبيه والصورة، ووحدة الموضوع .

تحولات الخطاب:

أعني بتحولات الخطاب التنقل بين أسلوب وآخر؛ كالالتفات من صيغ المتكلم إلى الغائب وإلى المخاطب، ودلالة الالتفات تتشمل في كونه وحدا من أساليب الانزياح، فيجعل بنية النص بنية ملبسة على القارئ وتضليلية، يشترك فيها اللغة والأسلوب والدلالة، وحين

يتواجد في اللغة الشعرية يشكل عامل جذب للمتلقي[61]، كما أن "مفهوم الالتفات يشير إلى ما يحدث في بنية الخطاب الأدبي من حيث الانتهاك، أو الانحراف في النسق اللغوي"[62]، فنجد الشاعر يقول:

وإنِّي لأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ جائِعاً خَمِيصاً وأستحيي فُطَيْمَةَ طاعِما

فهو يتحدث عن حبيبته ويكرر في الشطر الثاني، ثم يتحول سريعا للخطاب المباشر:

وإنِّي لأَسْتَحْيِيكِ والخَرْقُ بَيْنَنا مخافَةَ أَنْ تَلْقَيْ أَخاً لِيَ صارِما

كما أن في البيت السابق مطابقة تضادية حين استحياء الشاعر لفطيم جائعا وطاعما، لتبدو قوة الصياغة وفخامة الأسلوب.

ويستمر الالتفات في معظم أبيات القصيدة فهو يخاطب نفسه، ثم يخاطب المقابل، في إطار خطاب الذات، يقول:

وآلى جَنابٌ حِلْفَةً فأَطَعْتَهُ فَنفْسَكَ وَلِّ اللَّوْمَ إِنْ كُنْتَ لائِما

وهذه التحولات توحي بتفكك في الجانب النفسي، فالشاعر المعذب غير مستقر في وجدانه، ومضطرب في مشاعره فجاءت القصيدة مرتبكة في خطابها فلا تكاد تستقر على خطاب إلا وتتحول إلى آخر، في إشارة إلى تأزم الشاعر وارتباكه في لوم ذاته التي أخلت بقضية عشقه.

تنوع الأسلوب (الخبري والإنشائي):

ونلحظ في القصيدة الإكثار من الأسلوب الخبري؛ حيث استولى على مساحة واسعة من فقراتها. وميل الشاعر إلى الوصف والإخبار، واستخدام الجمل الفعلية والاسمية في أوصافه

دليل على غرض الشاعر في إبلاغ الآخر وإعلامه بقضيته، وهي في ذات الوقت إبلاغ للذات التي تعاني من العشق والهجر وألم خيانته لحبيبته.

كما يؤكد الشاعر تلك الجمل الأخبارية وخاصة وهو يحاول أن يسوق التبريرات لندمه أو لحبه وعشقه حين تتكرر إن الناسخة ثلاث مرات مع ضمير المتكلم وهو اسم إن:

وإنِّي لأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ جائِعاً ... خَمِيصاً وأستحيي فُطَيْمَةَ طاعِما

وإنِّي لأَسْتَحْيِيكِ والخَرْقُ بَيْنَنا ... مخافَةَ أَنْ تَلْقَيْ أَخاً لِيَ صارِما

وإنِّي وإِنْ كَلَّتْ قَلُوصِي لَراجِمٌ ... بِها وبنَفْسِي يا فُطَيْمَ المَراجِما

ولجأ الشاعر للأسلوب الإنشائي في بعض الأبيات لحاجة شعورية مرتبطة بالذات ولتأكيد حبه وثبات عاطفته، وبالذات في أسلوب النداء، كما في قوله:

أَفاطِمَ إنَّ الحُبَّ يَعْفُو عن القِلى ... ويُجْشِمُ ذا العِرْضِ الكرِيم المَجاشِما

أَفاطِمَ لَوْ أَنَّ النِّساءَ بِبَلْدَةٍ ... وأَنْتِ بأُخْرَى لاتَّبَعْتُكِ هائِما

ويأتي أسلوب الاستفهام لتوبيخ النفس وعتابها والندم كما في قوله:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْءَ يَجْذِمُ كفَّهُ ... ويَجْشَمُ مِنْ لَوْمِ الصَّدِيقِ المَجاشِما

أَمِنْ حُلُمٍ أَصْبَحْتَ تَنْكُتُ واجِما ... وقَد تَعتَرِي الأَحلامُ مَنْ كانَ نائِما

ويستخدم الاستفهام التقريري في معرض حديثه حول فكرة الصداقة متحدثاً عن أحلام اليقظة التي كان يستغرق فيها كلما ألمّت به ذكرى حبيبته(63):

أَمِنْ حُلُمٍ أَصْبَحْتَ تَنْكُتُ واجِما ... وقَد تَعتَرِي الأَحلامُ مَنْ كانَ نائِما

أسلوب التنبيه:

جاء أسلوب التنبيه بالأداة (ألا) ليستميل المخاطب ولجذب انتباهه واستجلاب إصغائه(64):

أَلا يا اسْلَمِي لا صُرْمَ لِي اليومَ فاطِما ولا أَبَـــداً مـــا دامَ وَصـــلُكِ دائِـــما
أَلا حَبَّـــذا وَجْـــهٌ تُرِينـــا بَياضَـــهُ ومُنْسَـــــدِلاتٍ كالمَـــــثانِي فواحِمـــــا

ففي البيت الأول يأتي بعد أداة الاستفتاح والتنبيه أسلوبان إنشائيان هما النداء والأمر: "ألا يا اسلمي"، سيقا لغرض الاستعطاف والتودد، وفي قوله "ألا حبذا وجه ترينا بياضه" جاء أسلوب المدح تنبيهًا على قيمة ممدوحه وصفة ذلك الوجه الموصوف بالبياض.

ويتكرر أسلوب التنبيه بالأداة "ألا" إذ "التكرير في أعلى صوره انبعاث وجداني يفيض على السامع حرارة يتحرك لها قلبه"(65)، يقول:

ألا يا اسْلَمي بالكَوْكَبِ الطَّلْقِ فاطِما وإِنْ لم يَكُـــنْ صَرْفُ النَّـــوى مُـــتَلائِما
ألا يا اسْلَمي ثمَّ اعْلَمِي أَنَّ حاجَتِي إليـــكِ فَـــرُدِّي مِـــنْ نَوالِـــكِ فاطِـــما

والتنبيه هنا جاء –أيضا– ملتصقا بأسلوب النداء والأمر، بغرض دعوة الشاعر لمحبوبته بالسلامة؛ ثناء عليها وإشادة بها، ولفت نظرها إلى حاجته لها، فبعد أن نبَّه ونادى، عطف متراخيا (ثم اعلمي) لكي يتيح فرصة الاستعداد للتلقي، ويشعر المحبوبة بأهمية العلم بتلك الحاجة. وتعدد أساليب الاستفتاح والنداء والأمر في الأبيات جاءت متشابكة متصلة بنفسيات الشاعر المتأججة، ووظفها لتقوم بعلمية الإبلاغ موضحا أن انقطاع الوصل والبعد لا يلائم عيش الشاعر.

الصورة الشعرية:

تكمن قدرة الشاعر وإبداعه في نسج لغته ضمن عناصر التصوير البلاغية، المستندة على الوصف والتشبيه والاستعارات والمجاز، أضف إلى ذلك تمكن الشاعر من سبك الألفاظ والتراكيب في شكل يساعد على تحسين الصورة وإبرازها في لوحة فنية ممتعة، وهذا ما أشار إليه بعض النقاد في حديثهم عن الصورة بقولهم: "أن تكون الألفاظ في الصورة، والصور في البيت، والبيت في القصيدة، كلمة واحدة في تلاؤم النسج والحسن والفصاحة والجزلة وصواب التأليف، حتى لا يحدث ضعف في مبنى الصورة، ولا ثغرة فيها، ولا تكلف في نسجها"(66).

وميمية المرقش الأصغر تماثل صور الجاهليين في قصائدهم، تلك الصور التقليدية السهلة محدودة الخيال، والتي تعتمد على الأوصاف والتشبيهات في الغالب، "فمن مذاهبهم -إذا شبهوا- أن يتركوا المشبه وينصرفوا إلى المشبه به؛ ليصفوه ويدققوا في وصفه، حتى إذا أظهروا قوته وجماله ارتضت نفوسهم واطمأنت إلى أنها وفت المشبه حقَّه من الوصف والتبليغ"(67).

والمرقش الأصغر اعتمد على الوصف أكثر من أي شيء آخر، فقد وصف الناقة ووصف محبوبته، مع صور تشبيهية واستعارية محدودة، من ذلك تشبيه خد محبوبته بالمرآة في نعومته وصفاه، يقول:

أرَتْكَ بِذاتِ الضَّالِ منها مَعاصِماً وخَدّاً أَسِيلاً كالوَذِيلَةِ ناعِما

ويشبه ذوائب شعرها ذات السواد الفاحم بالحبال المثانية:

أَلا حَبَّذا وَجْهٌ تُرِينا بَياضَهُ ومُنْسَدِلاتٍ كالمَثانِي فواحِما

كما تظهر صور استعارية أخرى غاية الشاعر منها تجيسد الوضع النفسي الذي يعيشه مع عشقه، ولا تخلو من عمق وجداني متأزم يصوره بقوله:

صحا قَلْبُهُ عنْها عَلى أنَّ ذِكْرَةً إذا خَطَرَتْ دارتْ بـه الأرضُ قـائِما

فالحالة الشعورية الغريبة ناتجة عن الصورة المتخيلة، التي رسمها الشاعر باستعارة الصحو لخفقان القلب الغافل، حيث دارت به الأرض هائما في العشق والحب، وهذا سر جمال البيت الشعري، غير أن بعض اللغويين لم يدركوا قيمة البيت البيانية، حين عابوا على الشاعر جمعه بين صحو القلب على عمق هيامه، وكأنهم يرون تناقضا دلاليا لحالة الشاعر(68)، وهو وإن كان في ذلك تناقض دلالي إلا أنه أضفى عمقا تصويريا فريداً للحالة الشعورية المتخبطة، فلقد بلغ الشاعر حداً كبيراً في تأنيب ضميره، ولومه ذاته.

ونرى الشاعر يصور الدهر حين يستعير له حالة من الوجوم، فيبدو حزينا مكتئبا؛ يقول.

أخـوك الـذي إنْ أَحْرَجَتْـكَ مُلِمَّـةٌ مِـنَ الـدَّهْرِ لم يَـبْرَحْ لهـا الـدَّهْر واجمـا

وحدة الموضوع: (لوم الذات)

إن وحدة موضوع القصيدة أو ما يعبر عنه بالوحدة العضوية وفق المفهوم النقدي الحديث(69)، قد لا يتوافق مع مفهوم القصيدة الجاهلية، فقراءتها تتم وفقا وطبيعتها، بوصفها عملا فنيا إبداعياً قائما على فنيات خاصة، وظروف زمنية ومكانية متعلقة بها.

وهذ لا يعني أن القصيدة الجاهلية خالية من فكرة محورية هي أساس تجربة الشاعر ناتجة عن باعث شعوري محدد، فالشاعر حين يعالج موضوعا ما في قصيدته فإنه يحشد عواطفه وهمومه وقضاياه ويبثها في تلك الأبيات، في إطار فكرة مسيطرة على ذهنه ونفسيته، إذ "القصيدة في مجملها تبدو صورة واحدة تعبر عن موقف الشاعر ونظرته لجدلية الفناء والحياة"(70).

إن الحيثيات التي قيلت فيها قصيدة المرقش الأصغر وسياقاتها المتنوعة تشير إلى فكرة العتاب النفسي، أي فكرة لوم الذات، وأخذ العبرة من تجارب الحياة وحكمها، والندم على الأخطاء، إذ دارت كل الأفكار وفق ذلك ولا تكاد تختفي ملامح الصراع الذاتي داخل نص القصيدة من بدايتها إلى ختامها. وبناء على ذلك يمكننا أن نلحظ ترابط المفردات والأفكار ذات الموضوع الواحد، ففي مطلع القصيدة يدعو لها وينفي الصرم والقطية ما دام الوصل قائما.

ألا يا اسْلَمي بالكَوْكَبِ الطَّلْقِ فاطِما وإِنْ لم يَكُــنْ صَرْفُ النَّــوى مُــتَلائِما

ويقول في منتصف القصيدة ذاكرًا الحب الذي يفوق التعب والمجاشم:

أَفـاطِمَ إنَّ الحُـبَّ يَعْفُـو عـن القِلـى ويُجْشِـمُ ذا العِـرْضِ الكـرِيم المَجاشِـما

وفي الختام يقول بحكمة الخبير بتجارب الحياة:

أخـوك الـذي إنْ أَحْرَجَتْـكَ مُلِمَّـةٌ مِـنَ الـدَّهْرِ لم يَـبْرَحْ لهـا الـدَّهْر واجمـا
ولـيس أَخـوك بالـذي إنْ تَشَـعَّبَتْ عليــكَ أمــورٌ ظــلّ يلحــاك دائــما

والمرقش الأصغر هنا يجاري الأسلوب الذي كان الشاعر الجاهلي ينتهجه في قصيدته: "ينتقل من جزئية إلى أخرى لمناسبة تقتضيها، وبمجرد أن يبدأ تتوالى عليه الأفكار، فيسير في عرضها متتابعة حتى ينتهي مما يريد"[71].

وقضية أخرى حين تتبعها في القصيدة الجاهلية قد تلح على الشاعر وتجره نحو محور فكرة عامة تستند عليها أبيات القصيدة بوجه أو بآخر، فمثلا نجد الشاعر الجاهلي دائما ما يتخذ من صاحبه أو صاحبيه، أو أصحابه أو خليله أو خليليه موضع سره ليشاركهم أحزانه، ويطلب منهم الوقوف معه حين يمر على ديار المحبوبة[72].

إن فكرة الصاحب لدى المرقش الأصغر تلح على شعوره في كثير من مواضع النص، فهو سبب نكبته في محبوبته، لذا ظل يذكره في مواضع عدة منها، إلى أن ختم بذكره القصيدة في البيتين الأخيرين.

الذات: الفكر والشعور

يسعى الشاعر في هذا النص ليجعل من ذاته مخاطبا معنيًّا بخطابه، منذ البداية حتى النهاية، فثمة عاطفة عارمة تسيطر على بنية النص في شقه الشعوري، ويأتي الجانب الفكري مشتتا على مساحات النص وممتزجا بالحكمة وتجارب الحياة المتعددة، مرتسما فيه منحىً لعقلية الشاعر، حيث سبره للأمور التي يبدو فيها مدرج الأحداث وقد صقلته حتى صار ناضجا في رؤاه الحياتية، مدركاً للخير والشر:

وآلى جَنـــابٌ حِلْفَـــةً فأَطـــعْتَهُ فَنفْسَـكَ وَلِّ اللَّـوْمَ إِنْ كُنْـتَ لائِـما
فمـن يَلْـقَ خَـيْراً يَحْمَـدِ النَّـاسُ أَمْـرَهُ ومـن يَغْـوِ لا يَعْـدَمْ عـلى الغَـيِّ لائِـما

والبيت الأول تضمن إشارات واضحة للمناسبة السردية الأسطورية، التي لابست إنتاج النص[73]، حيث يشير إلى قَسَمِ صاحبه جناب وطاعته له، ومثل هذه الإشارات نجدها في القصائد الجاهلية؛ بوصفها ملمحا بارزا تتمحور حولها رؤية الشعراء وغاياتهم، إذ يشيرون إلى مناسبات وحيثيات تتعلق بقصص وحوادث، ينطلقون منها، لبلورة تلك الفكرة غزلا ومديحا وهجاء وغير ذلك، يقول شوقي ضيف: "فإذا قلنا بعد ذلك إن معانيهم كان يسودها في بعض جوانبها ضرب من الروح القصصية لم نكن مبالغين، وهي روح لم تتسع عندهم، فقد أضعفتها حركتهم وميلهم إلى السرعة والإيجاز. وبذلك لم يظهر عندهم ضرب من ضروب الشعر

القصصي؛ فقد ظل شعرهم غنائيًّا ذاتيًّا، يتغنى فيه الشاعر بأهوائه وعواطفه، غير محاول صُنْعَ قصة، يجمع لها الأشخاص والمقومات القصصية، ويرتبها ترتيبًا دقيقًا، فإن شيئًا من ذلك لم يخطر بباله؛ إذ كان مشغولا بنفسه، لا يهمه إلا أن يتغنى بها وبمشاعره"(74). إن الحالة الشعورية في النص تتفاعل مع ذات الشاعر في صراعات شتى؛ حب عاشق ولهان، وإحساس بألم الخيانة والندم، فهو يتحدث عن حبه وعشقه واستعداده لاتباع حبيبته وتحمل مشاق سفر طويل للوصول إليها، وترك ما سواها من النساء:

ألا يا اسْلَمي ثمَّ اعْلَمِي أَنَّ حاجَتِي إليكِ فَرُدِّي مِنْ نَوالِكِ فاطِما
أَفاطِمَ لَوْ أَنَّ النِّساءَ بِبَلْدَةٍ وأَنْتِ بأُخْرَى لاتَّبَعْتُكِ هائِما

يتذكر الشاعر أن هذا الهيام يقابله ألم الخيانة فيتحول إلى لوم ذاتي شديد:

متى ما يَشأْ ذُو الوُدِّ يَصْرِمْ خَلِيلَهُ ويَعْبَدْ عليهِ لا مَحالَةَ ظالِما
وآلى جَنابٌ حِلْفَةً فأَطَعْتَهُ فَنفْسَكَ وَلِّ اللَّوْمَ إِنْ كُنْتَ لائِما

وتظهر الذات المتأزمة في تقدير الشاعر العالي للمحبوبة فهو يذكر أنه يستحييها رغم بعد المسافة بينه وبينها:

وإِنِّي لأَسْتَحْيِيكِ والخَرْقُ بَيْنَنا مخافةَ أَنْ تَلْقَيْ أَخاً لِيَ صارِما

وتبرز هنا قضية لوم الذات، من خلال الخطاب المباشر كما في استحياء الشاعر لمحبوبته، وفي أبعاد أخرى تستوحى من مقولات الحكمة، ولجوء الشاعر إلى ذكر الخير والشر، وأفعال الصديق، ففي ختام قصيدته يتحدث وكأنه يخاطب نفسه متسائلا عن الأذى الذي يسببه الصديق المقرب:

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ المَـرْء يَجْـذِمُ كفَّـهُ ويَجْشَـمُ مِـنْ لَـوْمِ الصَّـدِيقِ المَجاشِـما

أَمِـنْ حُلُـمٍ أَصْبَحْتَ تَنْكُـتُ واجِـما وقَـد تَعـتَرِي الأَحـلامُ مَـنْ كـانَ نـائِما

خاتمة البحث:

تناول هذا البحث ميمية المرقش الأصغر، وهو من قدامى الشعراء الجاهليين المقلِّين، وفي شعره روح الزمان، وعبق المكان، وقد وُصِفَ بأنه أشعر المرقِّشَين، وأشهر عشاق العرب المشهورين وفرسانهم المعدودين.

وقفت هذه الدراسة في دراستها للقصيدة على شقين:

الأول: دراسة البناء الفني للقصيدة بداية بشرح معانيها، وتحليل نصها، واستقراء نمطها الفني وصولا إلى النتائج الآتية:

1-شذَّ النمط الفني في القصيدة عن مسار القصائد الجاهلية، وخاصة في المقدمة، فالشاعر لم يتحدث عن مألوف الطلل والديار والوقوف والبكاء، إلا في إشارات عابرة.

2-تفردت لغة القصيدة باشتقاقات خاصة، توحي بفطريتها ولصوقها ببيئتها، وانحيازها إلى الفعل الحركي في زمنه الماضي على الأكثر.

3-وردت في القصيدة فنيات أسلوبية تمثلت في إيقاعها وقوافيها وعناصرها الداخلية الصوتية والتركيبية، وبالذات صوت الميم الذي سجل حضورا ملموسا في بنية المفردات، فضلا عن مجيئه رويا للقافية.

4-تميزت القصيدة بصلابة مفرداتها، وتماسك تراكيبها، ومعانيها الفخمة.

الثاني: دراسة الأسلوب البلاغي في القصيدة أوصلنا إلى النتائج التالية:

1- في تحولات الخطاب تنوَّعَ النصُّ بين ضمائر الغيبة والمخاطب والذات، في إشارة إلى تفكك في الحالة النفسية للشاعر، واضطراب في مشاعره فجاءت القصيدة مرتبكة في خطابها، فلا تكاد تستقر على خطاب إلا وتتحول إلى آخر.

2- تنوعت البنية التركيبية للجملة بين الخبر والإنشاء مع غلبة الجانب الخبري، إذ بدا ميل الشاعر إلى الوصف والإخبار واستخدام الجمل الفعلية والاسمية في أوصافه؛ رغبة منه في إبلاغ الآخر وإعلامه بقضيته، وهي في ذات الوقت إبلاغ للذات التي تعاني من العشق والهجر وألم الخيانة .

3- تكرر أسلوب التنبيه بالأداة (ألا) استمالة للمخاطب، وجذب انتباهه واستجلاب إصغائه في إشارة إلى تأزم الشاعر وارتباكه في لوم ذاته التي أخلت بقضية عشقه.

4- الصور البلاغية في القصيدة هي صور تقليدية، اعتمدت على الوصف وظهرت عدد قليل من التشبيهات والاستعارات.

5- تمثلت وحدة موضوع القصيدة في الحيثيات والسياقات التي قيلت فيها قصيدة المرقش الأصغر، فقد دارت حول فكرة الصراع والعتاب النفسي، أي فكرة لوم الذات، سواء في محور الغزل أو سرد الحكمة، أو ذكر الصاحب والصديق الذي أوقع الشاعر في الخيانة، والندم على الأخطاء، ولا تكاد تختفي ملامح الصراع الذاتي داخل نص القصيدة من بدايتها إلى ختامها.

6- لوم الذات هي الفكرة الرئيسة والغرض الأساس في القصيدة، نتيجة إخلال الشاعر بالعشق الكبير الذي كان بينه وبين محبوبته فاطمة، وتساهله في الحفاظ عليه.

5- جعل الشاعر من ذاته مخاطبا معنيًّا بخطابه، منذ بداية القصيدة حتى النهاية، فثمة عاطفة عارمة تسيطر على بنية النص في شقه الشعوري، بينما أتى الجانب الفكري مشتتا على مساحات النص، وممتزجا بالحكمة وتجارب الحياة، مرتسما فيه منحىً عقلي مع مشاعر الحب، وسذاجة العلاقات وفطريتها بين المحبين في ذلك العصر، وما يكتنفها من عراقيل وصعوبات.

الهوامش :

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م. 28/1.

(2) نفسه، 28/1.

(3) المرقش الأصغر حياته وشعره، رسالة ماجستير للطالب: عبد الرحمن فضل أحمد، جامعة الخرطوم، 2005م.

(4) ينظر: معجم الشعراء، محمد بن عمران المرزباني، تعليق: ف.كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط2، 1402هـ - 1982م. ص201. وينظر: الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م. 3/ 16.

(5) العمدة في صناعة الشعر ج1، ص86.

(6) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م. ج8، ص313. وينظر: الأعلام للزركلي. ج3، ص 16.

(7) مصادر الشعر الجاهلي، ناصر الدين الأسد، دار المعارف، مصر ط7، 1988م. ص224.

(8) مجمع الأمثال للميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1/ 148.

(9) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، ط4، 2001م. 229/1.

(10)ينظر: تاريخ الأدب العربي، بلاشير، ترجمة: د.إبراهيم الكيلاني، دار الفكر دمشق، 1984م. ص282.

(11)كالمفضليات وغيرها من القصائد الطوال الأخرى التي تناولت حوادث مشابهة وسجلت وقائع مؤثرة في حياة أصحابها

(12)ينظر: المفصل في تاريخ العرب. 227/18.

(13)ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الألوسي، تحقيق وشرح: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية ، 108/3.

(14)يقول الأصفهاني في ذكره للقصة :"المرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمرا وهو الذي عشق فاطمة بنت المنذر وكانت لها وليدة يقال لها بنت عجلان وكان لها قصر بكاظمة وعليه حرس، وكان الحرس يجرون كل ليلة حوله الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان، وكان لبنت عجلان في كل ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها فقال عمرو بن جناب بن مالك لمرقش إن بنت عجلان تأخذ كل عشية رجلا ممن يعجبها فيبيت معها، وكان مرقش ترعية لا يفارق إبله فأقام بالماء وترك إبله ظمأى وكان من أجمل الناس وجها وأحسنهم شعرا وكانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتنظر إلى الناس، فجاء مرقش فبات عند ابنة عجلان حتى إذا كان من الغد تجردت عند مولاتها فقالت لها ما هذا بفخذيك وإذا نكت كأنها التين وكآثار السياط من شدة حفزه إياها عند الجماع قالت آثار رجل بات معي الليلة، وقد كانت فاطمة قالت لها لقد رأيت رجلا جميلا راح نحونا بالعشية لم أره قبل ذلك قالت فإنه فتى قعد عن إبله وكان يرعاها وهو الفتى الجميل الذي، رأيته وهو الذي بات معي فأثر في هذه الآثار، قالت لها فاطمة فإذا كان غد وأتاك فقدمي له مجمرا ومريه أن يجلس عليه وأعطيه سواكا فإن استاك به أو رده فلا خير فيه وإن قعد على المجمر أو رده فلا خير فيه، فأتته بالمجمر فقالت له اقعد عليه فأبى وقال أدنيه مني فدخن لحيته وجمته وأبى أن يقعد عليه وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به، فأتت ابنة عجلان فاطمة فأخبرتها بما صنع فازدادت به عجبا وقالت أئتيني به، فتعلقت به كما كانت تتعلق فمضى معها وانصرف أصحابه، فقال القوم حين انصرفوا لشد ما علقت

بنت عجلان المرقش وكان الحرس ينثرون التراب حول قبة فاطمة بنت المنذر ويجرون عليه ثوبا حين تمسي ويحرسونها فلا يدخل عليه إلا ابنة عجلان فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دخل إليها ويعودون فيقولون له لم نر إلا أثر بنت عجلان، فلما كانت تلك الليلة حملت بنت عجلان مرقشا على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب وأدخلته إليها فبات معها، فلما أصبح بعث الملك القافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا نظرنا أثر بنت عجلان وهي مثقلة فلبث بذلك حينا يدخل إليها، فكان عمرو بن جناب بن عوف بن مالك يرى ما يفعل ولا يعرف مذهبه فقال له ألم تكن عاهدتني عهدا لا تكتمني شيئا ولا أكتمك ولا نتكاذب فأخبره مرقش الخبر فقال له لا أرضى عنك ولا أكلمك أبدا أو تدخلني عليها وحلف على ذلك، فانطلق المرقش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنت عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يصنع وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشعر فأتته بنت عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقش، فلما أراد مباشرتها وجدت شعر فخذيه فاستنكرته وإذا هو يرعد فدفعته بقدمها في صدره وقالت قبح الله سرا عند المعيدي ودعت بنت عجلان فذهبت به وانطلق إلى موضع صاحبه فلما رآه قد أسرع الكرة ولم يلبث إلا قليلا علم أنه قد افتضح فعض على إصبعه فقطعها، ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه يعني الإبل التي كان مقيما فيها حياء مما صنع". (الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2.6/ 145- 146- 147.

(15)ينظر: تاريخ الأدب العربي، بلاشير، ترجمة: د. إبراهيم الكيلاني، دار الفكر دمشق، 1984م. ص282.

(16)ينظر: بنية القصيدة الجاهلية، ريتا عوض، دار الآداب بيروت، ط1، 1992م. ص176.

(17)المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف – القاهرة، ط6، ص 244. والأغاني، 6/ 147، 148. والبيتان الأخيران ذكرهما محمود شكري الألوسي، في "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. 3/108.

(18)الصرم، بضم الصاد وفتحها: القطع. لا أبدا: لا صرم أبدا .

(19)الضال: سدر الجبل الذي لا يشرب الماء. وفرع الضالة: أراد به القوس، كأنها رمته عنه. الخوص: الإبل غائرة العيون نتيجة جهد السفر. نعائم: جمع نعامة أي هن في ضمرهن وجهدهن، أو في سرعتهن، يخالهن الناظر نعاما.

(20)الوارد: الطويل، عنى شعرها. متراكم: متراكب .

(21)حبي المزن: ما اقترب من السحاب. في متهلل: أي في روض متهلل. الرباب: سحاب دون السحاب الأعظم. سواجم: تسكب الماء. يريد تشبيه ريقها بماء المزن.

(22)ذات الضال: موضع، المعصم: موضع السوار. الوذيلة: مرآة الفضة .ومعنى ذلك أنها لم تتحرج بما يخفى معاصمها، أو يحجب وجهها.

(23)الذكرة: بالكسر.

(24)الظعائن: النساء. اقتعدن: ركبن. المفائم: الإبل العظام، أو المراكب الوافية الواسعة، واحدها مفأم، بضم الميم وسكون الفاء

(25)تحملن: رحلن. الوريعة: مكان. اجتزعن: قطعن. الصرائم: قطع الرمل .

(26)تحلين: لبسن الحلي. الشَّذْر : صِغارُ اللُّؤْلُؤ ؛ صِيغَة : يقصد حليةً مَصُوغةً من الذهب وجزعا: الخرز اليماني، وهو من أنفس الجواهر، ظفار: بلد باليمن. توائم: اثنتين اثنتين .

(27)الجزع، بالكسر: منعطف الوادي. قو: موضع. وركنه: خلفنه وعدلن عنه. المخارم: أطراف الطرق في الجبال

(28)المنسدلات: الذوائب المسترخية. المثاني: الحبال، وقد شبه شعرها بها. الفواحم: السود .

(29) الخميص: الضامر من الجوع

(30) الخرق: ما اتسع من الأرض.

(31) الرجم: الرمي. والمراجم: سرعة السير

(32) يعفو: يكثر. القلى: البغض. والمعنى أن الحب مع منع المحبوب وجفائه يزداد ويستحكم. يجشم: يكلف على مشقة، أي: يحمله على ركوب الهول.

(33) الطلق: الذي لا حر فيه ولا قر ولا شيء يؤذي. متلائم: متلاحم موصول .

(34) يعبد: يغضب

(35) آل: حلف. جناب: هو عمرو بن جناب، سماه باسم أبيه. "حلفة" في المعاجم بفتح الحاء فقط، وكذلك أثبتت في الشعراء

(36) مولاه: صاحبه

(37) ومن يغو: من الغي، وهو الضلال والخيبة. ويقصد من يقع في شر.

(38) يجذم: يقطع. من لوم الصديق: خشية لومه وطلبا لرضاه .

(39) تنكت: يقال "نكت في الأرض" إذا جعل يخطط فيها. الواجم: الحزين. وكذلك يفعل المغتم، ينكت في الأرض يخط عليها بعود نتيجة الهم والفكر.

(40) الواجم: العابس المطرق من الحزن

(41) يلحاك: يلومك

(42)تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف،ص226.

(43)ينظر: المفضليات، للمفضل الضبي. ص244.

(44)نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام، دراسة وتحليل، د.نوري حمودي القيسي، د.محمود عبد الله الجادر، د. بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الحكمة للطباعة والنشر .بغداد 1990م. ص158.

(45)(ألا يا اسلمي) أَلا حرف تَنْبِيه، وَيَا حرف نِدَاء، والمنادى مَحْذُوف على تَقْدِير هَذِه واسلمي، أَي: دومي سَالِمَة.

(46)ينظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، حسين عطوان، دار المعارف، مصر. 1970م. ص114.

(47)أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني 1989م، ص 65.

(48)ينظر: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدة. 52/1.

(49)ينظر: مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، ط 1، 1411هـ. ص99.

(50)ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2001م. ج4، ص304.

(51)عيار الشعر،لابن طباطبا، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، ص53.

(52) موسيقى الشعر العربي؛ للدكتور محمود فاخوري، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1996م. ص 167.

(53)منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخواجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966م. ص296.

(54)العمدة لابن رشيق. ج1، ص151.

(55) الشعرية العربية، أحمد علي سعيد، دار الآداب، ط1 بيروت 1985م. ص 106.

(56) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن. ص 625.

(57)لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ. مادة بلغ.

(58)النكت في اعجاز القرآن، للرماني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول عبد السلام، دار المعارف ط 3، ص 75 – 76.

(59)البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ – 1996م. 1/128.

(60)البيان والتبيين، للجاحظ، درا ومكتبة الهلال، بيروت1423هـ. 1/113.

(61)ينظر: شعرية الإنزياح دراسة في جماليات العدول، د.خيرة حمزة العين، ص22.

(62)الالتفات البصري من النص إلى الخطاب، د.عبد الناصر هلال، نادي الجوف الأدبي الثقافي، الطبعة الأولى 2014م. ص33.

(63)ينظر: بينة القصيدة الجاهلية – دراسة فنية موضوعية، سعيدة علي عبد الواحد (رسالة ماجستير جامعة أم درمان الإسلامية – السودان 2006– 2007م). ص33.

(64)ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ابو محمد بدر الدين المرادي، تحقيق: د فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 1992م. ج1، ص381.

(65)ينظر: التكرير بين المثير والتأثير، د.عز الدين اسماعيل. طبعة عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م. ص60.

(66)الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي علي صبح، دار إحياء الكتب العربي. ص25.

(67)أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ط1، 2014م. ص43.

(68)ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت 1419هـ، ص 73. والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1404هـ، 6/183.

(69)ينظر: الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، د.عفيف عبد الرحمن، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1987م. ص281.

(70)مفاتيح القصيدة الجاهلية، د.عبد الله الفيفي، النادي الأدبي جدة، ط1، 2001م. ص25.

(71)في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، ط1، 1991م. ص332.

(72)كما في مقدمة قصيدة امرئ القيس: قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل، وقوله : وقوفا بها صحبي علي مطيهم... وقول زهير: تبصر خليلي هل ترى من ظعائن.. ويقول طرفة: وقوفا بها صحبي علي مطيهم... ويقول المرقش الأكبر: خليلي عوجا بارك الله فيكما.

(73)ينظر: الأغاني للأصفهاني.6/147،146،145.

(74)تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، د.شوقي ضيف. ص225.

المصادر والمراجع:

1- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل الطبعة الخامسة 1981م.

2- ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3.

3- ابن منظور، لسان العرب دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ.

4- ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 2001م.

5- أحمد، عبد الرحمن فضل، المرقش الأصغر حياته وشعره، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم 2005م.

6- الأسد، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط7 1988م.

7- إسماعيل، عز الدين، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م.

8- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2.

9- الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق وشرح: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية.

10-الأندلسي، ابن عبد ربه، العقد الفريد ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ.

11-البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ط1، 2014م.

12-البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م.

13-بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: د.إبراهيم الكيلاني، دار الفكر دمشق، 1984م.

14-التفتازاني، سعد الدين ، مختصر المعاني، دار الفكر، ط 1، 1411هـ.

15-الجاحظ، عمرو بن محبوب، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.

16-الجمحي، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدة.

17-الجندي، علي ، في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط1، 1991م.

18-حَبَنَّكَة الميداني، عبد الرحمن بن حسن، البلاغة العربية، ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.

19-الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول عبد السلام، دار المعارف ط 3.

20-الزركلي، الأعلام ، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م.

21-سعيد، أحمد علي ، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1985م.

22-صبح، علي علي ، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربي.

23-الضبي، المفضل، المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف – القاهرة، ط6.

24-ضيف، شوقي ، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف.

25-عبد الرحمن، عفيف، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، 1987م.

26-عبد الواحد، سعيدة علي، بينة القصيدة الجاهلية، (رسالة ماجستير جامعة أم درمان الإسلامية)، السودان 2006- 2007م.

27-العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت 1419هـ.

28-عطوان، حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر. 1970م.

29-علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 2001م.

30-عوض، ريتا، بنية القصيدة الجاهلية، دار الآداب، بيروت، ط1، 1992م.

31-فاخوري، محمود ، موسيقى الشعر العربي؛ مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1996م.

32-الفيفي ،عبد الله ، مفاتيح القصيدة الجاهلية، النادي الأدبي جدة، ط1، 2001م.

33-القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخواجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966م.

34-القيسي، نوري حمودي وآخرون، نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام، دراسة وتحليل، دار الحكمة للطباعة والنشر. بغداد 1990م.

35-المرادي، أبو محمد بدر الدين ، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، أ.محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1 1992م.

36-المرزباني، محمد بن عمران ، معجم الشعراء، تعليق: ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1402هـ - 1982م.

37-الميداني، مجمع الأمثال ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت لبنان.

38-نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن.

39-هلال، عبد الناصر الالتفات البصري من النص إلى الخطاب، نادي الجوف الأدبي الثقافي، ط1، 2014م.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العـــدد الثـامـــن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

الوسائل الإلكترونية وأثرها في تحقيق رضا العملاء في الخدمات المصرفية

دراسة ميدانية لعملاء مصرف الكـريمي في محافظة تعز

أ . م.د .محمد نعمان محمد عقلان *
dr.mohamed6872@gmail.com

أ. معاذ حمود محمد الحميدي **
Moath2029@gmail.com

الملخص:

هدفت الدراسة إلى معرفة الأثر الذي تقوم به الوسائل الإلكترونية في تحقيق رضا العملاء بدراسة حالة مصرف الكريمي، من خلال تقديم خدماته بشكل إلكتروني، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ويمثل مجتمع الدراسة عملاء مصرف الكريمي في محافظة تعز، والاستبانة أداة لجمع البيانات. وقد استخدم أسلوب العينة العشوائية لجمع البيانات، وقد تكونت من (226) مفردة، وتوصلت الدراسة إلى وجود أثر ذي دلالة معنوية للوسائل الإلكترونية المتمثلة في الموقع الإلكتروني، والصراف الآلي، وعامل الخصوصية والسرية، في تحقيق رضا عملاء المصرف، عند مستوى دلالة أقل من(0.05)، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

– هناك علاقة وتأثير للوسائل الإلكترونية المتمثلة (بالصراف الآلي ، والموقع الإلكتروني ،والخصوصية والسرية) التي يستخدمها مصرف الكريمي في تحقيق رضا عملائه، حيث كانت العلاقة طردية ومصدر التأثير إيجابي للصراف الآلي، ثم الموقع الإلكتروني، ثم الخصوصية والسرية.

* أستاذ التسويق المشارك بكلية العلوم الإدارية بجامعة تعز اليمن.

** جامعة تعز اليمن.

- تحظى الوسائل الإلكترونية بأهمية كبيرة من قبل العملاء في إجراء الخدمات المصرفية المختلفة وتحقيق رضاهم.

الكلمات الدالة: الوسائل الإلكترونية، رضا العملاء، الخدمات المصرفية، الصراف الآلي.

Electronic Means and their Impact on Achieving Customer Satisfaction in Banking Services:

A Field Study on Al-Kuraimi Bank Customers in Taiz Governorate

Mohamed Noman Mohamed Aklan

Abstract:

This study aims to explore the effect of electronic means on achieving customer satisfaction through studying the case of Al-Kuraimi Bank and how it introduces its services electronically. The methodology of the study has followed the descriptive analytical approach. The randomness of data collection has consisted of 226 individuals, and the study has found that there is a significant effect of electronic means represented in the website, ATM, and privacy and confidentiality factor, in achieving the satisfaction of the bank customers, at the level of significance less than (0.05). The study has drawn the following results:

-There is a relationship and influence of the electronic means represented (at the ATM, the website, privacy and confidentiality) that Al-Kuraimi Bank uses to achieve the satisfaction of its customers. The relationship was direct and the source of positive influence was of the ATM, the website, the privacy and the confidentiality.

- Electronic means are of great importance to customers in conducting various banking services and achieving their satisfaction.

Key Words: Electronic Means, Customer Satisfaction, Bank Services, ATM

المقدمة:

شهد العلم في العقود الأخيرة تطورات كبيرة في مجال الاتصالات وأنظمة المعلومات ومن أهم القطاعات التي تأثرت بالتطور التكنولوجي القطاع المصرفي الذي يعُد من أهم ركائز الاقتصاد حيث تمثل المصارف ركناً اساسياً من أركان الاقتصاد الوطني لأي دولة. (محارمه ،2005ص1)

وتعتبر الوسائل الإلكترونية من أهم مقومات التكنولوجيا التي تساعد في الحصول على معلومات حيث شهدت الصناعات المصرفية في الآونة الأخيرة تقدماً ملموساً في مجال السماح لعملاء المصارف بإجراء العمليات المصرفية، باستخدام تلك الوسائل الإلكترونية من خلال شبكة الاتصال ومن المتوقع أن تنتشر هذه العمليات بشكل واسع للفترة المقبلة خاصة في ظل التطور المستمر في مجال التقنية الخاصة بالعمليات التقنية

ونتيجة للتطورات المتسارعة في ميدان الأعمال الإلكترونية بدأت المؤسسات الخدمية بشكل عام في إنشاء موقع خاص لكل منها على شبكة الإنترنت من أجل الوصول إلى عملائهم الحاليين والمتوقع انضمامهم إليها، ومحاوله خدمتهم بكافة الوسائل التقليدية والتقنية المتاحة بتوفير وسائل إضافية لتتميز من خلالها عن بقية المؤسسات المصرفية. (أبو بكر، 2008،ص74)

إلا أن تقديم الخدمات المصرفية الإلكترونية يحتاج الي وجود سوق لها، الأمر الذي يستلزم أن يكون هناك إقبال من العملاء عليها، وهذا يحتاج إلى جذب العملاء لطلب هذه الخدمات وتعريفهم بمزاياها، وكيفية استعمالها، فنضج الوعي لدى العملاء للعمل المصرفي الإلكتروني يحتاج إلى وقت ليس بالقصير.(سفر، 2006ص70)

ونجد أن الوسائل الإلكترونية لم تظهر من فراغ وإنما سبقتها مراحل متكاملة من التطور التقني والمادي، أي إن تلك الوسائل الإلكترونية لا يمكن أن تحدث من دون تقنية اتصال ومن أهم التقنيات الاتصالية، منظومة شبكات، الإنترانت، والإكسترانت، والإنترنت.(أبو بكر، 2008،ص28)

وأصبح التعامل الإلكتروني يسيطر على مساحة كبيرة من أشكال التعاملات التي تقوم بها منظمات الأعمال على اختلافها، كما أن العملاء أصبحوا يستخدمون الوسائل الإلكترونية للوصول إلى المعلومات عن الخدمات والمنتجات التي يحتاجونها والمقارنة بينها واختيار الجهة التي يتعاملون معها لتغطية احتياجاتهم وإنجاز معاملاتهم المختلفة، والبنوك التجارية تسعى لمواكبة هذه التطورات وتسويق خدماتها، والتسويق باعتباره عاملاً رئيسياً لنجاح منظمات الأعمال فهو الوظيفة الأولى التي تبدأ بها منظمات الأعمال فلم يعد من الممكن إنتاج سلع وخدمات لا يطلبها السوق (zieneldin 1995، p:320)

ويمكن للبنوك التجارية من خلال التسويق الإلكتروني تحقيق مزايا تنافسية متعددة من إمكانية التسويق على نطاق عالمي، ودخول الأسواق الجماعية الضخمة، وتعزيز علاقتها مع العملاء ، حيث سهولة الاتصال بهم في كل مكان ووقت وبأدنى تكلفة.(Riley,2001, p:186)

وهناك العديد من الاعتبارات التي دفعت الباحثين للقيام بهذه الدراسة:

1. أن الخدمات المصرفية ضرورية في الحياة العملية لكل المجتمعات، وخاصة المجتمع اليمني، ويعد من الضرورة التعرف على بعض الوسائل الإلكترونية التي تستخدم في الخدمات المصرفية.

2.التعرف على الإجراءات التي تقوم بها الوسائل الإلكترونية في معالجة المشاكل التي تواجه العملاء أثناء القيام بالخدمات المصرفية.

3.إبراز أثر الوسائل الإلكترونية، في القطاع المصرفي، في ظل الظروف الاستثنائية التي تمر بها البلد، المسؤولية الأكبر التي تفرض على القطاعات المصرفية لتخفيف الأعباء عن العملاء.

1-1 مشكلة الدراسة:

تزدهر القطاعات المصرفية العالمية اليوم بالتطور الكبير وذلك بالاستفادة من تكنولوجيا العصر في تقديم خدماتها للعملاء بأساليب حديثة ومتطورة وعبر وسائل الكترونية تعمل على تخفيف الوقت، والجهد الكبيرين للعملاء، بما يحقق رضاهم ويحافظ عليهم، وما نراه اليوم في قطاعات المصارف لدينا من ضعف في استخدام الوسائل الإلكترونية، وما يرافق ذلك من زيادة في ازدحام العملاء على الخدمات المقدمة؛ ما هو إلا دليل على عدم مواكبة التطور وتقديم الخدمات المصرفية بشكل أكثر إيجابية والتي تنعكس على رضا العملاء والحفاظ عليهم وتعزيز ولائهم، حيث يتطلب على المصارف معرفة أهمية هذه الوسائل المستخدمة وأثرها على عملائهم في تقديم الخدمة بالشكل المطلوب، وهذا ما شد انتباه الباحثين إلى إجراء هذه الدراسة.

تساؤلات الدراسة:

- ما أهمية الوسائل الإلكترونية المستخدمة في الخدمات المصرفية في تحقيق رضا العملاء؟
- ما العلاقة بين الوسائل الإلكترونية المستخدمة في الخدمات المصرفية ورضا العملاء؟

- ما أثر الوسائل الإلكترونية المستخدمة في الخدمات المصرفية في تحقيق رضا العملاء؟

1-2 أهمية الدراسة:

- بيان أهمية استخدام الوسائل الإلكترونية في الخدمات المصرفية للمساهمة في خلق التنافس وتقديم الأفضل للعملاء.
- مساعدة متخذي القرار في القطاع المصرفي على أهمية تبني الوسائل الإلكترونية في ظل التقدم التكنولوجي.
- النتائج والتوصيات والتحليل التي ستعطي أهمية كبيرة للبحث.

1-3 أهداف الدراسة:

- قياس مدى أهمية الوسائل الإلكترونية في تقديم الخدمات المصرفية في تحقيق رضا العملاء.
- قياس العلاقة بين استخدام الوسائل الإلكترونية في الخدمات المصرفية ورضا العملاء.
- قياس أثر الوسائل الإلكترونية في الخدمات المصرفية على تحقق الرضا لدى العملاء.

1-4 أسلوب الدراسة:

اعتمد الباحثان أسلوب دراسة الحالة حيث تم دراسة بنك الكريمي وفروعه في محافظة تعز.

1-5 فرضيات الدراسة:

- لا توجد علاقة بين استخدام المصرف للصراف الآلي في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء.
- لا توجد علاقة بين استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء.

- لا توجد علاقة بين استخدام المصرف للموقع الإلكتروني في تقديم الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء.

متغيرات الدراسة:

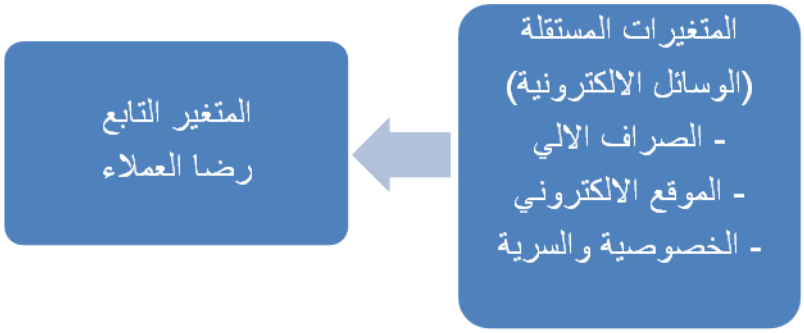

التعريفات الإجرائية لمصطلحات الدراسة:

- الموقع الإلكتروني: عبارة عن جميع صفحات الويب العالمية .www على نطاق واسع التي تحتفظ بها المنظمات أو الأفراد.(laudon 2004 ، p:19)

- الخصوصية: هي الحفاظ على سرية المعلومات وعدم إظهارها إلا للأشخاص المخولين قانوناً (الحامي ، العاني ، 2007،ص:21)

- الصراف الآلي هو جهاز يعمل أوتوماتيكيا لخدمة العملاء مباشرة دون تدخل العنصر البشري ضمن برامج معدة مسبقاً تلبي العديد من الحاجات المصرفية لصالح العملاء على مدار 24 ساعة من خلال بطاقة الصراف الآلي، ويمكن نشره في أماكن مختلفة وبشكل مستقل، وتكون متصلة بشبكات حاسب المصرف، ويقوم العميل باستخدام بطاقة بلاستيكية أو بطاقة ذكية للحصول على الخدمات المختلفة .(إبراهيم،2006،ص:221)

2- الدراسات السابقة:

دراسة فارس مسلم (2016): هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر التسويق الإلكتروني في تحقيق رضا العملاء بدراسة حالة بنك الأردن التجاري، حيث اعتمدت الدراسة في تقييم أثر التسويق الإلكتروني الذي يمارسه بنك الأردن في تحقيق رضا عملائه من خلال تقديم خدماته بشكل إلكتروني، وتوفير مجموعة من وسائل الاتصال الإلكترونية؛ ممثلة بالموقع الإلكتروني والهاتف النقال وأجهزة الصراف الآلي للاتصال بالعملاء، وذلك من أجل الوصول إلى نتائج تساعد بنك الأردن وكذلك البنوك التجارية الأخرى في تحقيق رضا عملائها وضمان ولائهم مما قد يسهم في جذب عملاء جدد ويعزز موقعه التنافسي. وقد اعتمدت الدراسة فرضيتين رئيستين تمحورتا حول أثر التسويق الإلكتروني في تحقيق رضا عملاء بنك الأردن عبر تقديم الخدمات الإلكترونية بواسطة وسائل الاتصال الإلكترونية من خلال الموقع الإلكتروني والهاتف النقال واجهة المصارف، وقد تكون مجتمع الدراسة من عملاء بنك الأردن (340) عميلاً في العاصمة عمان جمعت منهم البيانات بأسلوب العينة العشوائية وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج؛ من أهمها:

- هناك تأثير للتسويق الإلكتروني عبر الخدمات الإلكترونية في تحقيق رضا عملاء بنك الأردن.
- يوجد تأثير ذو دلالة للتسويق الإلكتروني في تحقيق رضا عملاء بنك الأردن من خلال تنوع وسائل الاتصال الإلكتروني التي اعتمدتها الدراسة.

دراسة إبراهيم (2012): هدفت الدراسة إلى إبراز الدور الكبير الذي يلعبه التسويق المصرفي في تطوير الخدمات المصرفية، وكذلك دوره في تحقيق أهداف المصارف والوصول إلى

الأسلوب العلمي الأمثل للتسويق المصرفي؛ من خلال دراسة حالة بنك التنمية التعاوني الإسلامي، حيث وجدت الدراسة مجموعة من النتائج من أهمها: أن الخدمة المميزة هي الأساس في المفاضلة بين بنك وآخر؛ حيث تنشأ عروض جميع البنوك- تقريبًا- في كافة الخدمات التي تقدمها، وكذلك تقديم الخدمات الجيدة؛ إذ لم يعد اختياريًّا أو أنه مجرد شعارات وأساليب من الدعاية، بل أصبح واقعًا تفرضه طبيعة الظروف والمتغيرات في بيئة الأعمال المعاصرة، كما تفرضه طبيعة وخصائص العملاء أنفسهم. وكذلك تم التوصل إلى أن الأساس لتحقيق النجاح والنمو والاستمرارية في السوق يتوقف على وجود قاعدة من العملاء، وتقوية العلاقة بين العملاء والبنك وكان من أهم توصيات الدراسة إنشاء أقسام للتسويق المصرفي بفروع البنك ووضع استراتيجية تسويقية تعمل على جذب المزيد من العملاء .

دراسة المحاميد والسعيد(2012): هدفت الدراسة إلى تقييم جودة الأعمال الإلكترونية المقدمة من قبل البنوك العامة في الأردن وجهة نظر العاملين في تلك البنوك، وأثر جودة الأعمال الإلكترونية على جودة الخدمات المصرفية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أن جودة الأعمال الإلكترونية ذات مستوى عال، وكذلك مستوى الخدمات المصرفية، وأنه لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية يعزى للمتغيرات الديمغرافية(الجنس، المستوى التعليمي، والخبرة) وتوصلت الدراسة إلى أنه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين جودة الأعمال الإلكترونية وجودة الخدمات المصرفية. ومن أهم ما أوصت به الدراسة: تطوير بنية إلكترونية ملائمة حيث إن جودة الأعمال الإلكترونية ذات مستوى عال إلا أنها غير مؤثرة في جودة الخدمات المصرفية؛ مما يتطلب نشر تطبيقات الأعمال الإلكترونية بشكل موسع .

دراسة شلاش وآخرون(2011): هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى استخدام التسويق الإلكتروني وأثره في تحقيق ميزة تنافسية لشركات الدواء الأردنية، تضمن مجتمع الدراسة جميع مديري الوحدات الوظيفية في شركات الدواء الأردنية، واستخدم الباحثون أسلوب الحصر الشامل لمجتمع الدراسة؛ حيث تم توزيع أداة الدراسة على جميع المديرين البالغ عددهم (69) مديرًا، وتوصلت الدراسة إلى وجود توجه من قبل شركات صناعة الأدوية نحو استخدام الإنترنت في التسويق ومتابعة متطلبات العملاء؛ مما يمكنها من تحقيق ميزة تنافسية، وزيادة حصتها السوقية، وأن تجعل شركات الدواء الأردنية استخدام تكنولوجيا الإنترنت في تسويق منتجاتها جزءًا من الاستراتيجية التسويقية مما سينعكس إيجابا على تعزيز قدرتها التنافسية محلياً وعالمياً.

دراسة(chen 2009): هدفت إلى التعرف على محددات الرضا واستمرارية النية في استخدام الخدمات الإلكترونية الذاتية، وتطوير نموذج متكامل للتنبؤ وتفسير استخدام الفرد المستمر لتكنولوجيا الخدمات الذاتية بناء على(TR) مفاهيم الجاهزية (TAM)، ونموذج قبول تكنولوجيا (TPB) ونظرية السلوك المخطط، وقد توصلت الدراسة إلى أن رضا العملاء يؤثر بشكل مباشر في استمرارية النية في استخدام الخدمات الذاتية، في حين أن الفائدة المدركة، وسهولة الاستخدام، والمعيار الشخصي، والسيطرة على السلوك؛ تؤثر على رضا العملاء. وكذلك أن نتائج عدم الارتياح وعدم الأمان لا يؤثران سلباً في استمرارية التنبؤ والاستخدام، كما أن التفاؤل والإبداع من أهم محفزات رضا العملاء.

ما تتميز به الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة:

- الدراسة الحالية تتناول وسائل الكترونية محددة بدقة يتم من خلالها تقديم خدمات مصرفية بعكس الدراسات السابقة تناولت تأثير التسويق الإلكتروني والتكنولوجيا بشكل عام في الخدمات المصرفية.
- المتغيرات المستقلة في الدراسة لها تأثير كبير على العملاء في مجال الخدمات المصرفية ولم يتم تناولها من قبل في اليمن حسب علم الباحثين.
- تعد من الدراسات الحديثة التي تدرس وسائل إلكترونية معينة في الخدمات المصرفية في اليمن حسب علم الباحثين.

3- الخلفية النظرية للدراسة:

1-1 المواقع الإلكترونية:

لقد أصبحت اليوم شبكة الإنترنت شريان حياة المؤسسات التي يلجأ إليها المستخدمون لتلبية احتياجاتهم المختلفة بفضل ما تنتجه من تطبيقات وخدمات اختصرت العالم بمجرد الدخول إليها.

وتعتبر المواقع الالكترونية أحد أهم الخدمات التي تقدمها شبكة الإنترنت؛ حيث تتنوع وتعدد المواقع الإلكترونية على حسب الهدف منها أو طبيعة تصميمها (محمد،2011، ص 69).

والتسويق عبر الموقع الإلكتروني :هو موقع الالكتروني يمكن العملاء والمستخدمين الدخول في تفاعلات يتم تقريبها للشراء المباشر وغيرها من نتائج التسويق.(Armstrong، (kotler 2005 p:496)

وتعرف ويكيبيديا المواقع الإلكترونية بأنها مجموعة صفحات ويب مرتبط بعضها ببعض ومخزنة على نفس الخادم، ويمكن زيارة موقع الويب عبر الانترنت بفضل خدمة الويب، ومن خلال برنامج حاسوبي يدعى متصفح الويب، ويمكن عرض المواقع بواسطة الهواتف النقالة عبر تقنية الويب (wAp).

أساسيات وعناصر جذب وفعالية المواقع الإلكترونية للشراء عبر شبكة الإنترنت:

جميع الشركات تسعى إلى أن تهتم وتقيم التسويق الإلكتروني وفرص الشراء الإلكتروني، والتحدي الأساسي هو تصميم موقع إلكتروني جذاب في العرض الأول والاهتمام الكافي للتشجيع على إعادة الزيارة مرة أخرى، بحيث يتم تصميم المواقع طبقاً لسبع استراتيجيات يرمز لها برمز(7cs): (kotler 2006 p:613)

1- السياق (context): الشكل والتصميم.

2- مضمون النص(content): الصور، الصوت، فيديو يتضمن الموقع.

3- المجتمع (community): قدرة الموقع للاستخدام والاتصال.

4- التخصيص(customization): قدرة الموقع على تكييف نفسه لمختلف المستخدمين.

5- الاتصال(communication): قدرة الموقع على الاتصال بالمستخدم أو وسيلة الاتصال بطريقتين.

6- درجة الارتباط(connection): قدرة الموقع على أن يرتبط مع المواقع الأخرى.

7- المواقع التجارية(commerce): قدرة المواقع التجارية على تمكينها من أداء معاملة تجارية.

فوائد المواقع الإلكترونية للشركة:(www.tech.wd.com)

تحقق الشركات العديد من الفوائد من استخدامها المواقع الإلكترونية:

1- قابلية الوصول على مدار اليوم؛ فكل شيء على الإنترنت متاح خلال 24 ساعة، أو بشكل أسبوعي؛ حيث يوفر للعميل الجهد عندما يقرر طلب خدمة أو شراء سلعة عبر المواقع الإلكترونية، ويمكن الشركات من الوصول إلى أكبر عدد ممكن من العملاء.

2- انخفاض التكاليف: إنشاء الموقع الإلكتروني عملية سهلة ورخيصة الثمن مقارنة بالمحلات التقليدية لمواقع الشركات، وما على الشركات إلا الاستعانة بالمصممين أو ببرامج الملفات المجانية الجاهزة مثل(ورد بريس ، وقوالب جاهزة).

3- المصداقية: العميل يبحث دائماً عن المصداقية فعندما يريد التعامل مع الشركة يذهب إلى محرك البحث جوجل لمعرفة أكثر عن الشركة وخدماتها .

4- تسويق ممتاز: بتواجد الشركة على الإنترنت تصبح فرصة التسويق لا نهائية.

5- زيادة وتحريك المبيعات: كل التكاليف على الإنترنت رخيصة؛ فعندما تقوم الشركات بالإعلانات والأنشطة الأخرى عبر الإنترنت فإنها تنعكس بشكل مباشر على حجم المبيعات.

6- الوصول إلى أسواق جديدة حيث تتمكن الشركات عبر المواقع الإلكترونية من الوصول إلى عملاء من أماكن متعددة حول العالم.

3-2 الصيرفة عبر الصراف الآلي: ATM

مفهوم الصراف الآلي:

الصراف الآلي هو جهاز يعمل أوتوماتيكيا لخدمة العملاء مباشرة دون تدخل العنصر البشري ضمن برامج معده مسبقاً؛ تلبي العديد من الحاجات المصرفية لصالح العملاء على مدار 24 ساعة، من خلال بطاقة الصراف الآلي، ويمكن تثبيته في أماكن مختلفة، وبشكل مستقل، وتكون متصلة بشبكات حاسب المصرف ويقوم العميل باستخدام بطاقة بلاستيكية أو بطاقة ذكية للحصول على الخدمات المختلفة.(إبراهيم ،2006 ،ص221)

خدمات الصراف الآلي:

يقدم الصراف الآلي العديد من الخدمات منها:

- السحب من حساب العميل والتوفير نقداً بالعملة المحلية.
- الإيداع بالحسابات نقداً.
- تحويلات من حساب إلى آخر.
- الاستفسار عن الرصيد.
- طلب دفتر الشيكات.
- طلب كشف الحساب.

تسديد بعض الفواتير (كهرباء ، ماء ، غاز). (إبراهيم ،2006 ،223)

هناك العديد من الأدوات والوسائل الإلكترونية ومن أهمها:(عبدالخالق،2008، ص161 – 164)

- البطاقات المصرفية: تصدر من طرف مؤسسات مالية كالمصارف ومصالح البريد تسمح لحاملها بسحب الأموال أو نقلها.

- البطاقات الائتمانية: هي أكثرها انتشاراً من أنواعها بطاقة الدفع، بطاقة الخصم الفوري، البطاقات المدفوعة مقدماً، بطاقات السحب.
- بطاقات الفيزا: هي أكثر البطاقات الائتمانية انتشاراً على الإطلاق، وهي بطاقة متعددة ويتعامل بها الملايين من العملاء والمؤسسات والمحلات التجارية.
- بطاقة الماستر كرد: وهي تأتي بالمرتبة الثانية بعد الفيزا من ناحية الشهرة والانتشار ولها عدة أشكال مستر كرد الذهبية والفضية ولرجال الأعمال.
- بطاقة أمريكا إكس برس: وتصدر عن بنك أمريكان إكس برس وهي مؤسسة مالية كبيرة تزاول أنشطتها البنكية، ويوجد منها ثلاثة أنواع بطاقة إكس برس الخضراء والذهبية والماسية.
- نظام التحويلات المالية الإلكترونية هو عملية منح ترخيص لبنك ما للقيام بحركات التحويلات المالية الدائنة والمدينة إلكترونيا من حساب بنكي إلى حساب بنكي آخر، أي إن عملية التحويل تتم إلكترونيا عبر الهاتف أو أجهزة الكمبيوتر وأجهزة الموديم عوضاً عن استخدام الأوراق. (لوصيف، 2008، ص39)

فوائد استخدام التسويق الإلكتروني للمنظمات المصرفية: (يوسف، الصميدعي، 2004 ،ص277)

- تحسين الصورة الذهنية للشركة أو المنظمة.
- تقديم الخدمات وتحسين العناية بالزبائن.
- البحث عن مستهلكين جدد.
- توسيع نطاق السوق وانتقاله من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي.
- تخفيض التكاليف.

3-3 الخصوصية والسرية لبيانات العملاء:

الخصوصية هي أحد عناصر المزيج التسويقي الأساسية، والخصوصية تعبر عن حق الأفراد والجماعات والمؤسسات في تقرير مجموعة من القضايا بخصوص البيانات والمعلومات التي تخصهم وأهم هذه القضايا: (أبوفارة ،2004،ص335)

1- تحديد نوع وكمية البيانات والمعلومات المسموح باستخدامها من جانب المتجر الإلكتروني والأطراف الأخرى.
2- تحديد كيفية استخدام البيانات والمعلومات التي تخص الأفراد والجماعات والمؤسسات من جانب المتاجر الالكترونية ومواقع الويب الأخرى.
3- تحديد توقيت استخدام البيانات والمعلومات المذكورة من جانب المتجر الإلكتروني والأطراف الأخرى .

العناصر المهمة لتحقيق الخصوصية : (أبو فاره ، 2004 ، ص345)

1- ينبغي أن يكون المتجر الإلكتروني الذي يجمع البيانات والمعلومات موثوقا به، وبأن هذه البيانات والمعلومات الشخصية لن تستخدم إلا بتصريح الزبون وموافقته.
2- ضرورة أن يفصح المتجر الإلكتروني عن الكيفية التي سيجري بموجبها التعامل مع البيانات والمعلومات الشخصية، وهذا الإفصاح ينبغي أن يكون في صورة ملاحظة واضحة بل سياسة الخصوصية.
3- تمكين الزبون من الوصول إلى البيانات التي تخصه. والتأكد من مدى دقتها ومستوى كمالها.

كلمات المرور المتعلقة بالسرية الأخرى:

تعتمد العديد من أنظمة التحقق والتحكم في الدخول على معلومة سرية مثل: الأرقام المتعددة من الخزائن الحديدية، وشفرات فتح الأبواب، وكلمات المرور، وأرقام التعريف الشخصية، وهذه المعلومات السرية يمكن حفظها بالذاكرة البشرية، أو في أداة تخزين كشارة دخول أو كرد أو قرص حاسب آلي. وكلمات المرور الشائعة الاستخدام يمكن معرفتها بواسطه برامج تستخدم القوى المطلقة، ولتأمينها يجب أن تكون كلمة المرور على الأقل بطول تسعة حروف، وللحماية القصوى لكلمات المرور تستخدم كلمات المرور لمرة واحدة فقط ثم تتغير، ويستخدم التوقيع الرقمي مع التشفير لتوفير الحماية اللازمة والموثوقية لأنظمة البريد الإلكتروني وبرامج الاتصالات لتبادل البيانات الحساسة. (البداينه ، 2002 ، ص376)

3-4 رضا العملاء:

يعرف الرضا بأنه مشاعر العميل بالفرح بعد إتمام العملية، وهذه المشاعر ناجمة عن المقارنة بين الأداء الفعلي للخدمات والتوقعات التي يحملها العميل. (Hoffman and Bateson,2002, p:86).

وقياس رضا الزبون يعبر عن تلك الجهود المنهجية التي تقوم بها المؤسسة للوقوف على مدى رضا زبائنها عما تقدم لهم من خدمات وبرامج؛ بهدف إجراء التعديلات المؤسسية والبرامج اللازمة؛ بحيث تصبح أكثر استجابة لاحتياجات الأفراد وتطلعاتهم التي تخدمهم. (كشيده ،2005،ص72)

وتقوم المفاهيم التسويقية الحديثة على ربط التسويق بالاستجابة للعملاء، وتلبية حاجاتهم المتعددة، وتحديد القطاعات المستهدفة بشكل دقيق، وتحديد العملاء سواء منهم

الحاليون أو المحتملون؛ بتوجيه مختلف الوسائل والإمكانات المتاحة لتحقيق رضا العملاء، وتلبية حاجاتهم، ويعد رضا العملاء مؤشراً حقيقياً على نجاح منظمات الأعمال، وهو السبيل الرئيسي الذي يمكن منظمات الأعمال من تحقيق أهدافها المختلفة، حيث يعني رضا العملاء قيامهم بالشراء والاشتراك وإتمام المعاملة، وكذلك إعادة التجربة وتكرارها؛ بالإضافة إلى نصح الآخرين، بالاشتراك أو التعامل مع الجهة المعنية، وبالتالي تسويق هذه الجهة بطريقة غير مباشرة.(kotler ،2003 ،p ،225) .

3-5 الخدمات المصرفية:

مفهوم الخدمات المصرفية:

هي العمليات ذات المضمون المنفعي الكامن في مجموعة من العناصر الملموسة "الحقيقية" وغير الملموسة " غير الحقيقية " المدركة من قبل الأفراد أو المؤسسات من خلال دلالتها وقيمتها المنفعية التي تشكل في الوقت نفسه مصدر الربحية للخدمة المصرفية؛ ويتصف مضمون الخدمة المصرفية بتغلب العناصر غير الملموسة على العناصر الملموسة. (ناجي معلا،2001،ص26)

وتمثل الخدمة المصرفية نشاطاً/ عملا غير ملموس يحصل عليه المستفيد من طرف أفراد أو مكائن تقدم من خلالها هاته الخدمة، ويرتبط مستوى إشباع هذا المستفيد بمستوى أداء الأفراد والمكائن. (محمد، ردينه، 2005،ص29)

4- منهجية الدراسة وإجراءاتها:

4-1 منهج الدراسة:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي لعرض البيانات ودراسة الظواهر المتعلقة بالبحث وتحليل إجراءات الدراسة.

2-4 مجتمع الدراسة وعينته:

يتكون مجتمع الدراسة من عملاء مصرف الكريمي في محافظة تعز المترددين على المصرف وفروعه الذين لا حصر لهم، وقد اعتمد الباحثان طريقة العينة العشوائية في اختيار عينة الدراسة التي بلغ حجمها 250 عميلا، حيث تم توزيع الاستبيانة عليهم واسترجعت منها 226 صالحة للتحليل، وقد تم استخدام اختبار "KMO" لكفاية حجم العينة وكانت النتيجة كما في الجدول التالي:

جدول (1) توزيع الاستبانة واختبار كفاية حجم العينة

عدد الاستبانات	التوزيع	العائد	المفقود	المستبعد	النهائي
المجموع	250	226	24	0	226
النسبة	٪100	٪90.4	٪9.6	0	٪90.4
Kaiser-Meyer-Olkin Measure of Sampling Adequacy.					0.892

المصدر: من إعداد الباحثين وبالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS

ومن خلال قيمة اختبار (KMO) البالغة (0.892) والتي تعني كفاية حجم العينة بنسبة (89.2٪)، حيث يعتبر هذا المقياس النسبة (60٪) وأقل، أنها غير كافية لإجراء التحليل على بيانات العينة، لذلك تعتبر عينة هذه الدراسة كافية بقدر مناسب لإجراء التحليل على بياناتها. **(أحمد.2013، ص118)**

3-4 أداة الدراسة:

في إطار الدراسة الميدانية وبهدف تحقيق أهداف الدراسة تم اختيار الاستبيان وسيلة لجمع البيانات، حيث تم القيام بعدة خطوات تنفيذية لضمان صدقها وثباتها، وعند إعداد الاستبانة تم الاطلاع على مجموعة من الاستبانات الخاصة بالدراسات السابقة، وعرضها على هيئة محكمين، كما تم التعديل بمحتوى الفقرات حسب الملاحظات التي أبدتها هيئة المحكمين حتى أصبحت جاهزة لغرض إجراء الدراسة، وقد تم تجزئة الاستبيان إلى قسمين رئيسيين:

1. القسم الأول: الخاص بالبيانات الشخصية للمبحوثين وهي: (الجنس، الفئة العمرية، المؤهل العلمي، أكثر خدمات المصرف استخداما، والدخل الشهري)
2. القسم الثاني: الخاص بمحاور الاستبيان.

جدول (2)يمثل توزيع فقرات الاستبانة وفق متغيرات الدراسة:

الرقم	المجال	عدد الفقرات
1	الرضا عن خدمات المصرف المقدمة عبر الوسائل الالكترونية	6
2	أثر تقديم خدمات المصرف عبر الموقع الالكتروني	4
3	أثر تقديم خدمات المصرف عبر الصراف الآلي	4
4	أثر استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية لمعلومات العملاء	3
المجموع		17

المصدر: من إعداد الباحثين.

وقد تم استخدام مقياس ليكارت الخماسي لقياس استجابات المبحوثين لفقرات الاستبيان وذلك كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (3) درجات مقياس ليكارت الخماسي

الاستجابة	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة
الدرجة	1	2	3	4	5

المصدر: من إعداد الباحثين.

4-4 حدود الدراسة:

- حدود مكانية: مصرف الكريمي وفروعه في محافظة تعز، لما تحظى به من كثافة سكانية وإقبال على الخدمات المصرفية من قبل العملاء.
- حدود موضوعية: الوسائل الإلكترونية وأثرها في تحقيق رضا العملاء في الخدمات المصرفية، حيث تناولت الدراسة مدى تحقيق رضا العملاء، ومدى فاعلية الوسائل الإلكترونية في خدمات مصارف الكريمي وفروعه من وجهة نظر العملاء؛ حيث اقتصرت الدراسة على قياس أثر ثلاث وسائل في التسويق الإلكتروني.
- حدود بشرية: اقتصرت الدراسة على عملاء فرع مصرف الكريمي بتعز.

5- الأساليب الإحصائية المستخدمة في تحليل البيانات:

بعد تصميم الاستبيان واختباره وتعديله وتعميمه على العينة المستهدفة، ثم استعادته من المبحوثين تم تحليله باستخدام برنامج (SPSS) عبر الأدوات الإحصائية التالية:

1. التكرارات والنسب المئوية للمتغيرات الديموغرافية (الخصائص الشخصية).
2. اختبار كاسير مايراولكين (KMO) لمعرفة كفاية حجم العينة.
3. معامل الفا كرونباخ لقياس ثبات أداة الدراسة، ومعامل صدق المحك لقياس صدق أداة الدراسة.
4. المتوسطات الحسابية لفقرات أداة الدراسة وهي صالحة للبيانات الكمية فقط، وقد استخدمت لمعرفة الأهمية النسبية للفقرات وتعطى بالصيغة التالية:

$$\text{الأهمية النسبية} = \text{الوسط الحسابي} * \frac{100}{5}$$

5. معامل الالتواء والخطأ المعياري له لمعرفة اعتدالية البيانات للتوزيع الطبيعي.
6. معامل الارتباط الخطي البسيط لبيرسون لدراسة العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمتغير التابع.
7. نموذج الانحدار الخطي البسيط لدراسة أثر المتغيرات المستقلة على المتغير التابع.

ثبات أداة الدراسة وصدقها:

1. ثبات أداة الدراسة (Reliability):

يقصد بثبات أداة الدراسة مدى الحصول على النتائج نفسها، أو نتائج مقاربة إذا كررت الدراسة في ظروف مشابهة باستخدام الأداة نفسها، وهذا يفيد في التعرف على درجة فهم مدى الاتساق الداخلي لفقرات الاستبيان ووضوحه، وذلك من خلال حساب قيمة ألفا كرونباخ الموضحة في الجدول (4) أدناه، حيث اتضح أن أداة الدراسة تتمتع بثبات عالٍ بلغ (٪75.5).

صدق أداة الدراسة (صدق الاستبيان) (Validity):

يقصد بصدق الأداة: قدرة الاستبيان على قياس المتغيرات التي صممت لقياسها، وللتحقق من صدق الاستبيان المستخدم في الدراسة اعتمد الباحثان على صدق المحك؛ وهو عبارة الجذر التربيعي لمعامل الثبات "ألفا كرونباخ" كما هو موضح في الجدول (4)، إذ نجد أن معامل الصدق الكلي لأداة الدراسة بلغ (86.9٪) وهو معامل جيد ومناسب لأغراض الدراسة وأهدافها، كما نلاحظ في الجدول أن جميع معاملات الصدق لمحاور الدراسة وأبعادها جيدة ومناسبة لأهداف هذه الدراسة؛ وبهذا يمكننا القول: إن جميع عبارات أداة الدراسة هي صادقة لما وضعت لقياسه.

جدول (4) معاملات الثبات والصدق لأداة الدراسة

الأبعاد	عدد الفقرات	معامل الثبات "الفاكرونباخ"	معامل الصدق
الرضا عن خدمات المصرف المقدمة عبر الوسائل الإلكترونية	6	0.686	0.828
تقديم خدمات المصرف عبر الموقع الإلكتروني	4	0.630	0.794
تقديم خدمات المصرف عبر الصراف الآلي	3	0.607	0.779
استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية لمعلومات العملاء	4	0.671	0.819
الاستبانة	17	0.755	0.869

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةSpss

6-تحليل نتائج الدراسة:

يتناول هذا الجزء تحليل بيانات الدراسة التي تم استيفاؤها من خلال أداة الدراسة "الاستبيان" حول أثر الوسائل الإلكترونية في تحقيق رضا العملاء في الخدمات المصرفية، حيث تمت الإجابة على أسئلة الدراسة (البيانات الشخصية وفقرات الاستبيان)، وسنعرض فيما يلي النتائج الكلية لهذه الدراسة:

أولاً: خصائص مبحوثي الدراسة:

ومن هذه الخصائص البيانات الشخصية (الخصائص الديموغرافية) لأفراد عينة الدراسة، ويتكون من (5) فقرات متمثلة في: (الجنس، الفئة العمرية، المؤهل العلمي، أكثر خدمات المصرف استخداماً، والدخل الشهري)، ويتضمن الجدول التالي أهم خصائص المبحوثين:

جدول (5) التوزيع التكراري والنسبي لخصائص أفراد عينة الدراسة

الخاصية	الفئات	التكرار	النسبة ٪
الجنس	ذكر	132	58.4
	أنثى	94	41.6
العمر	من 15 إلى أقل من 25 سنة	141	62.4
	من 25 إلى أقل من 35 سنة	70	31
	من 35 إلى أقل من 45 سنة	4	1.8
	من 45 سنة فأكثر	11	4.9

المؤهل العلمي	ثانوية	29	12.8
	دبلوم	44	19.5
	بكالوريوس	125	55.3
	ماجستير	16	7.1
	دكتوراه	12	5.3
أكثر الوسائل المستخدمة	الصراف الآلي	28	12.4
	الأسهم	40	17.7
	الموقع الإلكتروني	37	16.4
	الإيداع	68	30.1
	التحويل	15	6.6
	أم فلوس	38	16.8
الدخل	أقل من 70 الف	104	46
	70 ألف وأقل من 140 ألف	45	19.9
	من 140 إلى أقل من 210 ألف	42	18.6
	من 210 إلى أقل من 280 ألف	18	8
	من 280 ألف فأكثر	17	7.5

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةSpss

بينت النتائج أن الذكور أكثر العملاء ظهوراً في العينة مقارنة بالإناث، كما كشفت أن أكثر العملاء تتراوح أعمارهم بين (15 – 25) سنة، في المقابل كان أقل العملاء تمثيلاً تتراوح أعمارهم بين (35 – 45) سنة، بينما بقية العملاء في بقية الفئات العمرية المدروسة تفاوتت نسبتهم بين ذلك، وبالنسبة للمؤهل العلمي فقد كان أكثر العملاء يحملون مؤهل

البكالوريوس؛ في حين كان أقلهم تمثيلاً ممن يحملون مؤهل الدكتوراه، وقد بين الاستبيان أن خدمة الإيداع هي الخدمة الأكثر استخداماً من قبل العملاء، تليها خدمة الأسهم، بينما تقاربت خدمة الموقع الإلكتروني وخدمة أم فلوس من حيث نسبة الاستخدام، وذلك لكونهما مرتبطتين مع بعضهما بالاستخدام، ثم تليهما خدمة الصراف الآلي، وأخيراً الخدمة الأقل استخداماً هي خدمة التحويل، كما بينت النتائج أن ما يقارب نصف العملاء في العينة يقل دخلهم الشهري عن (70) ألف ريال، وهم الأكثر ظهوراً في العينة، بينما العملاء الذين يزيد دخلهم الشهري عن (280) ألف ريال هم أقل ظهوراً في العينة، والشكل البياني التالي يبين ذلك:

شكل (1) المدرج التكراري والنسبي لخصائص عملاء عينة الدراسة

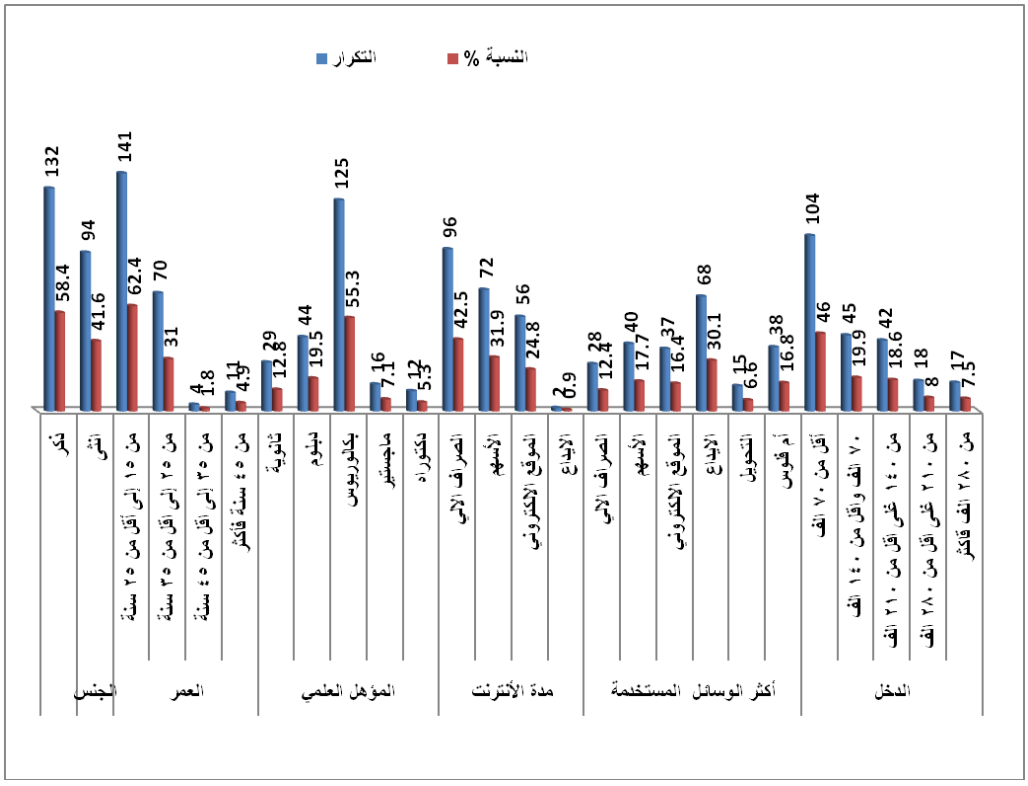

المصدر للمدرج التكراري : من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS

ثانياً: التحليل الإحصائي لمعطيات الاستبيان

تحقيقاً لأهداف الدراسة في التعرف على الوسائل الإلكترونية المستخدمة وأثرها على رضا العملاء، نستعرض في هذه الفقرة التحليل الإحصائي لإجابات أفراد عينة الدراسة للمتغيرات المعتمدة، وذلك بعرض المؤشرات الإحصائية الأولية لإجاباتهم بالاعتماد على الأوساط الحسابية والأهمية النسبية لإجابات أفراد عينة الدراسة حول الفقرات، بالإضافة إلى مؤشر اعتدالية البيانات للتوزيع الطبيعي، وتكون الفقرة بمستوى موافقة عالٍ – (بمعنى أن أفراد العينة يوافقون على محتواها) إذا كان الوزن النسبي (الأهمية النسبية) أكبر من 80٪، وتكون الفقرة بمستوى موافقة متوسط إذا كان الوزن النسبي بين (60-80)٪، وتكون الفقرة بمستوى موافقة ضعيف إذا كان الوزن النسبي أقل من 60٪. أما بالنسبة للتوزيع الطبيعي فهناك عدة اختبارات يمكن إجراؤها للتأكد من صحة الفرضية أو عدمها، منها اختبار كولموجروف- سمرنوف الذي يصحبه مستوى معنوية هذا الاختبار، فإذا كان مستوى معنوية الاختبار أكبر من 0.05 دل ذلك على صحة الفرضية، والعكس صحيح، كما أن هناك طريقة أخرى تلجأ إلى تفسير نتيجة نسبة معامل الالتواء والتفرطح إلى الخطأ المعياري لهما إحصائياً إذا كانت تلك النسبة تقع ضمن المدى (2، 2-)، حينها تقبل فرضية العدم القائلة بأن البيانات تتوزع طبيعياً، وهذه الأخيرة تم استخدامها في هذه الدراسة حيث أخذ معامل الالتواء الأكثر وضوحاً من معامل التفرطح.

1- نتائج تحليل بُعد الرضا عن خدمات المصرف المقدمة عبر الوسائل الإلكترونية:

جدول (6) التحليل الوصفي لفقرات الرضا عن خدمات المصرف المقدمة عبر الوسائل الإلكترونية

الفقرات	الأهمية النسبية	نسبة الالتواء للخطأ المعياري له
خدمات المصرف عبر الوسائل الإلكترونية لا تقدمها المصارف الأخرى	78.0	-4.624
أفضل إجراء خدمات المصرف عبر الوسائل الإلكترونية	80.2	-5.723
الوسائل الإلكترونية المستخدمة من قبل المصرف تقلل الجهد المبذول من قبلي في الحصول على الخدمة	77.6	-5.715
انا راضٍ عن أداء خدمات المصرف عبر الوسائل الإلكترونية	77.0	-3.867
تتميز خدمات المصرف المقدمة عبر الوسائل الإلكترونية بالجودة العالية	76.2	-4.287
سوف أستمر بالاستفادة من خدمات المصرف عبر الوسائل الإلكترونية	78.2	-3.761
ملخص رضا العملاء عن الوسائل الإلكترونية	80	-3.302

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةSpss

يوضح الجدول أعلاه نتائج إجابات أفراد عينة الدراسة حول فقرات رضا العملاء عن خدمات المصرف المقدمة عبر الوسائل الإلكترونية، حيث نلاحظ من إجابات معظم أفراد عينة الدراسة أنهم يوافقون على محتوى تلك الفقرات التي تشير إلى وجود رضا للعملاء عن الوسائل الإلكترونية المستخدمة، وقد أشارت الأهمية النسبية في المتوسطات التي بلغت إجاباتهم

(80٪) إلى تفاوت تلك الإجابات في الموافقة على الفقرات؛ حيث أبدى العملاء أعلى أهمية نسبية على أنهم يفضلون إجراء خدمات المصرف عبر الوسائل الإلكترونية، بينما عبروا بأدنى أهمية نسبية عن أن خدمات المصرف المقدمة عبر الوسائل الإلكترونية تتميز بالجودة العالية.

وبشكل عام نلاحظ أن آراء العملاء حول فقرات الرضاء عن الوسائل الإلكترونية المقدمة من المصرف لا تتوزع طبيعياً حسب ما أشارت إليه نسبة معامل الالتواء إلى خطئه المعياري حيث كانت جميعها خارج المدى (2 ، 2-).

2- نتائج تحليل بُعد تقديم خدمات المصرف عبر الموقع الإلكتروني:

جدول (7) التحليل الوصفي لفقرات الخدمات المصرفية المقدمة عبر الموقع الإلكتروني

الفقرات	الأهمية النسبية	نسبة الالتواء للخطأ المعياري له
يقدم الموقع الإلكتروني للمصرف المعلومات الكافية التي أريدها	80.6	-4.367
يتميز الموقع الإلكتروني الخاص بالمصرف بسهولة الدخول عليه	81.6	-3.074
خدمات المصرف الإلكترونية عبر الموقع متنوعه	79.4	-5.312
يبادر المصرف إلى معالجة الشكاوى عبر الموقع الإلكتروني بسرعة	83.4	-6.808
ملخص خدمة الموقع الإلكتروني	81.3	-3.435

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةSpss

يوضح الجدول أعلاه نتائج إجابات أفراد عينة الدراسة حول فقرات الخدمات المصرفية المقدمة عبر الموقع الإلكتروني للشركات المصرفية، حيث نلاحظ أن إجابات معظم أفراد عينة الدراسة يوافقون على محتوى تلك الفقرات التي تشير إلى وجود موافقة عالية على الخدمات المصرفية المقدمة عبر الموقع الإلكتروني، وتتفاوت موافقة إجاباتهم - كما أشارت الأهمية النسبية في المتوسطات على ذلك التي بلغت (81.3٪) - بتفاوت الموافقة على الفقرات، حيث أبدى العملاء أعلى أهمية نسبية لمعالجة الشكاوى عبر الموقع الالكتروني بسرعة، بينما أبدوا أن أدنى أهمية نسبية لتنوع الخدمات المصرفية الالكترونية.

وبشكل عام نلاحظ أن آراء العملاء حول فقرات خدمة الموقع الإلكتروني المقدمة من المصرف لا تتوزع طبيعياً حسب ما أشارت إليه نسبة معامل الالتواء إلى خطئه المعياري والتي كانت جميعها خارج المدى (2 ، 2-).

3- نتائج تحليل بُعد استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية لمعلومات العملاء:

جدول (8) التحليل الوصفي لفقرات استخدام المصرف عامل الخصوصية والسرية لمعلومات العملاء

الفقرات	الأهمية النسبية	نسبة الالتواء للخطأ المعياري له
يحدد المصرف البيانات المسموح فقط باستخدامها من قبل العملاء	76.0	9-3.56
أنا مطمئن بالنسبة لسلامة بياناتي الشخصية في قاعدة بيانات المصرف	79.2	-3.489
المصرف يحرص على سرية وخصوصية معلوماتي	78.6	-5.029
ملخص الخصوصية والسرية لمعلومات العملاء	77.9	2-2.25

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةSpss

يوضح الجدول أعلاه نتائج إجابات أفراد عينة الدراسة حول فقرات تبني المصرف معلومات وخصوصيات العملاء بسرية تامة، حيث نلاحظ أن إجابات معظم أفراد عينة الدراسة يوافقون على محتوى تلك الفقرات التي تشير إلى وجود موافقة عالية على سرية المعلومات والخصوصيات للعملاء من قبل المصرف، حيث تتفاوت موافقة إجاباتهم - كما أشارت الأهمية النسبية في المتوسطات على ذلك التي بلغت (77.9٪) - بتفاوت الموافقة على الفقرات، حيث أبدى العملاء أعلى أهمية نسبية لاطمئنان على سلامة بياناتهم الشخصية في قاعدة بيانات المصرف، بينما أبدوا بأدنى أهمية نسبية أن المصرف يحدد للعملاء بيانات محدودة فقط باستخدامها.

وبشكل عام نلاحظ أن آراء العملاء حول فقرات خصوصية وسرية البيانات الشخصية للعملاء لا تتوزع طبيعياً حسب ما أشارت إليه نسبة معامل الالتواء إلى خطئه المعياري والتي كانت جميعها خارج المدى (2 ، 2-).

4- نتائج تحليل بُعد استخدام المصرف لخدمة الصراف الآلي:

جدول (9) التحليل الوصفي لفقرات استخدام المصرف لخدمة الصراف الآلي

الفقرات	الأهمية النسبية	نسبة الالتواء للخطأ المعياري له
اللغة التي تعمل بها مكينات الصراف الآي للمصرف واضحة	78.4	-4.291
سهولة التعامل مع الصراف الآلي للمصرف في إجراء الخدمات المصرفية	78.0	-4.373
يقدم الصراف الآلي للمصرف خدمات متنوعة	79.8	-6.107
يعمل المصرف على تبسيط الإجراءات في الحصول على البطاقات المصرفية	79.2	-6.536
ملخص خدمة الصراف الآلي	78.9	-2.742

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةSpss

يوضح الجدول أعلاه نتائج إجابات أفراد عينة الدراسة حول فقرات استخدام المصرف لخدمة الصراف الآلي، حيث نلاحظ أن إجابات معظم أفراد عينة الدراسة يوافقون على محتوى تلك الفقرات التي تشير إلى وجود موافقة متوسطة على خدمة الصراف الآلي المقدمة من قبل المصرف، حيث تتفاوت موافقة إجاباتهم – كما أشارت الأهمية النسبية في المتوسطات على ذلك التي بلغت (78.9٪) – بتفاوت الموافقة على الفقرات، حيث أبدى العملاء بأعلى أهمية نسبية أن الصراف الآلي يقدم خدمات متنوعة، بينما أبدوا بأدنى أهمية نسبية لسهولة التعامل مع الصراف الآلي عند إجراء خدمتهم المصرفية .

وبشكل عام نلاحظ أن آراء العملاء حول فقرات استخدام المصرف خدمة الصراف الآلي لا تتوزع طبيعياً حسب ما أشارت إليه نسبة معامل الالتواء إلى خطئه المعياري حيث كانت جميعها خارج المدى (2 ، 2-).

ثالثاً: اختبار الفرضيات:

لاختبار فرضيات الدراسة التي تبحث عن دور الوسائل الإلكترونية في تقديم الخدمات المصرفية وأثرها في تحقيق رضا العملاء، استخدم الباحثان أسلوب تحليل الانحدار الخطي البسيط لبيان الأثر من خلال معادلة الانحدار الخطي البسيط التالية $y = \alpha + \beta x$ ويعد التأثير معنوياً إذا كانت قيمة مستوى الدلالة (sig) للمعلمة β أقل من مستوى الدلالة المعتمد في هذه الدراسة 0.05، ويعد التأثير غير معنوي إذا كانت قيمة مستوى الدلالة (sig) للمعلمة β أكبر من مستوى الدلالة المعتمد في هذه الدراسة

الفرضية الأولى: لا توجد علاقة معنوية إحصائياً بين استخدام المصرف للصراف الآلي في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء.

كما أشرنا أعلاه باستخدام أسلوب تحليل الانحدار الخطي البسيط من خلال المعادلة $y = \alpha + \beta x$، حيث إن:

y: تمثل المتغير التابع رضا العملاء.

x: تمثل المتغير المستقل الصراف الآلي:

α: تمثل قيمة رضا العملاء عندما يكون الصرف الآلي مساوياً للصفر.

β: تمثل قيمة الزيادة في رضا العملاء عندما يزيد الصراف الآلي وحدة واحدة في المقياس.

جدول (10) دور استخدام المصرف للصراف الآلي في الخدمات المصرفية في تحقيق رضا العملاء.

المتغيرات	معالم النموذج		اختبارT لمعنوية المعالم		معامل الارتباط	معامل التفسير	اختبارF	
	الرمز	قيمة المعلمة	قيمة اختبارT	المعنوية			القيمة	المعنوية
رضا العملاء	α	3.381	15.353	0.000	0.156	0.024	5.584	0.019
الصراف الآلي	β	0.131	2.363	0.019				

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةSpss

من خلال الجدول رقم (10) السابق يمكن صياغة معادلة نموذج الانحدار الخطي البسيط للعلاقة بين استخدام المصرف لخدمة الصراف الآلي وتحقيق رضا العملاء بالعلاقة التالية:

$$y = 3.381 + 0.131x1$$

وقد أشار اختبار F الذي بلغت قيمته (5.589) إلى أن النموذج الخطي السابق ذو دلالة معنوية حيث بلغت قيمة مستوى دلالة اختبار F (0.019) وهي أقل من مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة 0.05، كما بينت النتائج وجود علاقة طردية ضعيفة بين استخدام المصرف لخدمة الصراف الآلي وتحقيق رضا العملاء حيث ان قيمة (β=0.131) وهي ذات دلالة معنوية كما بينها اختبار t-test =2.363 لمعالم النموذج والتي بلغت (0.019) وهي أقل من 0.05، كما يتضح من الجدول بأن قيمة معامل الارتباط إيجابية حيث بلغت R=0.156، ويشير معامل التحديد الذي بلغت قيمته (0.024) إلى أن نسبة (2.4٪)من التغيرات والتأثيرات في رضا العملاء تعود إلى استخدام المصرف لخدمة الصراف الآلي، بينما (97.6٪) من التأثيرات تعود إلى عوامل أخرى، وبهذا نتوصل إلى رفض الفرضية الصفرية التي تنص على أنه (**لا توجد علاقة معنوية إحصائياً بين استخدام المصرف للصراف الآلي في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء**، وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه (**توجد علاقة معنوية إحصائياً بين استخدام المصرف للصراف الآلي في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء**).

الفرضية الثانية: لا توجد علاقة معنوية إحصائياً بين استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء.

جدول (11) دور استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية في الخدمات المصرفية في تحقيق رضا العملاء

كما أشرنا أعلاه باستخدام أسلوب تحليل الانحدار الخطي البسيط من خلال المعادلة $y = \alpha + \beta x$، حيث إن:

y: تمثل المتغير التابع رضا العملاء.

x: تمثل المتغير المستقل عامل الخصوصية والسرية:

α: تمثل قيمة رضا العملاء عندما يكون عامل الخصوصية والسرية مساوياً للصفر.

β: تمثل قيمة الزيادة في رضا العملاء عندما يزيد عامل الخصوصية والسرية وحدة واحدة في المقياس

جدول (11) دور استخدام عامل الخصوصية والسرية في الخدمات المصرفية في تحقيق رضا العملاء.

المتغيرات	معالم النموذج		اختبارT لمعنوية المعالم		معامل الارتباط	معامل التفسير	اختبارF	
	الرمز	قيمة المعلمة	قيمة اختبارT	المعنوية			القيمة	المعنوية
رضا العملاء	α	2.177	8.358	0.000	0.406	0.165	44.241	0.000
الخصوصية والسرية	β	0.422	6.651	0.000				

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج الحزم الاحصائية للعلوم الاجتماعيةSpss

من خلال الجدول رقم (11) السابق يمكن صياغة معادلة نموذج الانحدار الخطي البسيط للعلاقة بين استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء بالعلاقة التالية:

$$y = 2.177 + 0.422x$$

وقد أشار اختبار F الذي بلغت قيمته (44.241) إلى أن النموذج الخطي السابق ذو دلالة معنوية حيث بلغت قيمة مستوى دلالة اختبار F (0.000) وهي أقل من مستوى الدلالة

المعتمد في الدراسة 0.05، كما بينت النتائج وجود علاقة طردية متوسطة بين استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء حيث إن قيمة (β=0.422) وهي ذات دلالة معنوية كما بينها اختبار t-test =6.651 لمعالم النموذج والتي بلغت (0.000) وهي أقل من 0.05، كما يتضح من الجدول بأن قيمة معامل الارتباط إيجابية حيث بلغت R=0.406، ، ويشير معامل التحديد الذي بلغت قيمته (0.165) إلى أن نسبة (16.5٪)من التغيرات والتأثيرات في رضا العملاء تعود إلى استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية في الخدمات المصرفية، بينما (83.5٪) من التأثيرات تعود إلى عوامل أخرى، وبهذا نتوصل إلى رفض الفرضية الصفرية التي تنص على أنه (**لا توجد علاقة معنوية إحصائياً بين استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء**) وقبول الفرضية البديلة التي تنص (**توجد علاقة معنوية إحصائياً بين استخدام المصرف لعامل الخصوصية والسرية في الخدمات المصرفية وبين تحقيق رضا العملاء**).

الفرضية الثالثة: لا توجد علاقة معنوية إحصائياً بين استخدام المصرف للموقع الإلكتروني في تقديم الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء.

كما أشرنا أعلاه إلى استخدام أسلوب تحليل الانحدار الخطي البسيط من خلال المعادلة $y = \alpha + \beta x$، حيث إن:

y: تمثل المتغير التابع رضا العملاء.

x: تمثل المتغير المستقل الموقع الإلكتروني:

α: تمثل قيمة رضا العملاء عندما يكون الموقع الإلكتروني مساوياً للصفر.

β: تمثل قيمة الزيادة في رضا العملاء عندما يزيد الموقع الإلكتروني وحدة واحدة في المقياس

جدول (12) دور استخدام المصرف للموقع الإلكتروني في الخدمات المصرفية في تحقيق رضا العملاء.

المتغيرات	معالم النموذج		اختبارT لمعنوية المعالم		معامل الارتباط	معامل التفسير	اختبارF	
	الرمز	قيمة المعلمة	قيمة اختبارT	المعنوية			القيمة	المعنوية
رضا العملاء	α	3.207	13.912	0.000	0.198	0.039	9.106	0.003
الموقع الإلكتروني	β	0.174	3.018	0.003				

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج الحزم الاحصائية للعلوم الاجتماعيةSpss

من خلال الجدول رقم (11) السابق يمكن صياغة معادلة نموذج الانحدار الخطي البسيط للعلاقة بين استخدام المصرف الموقع الإلكتروني في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء بالعلاقة التالية

$$y = 3.207 + 0.174x$$

وقد أشار اختبار F الذي بلغت قيمته (0.003) إلى أن النموذج الخطي السابق ذو دلالة معنوية حيث بلغت قيمة مستوى دلالة اختبار F (0.000) وهي أقل من مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة 0.05، كما بينت النتائج وجود علاقة طردية ضعيفة بين استخدام المصرف الموقع الإلكتروني في الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء حيث إن قيمة (β=0.174) وهي ذات دلالة معنوية كما بينها اختبار t-test =3.018 لمعالم النموذج والتي بلغت (0.003) وهي أقل من 0.05، كما يتضح من الجدول بأن قيمة معامل الارتباط إيجابية حيث بلغت R=0.198، ويشير معامل التحديد الذي بلغت قيمته (0.039) إلى أن نسبة (3.9٪)

من التغيرات والتأثيرات في رضا العملاء تعود إلى استخدام المصرف الموقع الإلكتروني في الخدمات المصرفية، بينما (96.1٪) من التأثيرات تعود إلى عوامل أخرى، وبهذا نتوصل إلى رفض الفرضة الصفرية التي تنص على أنه (**لا توجد علاقة معنوية إحصائياً بين استخدام المصرف الموقع الإلكتروني في تقديم الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء**) وقبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه (**توجد علاقة معنوية إحصائياً بين استخدام المصرف الموقع الإلكتروني في تقديم الخدمات المصرفية وتحقيق رضا العملاء**).

7-نتائج وتوصيات الدراسة:

أولاً. نتائج الدراسة:

1- تحظى الوسائل الإلكترونية بأهمية كبيرة لدى العملاء في تنفيذ الخدمات المصرفية المختلفة التي تبرز الدور التسويقي الذي يميز مصرف الكريمي عن مصارف أخرى، لمواكبة تطلعات العملاء وتقديم الأفضل في مجال الخدمات المصرفية.

2- تؤثر الوسائل الإلكترونية التي يستخدمها مصرف الكريمي في تحقيق رضا عملائه من خلال دراسة الحالة، حيث توافقت مع دراسة إبراهيم، وفارس مسلم على أن هناك تأثيراً للوسائل الإلكترونية على رضا العملاء من خلال الموقع الإلكتروني والهاتف الجوال، كما توافقت مع دراسة (شلاش وآخرون) على أن استخدام وسائل إلكترونية في عملية البيع للمنتجات الدوائية يحقق الرضا للعملاء ويميز الشركة عن غيرها.

3- هناك علاقة طردية بين استخدام المصرف للوسائل الإلكترونية وتحقيق رضا العملاء وذلك لما تقدمة تلك الوسائل من خدمات تعود بالنفع على العملاء وتبرز مدى اهتمام المصرف بعملائه.

4- توجد فروقات في إجابة المبحوثين حول استخدام الوسائل الإلكترونية التي يستخدمها مصرف الكريمي لتقديم الخدمات المصرفية تعزى إلى المتغيرات الديمغرافية.

5- أكثر الخدمات المستخدمة من قبل العملاء هي خدمة التحويل، وأكثر الوسائل الإلكترونية استخداما هي وسيلة الصراف الآلي.

الاستنتاجات:

من خلال فقرات البحث يمكننا الخلوص إلى النتائج الآتية:

1. تؤدي الوسائل الإلكترونية دوراً بارزاً في تحقيق الرضا للعملاء، وذلك لدورها في تخفيف الجهد وتقليل الوقت اللازمين لتنفيذ الخدمات المصرفية.
2. استخدام الوسائل الإلكترونية في الخدمات المصرفية له علاقة إيجابية على رضا العملاء وتحقيق السعادة ثم الولاء للمصارف.
3. استخدام الوسائل الإلكترونية في الخدمات المصرفية يؤثر بشكل إيجابي على رضا العملاء وتحقيق السعادة ثم الولاء للمصارف.
4. تختلف نظرة العملاء للوسائل الإلكترونية في الخدمات المصرفية حسب أعمارهم ودخلهم وتخصصهم العلمي.

ثانياً توصيات الدراسة:

من خلال ما توصلت إليه الدراسة من النتائج، فإن الباحثين يقترحان مجموعة من التوصيات يمكن توضيحها على النحو التالي:

1- أن يركز مصرف الكريمي في توجيه السياسات التسويقية على استخدام الوسائل الإلكترونية في تقديم الخدمات المصرفية لما لها من أهمية كبيرة لدى العملاء.

2- أن يقوم مصرف الكريمي بإضافة ميزة تنافسية عن بقية المصارف الأخرى من خلال تعزيز استخدام الوسائل الإلكترونية في خدماته المصرفية وتنويعها وإزالة معوقات استخدامها من قبل العملاء.

3- أن يستهدف المصرف شريحة الشباب والموظفين في العمليات الترويجية والاهتمام بهم أكثر باعتبارها الشريحة الكبرى لعملاء المصرف.

4- أن يهتم المصرف بتقديم خدمة التحويل للعملاء، وأن يدخل عليها ميزات تنافسية عن المصارف الأخرى، وأن يقوم بتوسيع انتشار الصراف الآلي لما له من دور في تحويل الأموال وتمكين العملاء من القيام بالأعمال التجارية وإدارة الأموال، وتخفيف الزحام وتقليل العبء عليهم.

المصادر والمراجع:

1- أبو بكر، أنور علي عمار ، مدخل إلى الصيرفة الإلكترونية ، المصارف ديناصورات تواجه الانقراض ، ط2 ، 2008.

2- أحمد، أبوفارة يوسف ، عناصر المزيج التسويقي عبر الإنترنت، دار وائل للنشر والتوزيع ، جامعة القدس، أبو ديس، فلسطين، ط1، 2004.

3- أحمد، أحمد عبدالرزاق، استخدام التحليل العاملي والنمذجة البنائية في تحليل المحددات الصحية في الجمهورية اليمنية، رسالة ماجستير، قسم الإحصاء والمعلوماتية، كلية العلوم الإدارية، جامعة عدن، اليمن، 2013.

4- البدانية، ذياب ، الأمن وحروب المعلومات ، الطبعة الأولى ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، 2002.

5- البكري، ثامر ، الاتصالات التسويقية والترويج، الطبعة الأولى ، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2006.

6- حبيبة ، كشيدة ، استراتيجيات رضا العميل ، رسالة ماجستير غير منشورة البليدة، الجزائر ،2005.

7- سفر، أحمد، العمل المصرفي الإلكتروني في البلدان العربية ، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، لبنان 2006.

8- الصحن، محمد فريد ، عباس نبيلة ، مبادئ التسويق ، كلية التجارة جامعه الاسكندرية ، الدار الجامعية ، للطبع والنشر والتوزيع ، جمهورية مصر العربية،2004.

9- الصميدعي ،محمد جاسم ، عثمان ،يوسف ردينة ،التسويق المصرفي مدخل استراتيجيات تحليل كمي ، دار المناهج، عمان، 2005.

10- الصميدعي، محمود جاسم ، العلاق، بشير ، مبادئ التسويق ، دار المناهج للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، عمان، الأردن،2006.

11- الصميدعي، محمود جاسم ، عثمان، يوسف ردينة ، تكنولوجيا التسويق ،دار المناهج للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان، الأردن2004.

12- عالم التقنية، (www.tech.wd.com) وقت القراءة الساعة العاشر صباحاً، بتاريخ، 2019/12/5.

13- العلاق، بشير، تطبيقات الإنترنت في التسويق، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن،2003.

14- عمار، لوصي، استراتيجيات نظام المدفوعات للقرن الحادي والعشرين مع الإشارة إلى التجربة الجزائرية ، مذكرة رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، قسم العلوم الاقتصادية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر،2008.

15- محارمه، تامر محمد ، قياس جودة الخدمات المصرفية للبنوك الوطنية التجارية القطرية، راسة ميدانية دورية الإدارة العامة ، المجلد الخامس والأربعون ،العدد الثالث ، معهد الإدارة العامة، الرياض، 2005.

16- محمد، عبيدات، مبادئ التسويق مدخل سلوكي ،دائرة المكتبات والوثائق الوطنية، عمان، الأردن،1992.

17- محمد، منار فتحي ، تصميم مواقع الصحف الإلكترونية ، دار العالم العربي، القاهرة 2011 .

18- ناجي ، معلا ، خدمة العملاء مدخل اتصال سلوكي متكامل، زمزم ناشرون وموزعون ، الأردن ،2001.

19- Armstrong, gary& Kotler, Philip,Marketing An Introduction, 7th edition prentice hall, new jersey, USA,2005.

20- Hoffman, K., Bateson, J. Essential of Service Marketing Concepts, Strategie 2002.

21- Kotler Philip, marketing management, twelfth edition, prentice hall, new jersey, USA, 2006.

22- Kotler, P. Marketing Management: Analysis, Planning, Implementation and Control, Englewood Cliffs, New Jersey. Prentice Hal, 11th ed 2003, P61- P55.

23- Riley, T. Electronic governance and electronic democracy: Living and working in the connected world, Ottawa: Riley Information Services 2001.

24- Zieneldin, M. Bank-
Company Interactions And Relationships: Some Empirical Evidence, International Journal Of Bank Marketing, 1995. 13(2): 32

الملاحق:

الفـــقرات	موافق بشدة	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق	غير موافق بشده
1)خدمات المصرف عبر الوسائل الإلكترونية لا تقدمها المصارف الأخرى					
2)أفضل إجراء خدمات المصرف عبر الوسائل الإلكترونية					
3) الوسائل الإلكترونية المستخدمة من قبل المصرف تقلل على العميل الجهد المبذول في الحصول على الخدمة					
4) أنا راضٍ عن أداء خدمات المصرف عبر الوسائل الإلكترونية					
5) تتميز خدمات المصرف المقدمة عبر الوسائل الإلكترونية بالجودة العالية					
6) سوف أستمر باستخدام خدمات المصرف عبر الوسائل الإلكترونية					
7) اللغة التي تعمل بها مكينات الصراف الالي للمصرف واضحة					
8) سهولة التعامل مع الصراف الآلي للمصرف في إجراء الخدمات المصرفية					
9) خدمات الصراف الالي للمصرف متنوعة					
10) يعمل المصرف على تبسيط الإجراءات في الحصول على البطاقات المصرفية					

11) يحدد المصرف البيانات المسموح فقط باستخدامها من قبل العملاء					
12) انا مطمئن بالنسبة لسلامة بياناتي الشخصية في قاعدة بيانات المصرف					
13) المصرف يحرص على سرية وخصوصية معلوماتي					
14) يقدم الموقع الإلكتروني للمصرف المعلومات الكافية التي أريدها					
15) يتميز المصرف بسهولة الدخول على الموقع الإلكتروني الخاص به					
16) خدمات المصرف الإلكترونية عبر الموقع متنوعة					
17) يبادر المصرف بمعالجة الشكاوى عبر الموقع الإلكتروني بسرعة					

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663
العدد الثامن
ذو القعدة ١٤٤١هـ يونيو ٢٠٢٠م

موقع هران (دراسة أثرية توثيقية)

د. عايض أحمد عتيق البحري*

ملخص البحث:

يعد موقع هران من المواقع الأثرية المهمة؛ لما يحتويه من آثار متنوعة ومتعددة، إذ إنه يضم بين جنباته منشآت عسكرية تحصينية، يأتي في طليعتها الأسوار، والأبراج والسراديب، وثمة منشآت مدنية(مخازن حبوب، ومائية)، ومنشآت دينية(مقابر صخرية)، كان أبرز سماتها أنها اعتمدت في إنشائها على تقنية الحفر في الصخور، فالمدافن(مخازن الحبوب)، والكروف، حفرت في الصخر الأحمر، أما المقابر الصخرية فقد حفر بعضها في الصخور البازلتية السوداء، وبعضها الآخر في الصخور الحمراء.

وقد تميز موقع هران الأثري عن غيره من مواقع منطقة ذمار، بأنه جمع بين عدد من المنشآت العسكرية، والمدنية، والدينية في مكان واحد(الأسوار، المداخل، السراديب، المدافن، خزانات المياه، المقابر الصخرية)، وقلما نجدها مجتمعة في موقع آخر من مواقع منطقة ذمار، فضلاً عن تفرد الموقع عن غيره من مواقع منطقة ذمار بتعدد مقابره الصخرية وتنوعها(فردية، جماعية)، وبممراته السرية(السراديب)؛ وهو إلى ذلك حصن منيع، ومركز مراقبة متقدم، ومشرف على القيعان التي تحيط به من كل جانب، فكان مشرفًا عليها وحارسًا لمدنها، وحاميًا لمن خلفه، ومنذرًا لهم من هجمات الأعداء.

الكلمات المفتاحية: هران، التحصينات، المدافن، خزانات المياه، المقابر.

* أستاذ الآثار القديمة المساعد، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب جامعة ذمار، الجمهورية اليمنية.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663

Haran Site (An Archaeological Documentary Study)

Dr. Ayed Ahmed Ateeq Al-Bahri

Abstract:

Haran site, at Dhamar city, is considered at an important archaeological site because it contains various and multiple effects, as it includes fortified military installations among its flanks, foremost among which are fences, towers and catacombs. There are also civilian facilities such as grain, water pool and trenches. There are also religious traces like rock tombs. The most notable of which was that they depended on their constructions on the technique of digging in the rocks, the burials (grain stores), and the vineyards were dug in the red rock, while the rock tombs were dug in some black basalt rocks, while others were in the red rocks.

The archaeological site of Haran was distinguished from other sites in Dhamar region by combining a number of military, civilian, and religious installations in one place (fences, entrances, basements, tombs, water tanks, and rock tombs), and we rarely find them combined in another site at Dhamar region. The uniqueness of the site from other sites at Dhamar region due to the multiple and varied rock tombs (individual and collective), and by its secret passages the catacombs. Due to this, it is a fortified fortress, an advanced monitoring center, and it overlooks the bottoms that surround it from every side.

Key Words: Haran, Fortification, Trenches, Water Tanks, Graveyards.

مقدمة:

إن دراسة المواقع الأثرية اليمنية القديمة من أهم الدراسات؛ لأنها تعيد بناء ملامح الحياة التي عاشها القدماء، وتبين أساليب عيشهم، وتخبر عن عقائدهم وتفكريهم، وتحكي عن مآثرهم، وتتحدث عن جوانب متعددة من حياتهم الاجتماعية والسياسية والعسكرية، ومنها موقع هران.

وأما موضوع الدراسة فقد اشتمل على التعريف بموقع هران من حيث موقعه الجغرافي، وما ذكر عنه في النقوش والمصادر الإخبارية، والتجديدات التي تمت فيه، ومنشآته العامة: التي تتكون من: استحكامات دفاعية(المنشآت التحصينية)، ومنشآت مدنية (المدافن، والمنشآت المائية: برك، ماجل، كروف)، والمنشآت الدينية، المقابر الصخرية بنوعيها: الفردية، والمتعددة (الجماعية).

وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال دراسة الآثار وتحليل معطياتها، وختمت هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج، وبينت أهمية موقع هران، وتعدد منشآت الاستحكامات الدفاعية، والمدنية، والدينية، والدراسة كانت على النحو الآتي:

أولاً: الموقع:

يقع موقع هران إلى الشمال من ذمار[1]، ويبعد عنها بمسافة (2) كم [2]، وقد صار في الزمن الحاضر جزءًا من مدينة ذمار[3]؛ بسبب التوسع العمراني، الذي شمل الجهة الشمالية من المدينة، ويحيط بها من الجنوب موقع ذمار(ذمار القرن حالياً)، ومن الشمال قاع بلسان، ومن الغرب طريق صنعاء- تعز، ومن الشرق وادي البير ومصلى العيدين. (خارطة رقم: 1) (صورة جوية رقم: 1).

ثانياً: بداية الاستيطان في موقع هران:

أكدت الدراسات العلمية الحديثة على وجود نشاط إنساني واسع في منطقة ذمار، منذ العصر الحجري القديم الأعلى، في الألف السادس(ق.م)، وتوالى النشاط الإنساني حتى العصر البرونزي[4]، غير أن الحفريات العلمية التي أجريت في موقع هران، واستهدفت الشكل الاستيطاني فيه، قد أكدت على أن الاستيطان في الموقع يرجع إلى العصر البرونزي على أقل تقدير[5].

ثالثاً: ذكر هران في النقوش والمصادر الإخبارية:

ورد ذكر هران في نقوش المسند، وتعود أقدم إشارة نقشية معروفة -حتى الآن- تحمل اسم هران إلى نقشين يكمل كل منهما الآخر، الأول:(Ja576/14)، بصيغة: هـ ج ر ن ه ن / ه ر ن / و ذ م ر: بمعنى: "المدينتان هران وذمار"، إذ يصف هران بالمدينة، والإشارة الثانية في النقش: (Ja577/2)، والإشارة الثانية كانت دون ذكرها صراحة، النقش(Ja577/2)، بصيغة: "و ه ص ر و / ع د ي / ب ي ن / ه ج ر ن ه ن "، بمعنى: "وذهبوا (توجهوا) حتى بين المدينتين، فذكرها بصيغة إيمائية، والمقصود بهما حسب الأحداث في سياق النقش، المدينتين: هران، وذمار"[6].

ويتبين من خلال النقشين أن ذكر المدينتين(ذمار، وهران) يكاد يكون متلازمًا، فما تذكر مدينة ذمار إلا وتذكر معها مدينة هران؛ كونهما متجاورتين، تتبعان قبيلة واحدة، هي قبيلة مقرأ، ومركزها مدينة سمعان؛ فضلاً عن أن المدينتين كانتا تقومان بعمل واحد مشترك هو الدفاع والحماية؛ إذ إن موقع هران كان بمثابة المركز الدفاعي الأول المتقدم لمدينة ذمار، ثم إن المدينتين معاً تمثلان المركز الدفاعي الأول عن العاصمة الريدانية ظفار.

وأما أقدم إشارة إلى هران في المصادر التاريخية، فهي التي جاءت في كتاب غاية الأماني ليحيى بن الحسين، في أواخر القرن الثالث الهجري، في سنة (292هـ)، عندما سار علي بن الفضل إلى ذمار، فوجد جيشًا عظيمًا في هران من أصحاب الحوالي، ثم كتب علي بن الفضل إلى صاحب هران واستماله حتى والاه[7]، وفي قوله: "صاحب هران" إشارة إلى قبيلة جنب التي وصفت بأنها قبيلة عاتية[8].

وفي إشارة تاريخية أخرى في منتصف القرن الرابع الهجري، عند الهمداني في كتابه الصفة، حيث قال: " وهران بسواد ذمار"[9]، وتأتي إشارة الهمداني لتدل على شدة سواد المنطقة الجبلية، التي تتكون من الصخور البركانية السوداء، التي قام عليها الحصن، وثمة إشارة تاريخية أخرى في سنة (418هـ)، تذكر أنه سار عبد المؤمن بن أسعد أبو الفتوح إلى ألهان، فتلقته عنس ومن إليهم إلى منطقة ضاف، فلبث فيها سبعة أيام، ثم توجه إلى ذمار وأمر بعمارة حصن هران [10]، وهذا يشير إلى إعادة تعمير الحصن في هذه الفترة على يد عبد المؤمن بن أسعد أبى الفتوح، وربما كان قد لحق خراب أو تهديم بحصن هران[11].

وذكر ابن الديبع، مخصصًا لها عنوانًا: " موقعة قبيلة جنب أهل هران ذمار مع توران شاه"[12]، وذكر أن صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب قد جهز أخاه توران شاه إلى اليمن، فدخل زبيد في شوال سنة (569هـ)، ثم نهض شمس الدولة من عدن قاصداً مخلاف جعفر، فاخذ التعكر، ثم صار نحو نقيل صيد، ثم نهض يريد ذمار، فاعترضته قبيلة (جنب)، فقاتله عبدالله بن يحيى الجنبي قتالاً شديداً، ثم نهض يريد صنعاء، فاعترضته جنب ومن معه، فهُزمت جنب ومن معهم، وقتل منهم سبعمائة رجل، وتبعهم العسكر إلى أن دخلوا حصن هران[13]، كما ذكر أن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب المتوفى سنة (593هـ)، ودان له اليمن كله، وعمَّر عدة حصون في اليمن[14]، وقد ذكر الأكوع أن تجديد حصن هران بذمار من إصلاحات سيف الإسلام، ولا زالت قطعة من البناء ماثلة، وهي من النوع المسمى الزبور تمثل القوة والمتانة،

وذكر أن جنب قبيلة عتيدة عظيمة، لها صولات وجولات، شغلت التاريخ بحوادثها طويلاً، وكانت مساكنها هران ذمار وسواده، وهي اليوم خاوية على عروشها، ولعلها انتقلت بعد حروب شديدة إلى مغارب ذمار، فهناك منطقة تعرف بالجنبيين، نسبة إلى جنب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج، وبنو جنب ستة رجال: منبه، والحارث، والعلي، وسنحان، وشمران، وهفان، ويقال لهؤلاء الستة: جنب؛ لأنهم جانبوا أخاهم صدا، وحالفوا سعد العشيرة[15]، ففي سنة (709هـ) في عهد الدولة الرسولية انحاز الأكراد إلى الوادي الحار، واستولوا على حصن هران، ورتبوا فيه جماعة، فقصدوا العساكر إلى الوادي الحار، وفي سنة (710هـ) كان حصن هران لايزال في يد الأكراد[16]، وقال السياغي: "وفي هران بقية خرائب ومدافن منحوتة"[17]، وذكر الحجري: "هران حصن معروف في مدينة ذمار"[18]. وقد استمر ذكر هران عند المؤرخين في العصر الإسلامي، وظل يحمل الاسم نفسه، كما هو عليه، فلم يتغير منذ العصر الحميري- على أقل تقدير- حتى يومنا هذا.

ومن خلال ما سبق يمكن القول: إن موقع هران كان حصنًا منيعًا، من حصون مخلاف عنس بذمار، وكان يؤدي مهمة الحماية، والاستطلاع، والدفاع عن منطقة ذمار وما حولها. وما تبقى بها من آثار حتى عهد السياغي، كانت بقية خرائب، لا زال بعضها ماثلا للعيان إلى يومنا هذا. وهران هو جبل بركاني أسود، يعلوه حصن مرتفع، وهذا الاسم ليس حكرًا على هذا المكان، بل تكرر كثيرًا في عدة أماكن في اليمن منها: هران صبر في محافظة لحج، كما أنه اسم لبلد ووادٍ في بلاد بكيل، من ناحية ذيبين، بمحافظة عمران، وغيرها من المناطق[19].

- رابعاً: التجديدات في حصن هران:

ثمة إشارة تاريخية في سنة (418هـ)، تذكر أن عبد المؤمن بن أسعد أبو الفتوح سار إلى ألهان، فتلقته عنس ومن إليهم إلى منطقة ضاف، فلبث فيها سبعة أيام، ثم توجه إلى ذمار وأمر

بعمارة حصن هران [20]، وهذا يشير إلى إعادة تعمير الحصن في هذه المدة على يد عبد المؤمن بن أسعد أبى الفتوح، وربما كان قد لحق خراب أو تهديم بحصن هران[21].

وثمة إشارة تاريخية تعود إلى العصر الإسلامي، في عهد الدولة الأيوبية، إذ تذكر المصادر التاريخية أن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب الذي حكم اليمن بين عامي(582- 583هـ)، قد شيد عددًا من الحصون، الأمر الذي جعل الأكوع محقق كتاب قرة العيون يذكر أن تجديد حصن هران بذمار من إصلاحات الحاكم الأيوبي المذكور[22]، مما يعني أن السور بني في المدة الواقعة بين عامي(418هـ- 583هـ).

خامسًا: المنشآت العامة:

تتكون المنشآت العامة في موقع هران من: استحكامات دفاعية(المنشآت التحصينية)، ومنشآت مدنية (المدافن، والمنشآت المائية، برك، ماجل، كروف،)، والمنشآت الدينية، المقابر الصخرية بنوعيها: الفردية، والمتعددة(الجماعية).

أ- المنشآت التحصينية:

تتألف المنشآت التحصينية الدفاعية في موقع هران من: الأسوار القديمة والإسلامية، والمداخل، والمداخل المحفورة في الصخر، والسراديب، والكهوف (غرف الحراسة).

1- الأسوار:

تم تسوير موقع هران جزئيًّا في الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية، أما الجهة الغربية فهي محصنة تحصينًا طبيعيًّا، إذ تم التركيز على المناطق التي يسهل اختراقها.

- السور الشمالي:

يقع في الجهة الشمالية من موقع هران، ويمتد بمحاذاة المرتفع الصخري، تاركًا مسافة لممر يتخلل السور والمرتفع الجبلي، وتمثل هذه المسافة مدخلاً للموقع، عرض هذا المدخل

(2.40م)[23]، وارتفاعه مفتوح إلى الأعلى (لوحة رقم:1)، وكان يتم حماية البوابة من المرتفع الجبلي نفسه، الذي كان يعد برجاً طبيعياً، لحماية الموقع كله.

وما تبقى من أجزاء السور الشمالي يمتد من الغرب إلى الشرق، بطول (50م)، وعرض جدار السور(2م)، ثم ينحرف باتجاه الجنوب، بطول (40م)، وبعرض (2م)، (لوحة رقم:2)، وقد شيد من الأحجار البازلتية (الحبش) الخشن القطع، وما تبقى من مداميك(صفوف) السور تتكون من (1-5) مداميك، ويلاحظ أنه كلما ارتفع البناء قل سمك المدماك، وأن التضاريس الطبيعية للموقع قد تحكمت بتسوير الموقع، وهو الأمر الذي يتضح من خلال عدم انتظام مخطط التسوير، وفق نمط هندسي منتظم، وأن التسوير تم في المناطق التي تتسم بالثغرات الدفاعية، التي يمكن الصعود عليها(لوحة رقم: 3)، (شكل رقم: 1).

- السور الشرقي:

يقع في الجهة الشرقية لموقع هران، ويمتد من الشمال إلى الجنوب، وهو متقطع؛ بسبب النتوءات، والتكوينات الصخرية، التي يصادفها في مساره، وقد تهدم تمامًا في أجزائه الجنوبية؛ بسبب قربه من الحقول الزراعية، مما جعله عرضة لأعمال التخريب، وسمك ما تبقى منه يصل إلى(0.74م)، ويستمر امتداده حتى ينتهي بالمرتفع الصخري، ويوجد به بقايا أساسات بناء وأحجار متناثرة، وهي تدل على وجود بناء يشبه البرج، وتتخلل السور الشرقي خمس فتحات (مزاغل)(شكل رقم:1)، أي: مرامي دفاعية، كانت تفتح في نهاية السور، وهي عنصر معماري دفاعي، تستخدم للدفاع عن الموقع، وهذه المزاغل تضيق من الخارج، وتتسع من الداخل؛ حتى تتيح للمدافعين الحركة بسلاسة، أثناء الدفاع عن الموقع، في حال تعرضه لهجوم[24] (شكل رقم: 1).

- السور الغربي:

يقع في الجهة الغربية، وتوجد بقايا أجزاء منه، تمتد بطول (6م)، وبعرض (1م)، وارتفاع ما تبقى منه يصل إلى (2م) ، (لوحة رقم:3، 4، 5) (شكل رقم: 1).

وقد شيدت المنشآت التحصينية الدفاعية في موقع هران بالأحجار البازلتية (الحبش)، غير مهندمة، وغير مسواة في الشكل الخارجي، وقد اتبع المعماري اليمني القديم في بناء السورين: الشمالي الشرقي، والشرقي أسلوبًا مزدوجًا في البناء المرتكز على أساسات عريضة، تقل كلما

ارتفع البناء، وهذا ربما يكون جزء من التجديد في فترة معينة، على الأرجح أنها ترجع إلى بداية عصر ملوك سبأ وذي ريدان، وقد استخدمت الطريقة القديمة في عملية البناء، وهي تقنية البناء المتدرج.

- سور الزبور(اللبن):

ثمة سور بني من الزبور (اللبن)، يقع جنوب شرق قمة الحصن، ويمتد من الجنوب إلى الشمال، وهو مشيد فوق أساسات حجرية، حفرت في باطن الأرض بعمق(1.60م)، وعدد المداميك الحجرية (6) (لوحة رقم:13)، وعرضها يبلغ(2م)، وطولها يبلغ(50م)، ويعلو تلك الأساسات سور الزبور، ويبلغ طوله(50م)، وسمكه(2م)، وارتفاعه(6م)، وهو مبني من مواد الطين، والقش، والحصى، وقد خلطت هذه المواد بالماء، ثم قطعت على شكل قوالب متساوية الأحجام، ثم بنيت بصفوف أفقية بشكل طولي، ويبلغ طول الطوبة الواحدة (1م)، وعرضها(0.60م)، وبني الطوب بطريقة الميل، إذ يميل الصف الأول باتجاه الشمال، فيما يميل الصف الثاني نحو الجنوب، معاكسًا لاتجاه ميل الصف الأول، وكل صف يكون ميلانه باتجاه معاكس للصف الذي يعلوه، وهذه التقنية تجعل البناء متماسكًا ومتيناً(لوحة رقم:6، 7) (شكل رقم: 2).

وفي الجزء الشمالي من السور الزبور، بعد(12م) يبرز برج مخروطي مفتوح من الخلف من جهة الغرب، يبلغ قطره (4م)، وفي منتصف البرج مزغل يطل على الجهة الشرقية؛ لمراقبة المنطقة الواقعة خارج السور(لوحة رقم:8).

والظاهر أن الغرض من بناء السور الزبور كان لحماية المنطقة الشرقية المتصلة بحصن هران، من جهة الجنوب؛ لأن فيها بعض الثغرات، التي تتخلل المنحدرات الشاهقة(الحادة)، مما يجعل تسلقها والصعود عبرها نحو القمة ممكناً، فضلاً عن حماية السلم الحجري، المؤدي إلى قمة الحصن، واستحداث بناء السور في العصر الإسلامي بالقرب من قمة المرتفع الجبلي، يوحي بعدم الاعتماد على الأسوار القديمة الواقعة في الجهة الشرقية، التي فقدت دورها الدفاعي؛ بسبب اندثارها أو تهدم أجزاء واسعة منها، مما يعني أن الحماية اقتصرت على قمة الجبل(الحصن)، وأن الموقع أصبح يؤدي وظيفة عسكرية صرفة، هي مراقبة المناطق المحيطة به، بالاعتماد على حامية عسكرية عدد أفرادها محدود، عملها استطلاع متقدم، يتخذ أفرادها من قمة الجبل موقعًا لهم يتحصنون فيه.

2- السلم الحجري:

يقع في الجهة الشرقية من حصن هران، وتفصل بينه وبين سور الزبور مسافة تبلغ(9م)، ويتكون من ثمانية أجزاء، شيدت بالأحجار البازلتية(الحبش)، الجزء الأول منه بني بمحاذاة الجبل، وقد أسند إلى التكوين الصخري، ويمتد من الشرق إلى الغرب، ويبلغ طوله(13م)، وعرضه(2.80م)[25]، وعدد درجاته (27) درجة، تنتهي ببلاطة مساحتها(2.50 x 2.50م)، وارتفاعها(3.50م)، والجزء الثاني يمتد من الغرب إلى الشرق، وعدد درجاته(6) درجات، تنتهي ببلاطة مساحتها(2.50x2.50م)، والجزء الثالث يمتد من الجنوب إلى الشمال، وعدد درجاته(9) درجات، تنتهي ببلاطة مساحتها (1x1م)، والجزء الرابع يمتد من الشرق إلى

الغرب، وعدد درجاته (3) درجات، تنتهي ببلاطة مساحتها (1x1م)، والجزء الخامس يمتد من الشمال إلى الجنوب، وعدد درجاته (3) درجات، ثم ينكسر دون بلاطة، لأن المساحة ضيقة لا تسمح بعمل بلاطة، والجزء السادس يمتد من الغرب إلى الشرق، وعدد درجاته(11) درجة، والدرجة الثانية منه بلاطة مساحتها (2x2م)، وهذا الجزء يوصل إلى مدخل حديدي حديث، طوله(1.30م)، وعرضه(0.90م)، وبعد الباب مباشرة بلاطة مساحتها(1x1م)، والجزء السابع يقع بعد البلاطة التي تلي المدخل الحديدي، ويمتد بامتداد الجزء السادس من الغرب إلى الشرق، وعدد درجاته (5) درجات، والجزء الثامن يمتد من الشرق إلى الغرب، وعدد درجاته(20) درجة، ويؤدي إلى قمة الحصن (لوحة رقم:9، 10)، (شكل رقم: 1).

3- تحصينات الجهة الغربية:

تتكون تحصينات الجهة الغربية في الموقع من: غرفة الحراسة، والسرداب (النفق)، والمدخل المنحوت في الصخر نفسه؛ ولأن الجهة الغربية لموقع هران محصنة تحصينًا طبيعيًّا بالجبل المنحدر، فقد تم تدعيم التحصينات الطبيعية بتحصينات معمارية قام بها الإنسان، إذ قام بنحت (كهوف)غرف للحراسة في جدار الجبل نفسه[26]؛ لزيادة الاستحكامات الدفاعية للموقع وتعزيزها، وقام بشق سرداب (نفق) بجوار هذه الغرف، فضلاً عن شق مدخل تم نحته في الصخر نفسه(شكل رقم: 1) .

- غرف الحراسة:

تقع غرف الحراسة في الجهة الغربية من الموقع، وهي تتكون من غرفتين متجاورتين، حفرتا في الصخر، والغرفة الأولى لها مدخل ارتفاعه (1.10م)، وعرضه (1.50م)، ويؤدي هذا المدخل إلى غرفة مجوفة منقورة في الصخر، بعمق (1.70م)، وارتفاعها(1م)، وعرضها من الداخل(1.50م)، وقد استخدمت هذه الغرفة لحراسة الموقع وحمايته (لوحة رقم: 11).

والغرفة الثانية تقع بجوار الغرفة الأولى، على بعد (20م) باتجاه الشمال، لها مدخل ارتفاعه (2م)، وعرضه (1.30م)، ومساحتها(3x3م)، وتؤدي الغرض نفسه، وهو حماية الموقع (لوحة رقم: 11)، وهذه الغرف المجوفة في الصخر كانت تؤدي دور الأبراج، وهو الغرض نفسه الذي كانت تقوم به المحافد(الأبراج) الدفاعية في الأسوار، وهي وظيفة الدفاع عن الموقع وحمايته، لصد أي هجوم محتمل قد يأتي من الجهة الغربية (شكل رقم:1) .

- السراديب(الممرات السرية):

في الجهة الشرقية من الحصن يوجد فتحة سرداب، تم حفرها بشكل دائري، وهي ملاصقة لسور الزبور (اللبن)، وتقع إلى الجنوب من البرج، على بعد (20م) من بداية السور، والسرداب يجب أن يكون مخفيًّا، حتى يتمكن الجنود من الانتقال عبره بطريقة سرية، ولأنه يقع في منطقة مفتوحة، فقد كان بحاجة إلى بناء يحجبه عن العدو، مما يعني أن سور الزبور قد استحدث في العصر الإسلامي لحماية مدخل السرداب، ويبلغ قطر الفتحة (1.40م)، وعمق ما تبقى منها (1,60م) (لوحة رقم: 12)، والسرداب يؤدي إلى سرداب آخر مقابلٍ له يقع في الجهة الغربية.

ويوجد سرداب في الجهة الغربية من موقع هران، وهو منحوت بشكل مجوف تحت الأرض، وله فتحتان؛ إحداهما فوق الأخرى، والفتحة العلوية على شكل شبه دائري، عرضها يبلغ (1,55م)، وطولها (1,60م)(لوحة رقم: 13)، والسرداب عبارة عن ممر شُقَّ ونُحِتَ تحت الأرض، ويمتد من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية.

وكان الغرض من السردابين هو الانتقال السري للجنود، لاسيما عند حدوث صراعات عسكرية؛ وما قد ينتج عن تلك الصراعات من حصار، أو محاولة اقتحام، فهو يستخدم في انتقال الجنود المدافعين عن الموقع من غير أن يشعر بهم العدو، فضلاً عن أن السرداب يستخدم

لنقل ما يحتاجه الموقع من مواد ومتاع، ويعد هذان السردابان من المنشآت الدفاعية العسكرية، التي تفرد بهما موقع هران، وتميز بها عن غيره من آثار المدن الريدانية- الحميرية، الواقعة في مخلاف عنس، والتنقيبات المستقبلية قد تثبت ذلك أو تنفيه(شكل رقم: 1).

4- المداخل:

يوجد في موقع هران نوعان من المداخل، خارجية، وداخلية، وكان يتم الدخول إلى الموقع عبرها، وعددها ثلاثة مداخل، واحد منها خارجي، واثنان داخليان، والمدخل الخارجي يقع في الجهة الغربية من الموقع، شُقَّ ونُحِتَ في الصخر نفسه، بعرض (5م)، وكان هذا المدخل متصلاً بعدد من الدرجات المنحوتة في الصخر نفسه؛ إلا أن البوابة قد دمرت واندثرت، ولم يتبق منها سوى الأجزاء السفلية، حيث يظهر فيها آثار النحت واضحًا للعيان(لوحة رقم:14).

أما المدخلان الداخليان، فالأول يقع إلى الجنوب من السور الزبور، وعرضه(6م)، وهو منحوت في الصخر، والمدخل الثاني يقع في الجهة الشرقية أسفل المرتفع الجبلي، وهو مدخل طبيعي مفتوح في الجهة الشمالية من السور الزبور، إلى الجنوب من السلم الحجري، وعرضه(9م)، وهي المسافة التي تركت بين سور الزبور(اللبن) والتكوين الصخري الطبيعي(لوحة رقم:9).

ويمكن تحديد تاريخ إنشاء التحصينات الدفاعية القديمة في موقع هران، لاسيما الأسوار القديمة التي تقع في الجهة الشمالية والشرقية، من خلال شكل تقنية البناء وشكل الأحجار، ومن خلال تعاصر طريقة بناء التحصينات الدفاعية لموقع هران مع التحصينات الدفاعية لمدينة ذمار(القرن)، كونهما متقاربتين، مما يعني أن تاريخ إنشاء التحصينات الدفاعية لموقع هران يرجع إلى حوالي ما بين القرنيين (الأول – الثاني) الميلاديين.

مما سبق يتضح أن تحصينات موقع هران قد استُخدِم فيها تقنية(نظام) التسوير الجزئي، وهذا النوع من التسوير يشاهد في المدن الجبلية، حيث يتقطع السور في بعض أجزائه؛ بسبب الطبيعة التضاريسية التي تحكمت في تخطيطه، لاسيما في الأماكن الوعرة شديدة الانحدار، وتركز التسوير في موقع هران على الأماكن التي يسهل الصعود عليها إلى الموقع، لاسيما الجهة الشمالية، والشرقية، والجنوبية منها، فيما كانت الجهة الغربية محصنة تحصينًا طبيعيًا، كونها شديدة الانحدار.

ب- المنشآت المدنية:

ثمة منشآت مدنية متنوعة ومختلفة في موقع هران، ومنها المدافن(مخازن الحبوب)، والكروف(خزانات المياه)، والبئر، والبرك والماجل، وهي تتوزع على الموقع وفقًا لطبيعته الطبوغرافية الصخرية، إذ عمل الإنسان القديم على الاستفادة من مياه الأمطار، واستغلالها عند الحاجة، وقام بإنشاء المنشآت المائية المختلفة، وأقام على منحدرات الموقع خزانات لتجميع المياه، وأهم هذه المنشآت: المدافن(مخازن الحبوب) والكروف (الصهاريج- خزانات المياه).

1- المدافن(مخازن الحبوب):

تقع المدافن في الجهة الغربية من الموقع، إلى الشمال من سور متحف هران(شكل رقم: 2)، وهي محفورة في الصخر، وقد نحتت بشكل عمودي، وهذه المدافن تبدو لمن يراها لأول وهلة أنها مقابر صخرية، لأن بعض الحفر يوجد بها تجويف يشبه اللحد المعروف في العصر الإسلامي، الذي يوضع فيه المتوفى، غير أنه بعد التدقيق والمعاينة تبين أنها ليست مقابر صخرية، بل مدافن للحبوب(مخازن)، وثمة أدلة تؤكد على أنها مدافن للحبوب، ومنها: أن مساحة بعض المدافن كبيرة، وعمقها طويل، مما يعني أن الغاية من نحتها كانت لتخزين كمية كبيرة من الحبوب، فضلاً عن أن تلك الحفر المنحوتة في الصخر كانت بشكل عمودي، يتناسب

وتخزين الحبوب، خلافاً للمقابر الصخرية في الموقع نفسه، وفي مواقع أخرى من اليمن، التي نحتت بشكل أفقي، تتناسب والغرض المناط بها، إذ تتسع لوضع الميت ووضعيته، حتى لا يكون عرضة لمياه الأمطار.

ومن الأدلة على أن تلك الحفر ليست سوى مدافن للحبوب وجود غرفة حراسة بالقرب من المدافن، لحراسة مخازن الحبوب، ولو كانت تلك الحفر مقابر للموتى لما احتاجت إلى حراسة أو حماية، ومما يدل على أنها مخازن للحبوب وجود مساحات واسعة على السطح الذي حفرت فيه مدافن الحبوب، وهذه المساحات تم تسويتها ونحتها، وهي مخصصة لتجفيف الحبوب قبل تخزينها، وبعد إخراجها من المدافن، حتى يتسنى استخدامها من قبل الإنسان.

ويبقى المدفن الكبير خير شاهد على أن تلك الحفر المنحوتة في الصخر قد استخدمت لتخزين الحبوب، لأن في جانبيه الشمالي والجنوبي حفر صغيرة متوازية، من الأعلى إلى الأسفل، الغرض منها النزول إلى الأسفل، ثم الصعود إلى أعلى، مما يعني أن عمليتي النزول إلى المدفن والصعود منه متكررة، لإخراج حاجتهم من الحبوب، فضلاً عن وجود ترميم لجدار المدفن، حيث استخدمت مادة القضاض في سد الشقوق التي أصابت المدفن، حتى لا يتسرب الهواء إلى الداخل، مما يؤدي إلى فساد الحبوب وتلفها، كما يدل على أن ذلك المدفن كان يفتح بصورة دورية، لتخزين الحبوب، أو لإخراجها، فلو كان قبرًا لما حفرت تلك الحفر على جانبيه، ولما تم ترميمه؛ لأن للقبور حرمتها، فلا تفتح بعد وضع الميت فيها.

والجدير بالذكر أن المدفنين الأول والثاني قد أغلقت فتحتاهما بألواح حجرية طولية، كانت توضع جنبًا إلى جنب، والحجر الأخير منها له رأس مدبب، يتم إدخاله في حفرة دائرية لقفل المدفن، حتى يصعب انتزاع إحدى أحجاره، التي وضعت بطريقة يضغط بعضها بعضًا، وتعتمد في فتحها على الحجر الأخير، التي تؤدي دور القفل. مما يعني أنه كان يتم فتح المدفن وإغلاقه عند الحاجة، وهذا ينفي كونه قبرًا.

-الوصف وتقنية الحفر:

يوجد في الجهة الغربية من موقع هران أربعة مدافن متقاربة، لحفظ الحبوب فيها، وتتوزع من جهة الشرق إلى جهة الغرب، وتختلف من حيث المساحة والحجم، منها ما هو كبير الحجم، ومنها المتوسط، والصغير، وهي حفر منحوتة في الصخر بشكل عمودي، وثلاث منها مجوفة من الداخل.

- مدفن (مخزن) الحبوب الأول:

يقع إلى الغرب من الموقع، وهو مدفن حبوب منحوت في الصخر، وله فتحة مستطيلة بعرض(0.70م)، وطول(1م)، وعمق ما تبقى منه (2.60م)، والمدفن مجوف من الأسفل وضيق من الأعلى، وكانت تغلق فتحة المدفن بلوح حجري بازلتي(حبش) واحد، والظاهر أنه كان للحجر رأس مدبب، يدخل في حفرة دائرية، لإغلاق المدفن، (لوحة رقم: 15).

- مدفن (مخزن) الحبوب الثاني:

يقع إلى الغرب من المدفن الأول، وهو أكبر المدافن في موقع هران، وله فتحة مستطيلة، عرضها(2.40م)، وطولها(3م)، وعمقه (12م)، وقد نحتت أطراف الفتحة من الجهة الشمالية بارتفاع (0.30م)، وعرضها(0.50م)، وطولها(3م)، ومن الجهة الجنوبية بارتفاع (0.30م)، وعرضها(0.30م)، وطولها(3م)؛ لكي توضع أطراف الألواح الحجرية فيها، حيث تكون مخفية عن سطح المدفن، وكانت تغلق فتحة المدفن بألواح حجرية بازلتية(حبش)، وطول الحجر الواحد يصل إلى(2م)، وارتفاعها(0.20م)، وسمكه(0.30م) (لوحة رقم:16، 17)، وللمدفن درج منقور في جانبيه الشمالي والجنوبي يستخدم للنزول إليه والصعود منه، وقد تم ترميمه بمادة القضاض؛ لسد التشققات التي أصابت جدرانه، حتى لا يتسرب الهواء إلى داخله، فيفسد الحبوب ويتلفها؛ لأن من مميزات المدافن عدم دخول الهواء؛ إذ يجب أن تكون محكمة الإغلاق.

- مدفن (مخزن) الحبوب الثالث:

يقع إلى الغرب من المدفن الثاني، وهو منحوت في الصخر، وله فتحه مستطيلة الشكل، عرضها (1م)، وطولها (2.10م)، أما عمق هذا المدفن فيصل إلى (2.30م)، وهو مجوف من أسفل باتجاه الشمال (لوحة رقم: 18).

- مدفن (مخزن)الحبوب الرابع:

يقع إلى الغرب من المدفن الثالث، وهو منحوت في الصخر، وله فتحه مستطيلة الشكل، عرضها (0.70م)، وطولها (1.50م)، ويصل عمق هذا المدفن إلى (2.70م)، وهو مجوف من أسفل باتجاهي الغرب والجنوب(لوحة رقم: 19) (شكل رقم: 2).

والجدير بالإشارة أنه كان لمخازن الحبوب أهمية كبيرة؛ إذ كان يخزن فيها القوت الضروري للإنسان، مما جعل من حراستها أمرًا ملحًّا؛ لأنها كانت في أرض مفتوحة، وقد أدرك الإنسان القديم أهميتها، فأنشأ غرفة حراسة في مكان مطل عليها، في الجهة الشمالية الغربية من المدافن، تم حفرها ونحتها في الصخر، وهذه الغرفة مستطيلة الشكل، ومساحتها (6م)، ولها مدخل واحد باتجاه الشرق، بطول (1م)، وعرض (0.50م)، وفتحة تطل على الجهة الغربية. (لوحة رقم: 20).

2- المنشآت المائية:

اعتمد الإنسان في موقع هران على مياه الأمطار الموسمية، لتوفير حاجته من المياه، وقد عمل على تخزينها في ثلاثة أنواع، هي: البرك، والماجل، التي شيدت بالأحجار، والكروف (الخزانات) التي نحتت في الصخر؛ لاستعمالها عند الحاجة، وتتوزع خزانات المياه في موقع هران في أماكن التجمعات المائية المنحدرة من المرتفع الجبلي في الموقع، وأكثرها يقع في الجهة الغربية منه، وتختلف في أحجامها حسب موقعها، الذي كان يُراعى فيه كمية المياه المنحدرة

باتجاه الخزانات، وتوجيهها عبر السواقي(القنوات)؛ لتصريف المياه إليها، وتتوزع على الجهات: الشمالية الشرقية، والغربية، والشمالية الغربية، من موقع هران، وهي على النحو الآتي:

- البركة الأولى:

تقع في الجهة الجنوبية من الموقع، وتعد أكبر المنشآت المائية في موقع هران، ومساحتها تبلغ(34x 34م)، وعمقها يصل إلى(4.50م)، وقد حفرت ثم شيدت بالأحجار البازلتية، وقد تميز موقعها عن غيرها من منشآت موقع هران المائية؛ إذ كانت في المكان الذي تتجمع فيه مياه الأمطار بشكل انسيابي من ثلاث جهات: الشمالية، والشرقية، والغربية (لوحة رقم: 21).

- البركة الثانية:

تقع في قمة حصن هران، وهي صغيرة الحجم، تمتلئ بالمياه المنحدرة عبر حوض صغير، له فتحة أمامية، يخرج منه الماء إلى البركة، وجدارها مطلي بمادة القضاض[27].

- الماجل :

يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الموقع، وتم حفره في الصخر، وله خمس درجات، وهو بشكل دائري، قطره (5م)، وارتفاع ما تبقى منه يبلغ (1.60م)،(لوحة رقم: 22)، ويتميز عن غيره بأن له ساقية (قناة) لإيصال الماء تصب في حفرة منحوتة في الصخر، طليت بمادة القضاض، وتعرف بالمشنة، الغرض منها استقبال مياه الأمطار إلى داخلها؛ لتنقيتها وفصل الأتربة والمخلفات، ثم يذهب الماء الصافي إلى الماجل، وهو ذو شكل خماسي، مساحته(2م)، وقطره(0.60م)، وارتفاعه(0.80م)، وعرض كل ظلع يبلغ (0.40م)، وارتفاعه يبلغ (0.80م) (لوحة رقم: 23) (شكل رقم: 2)، ويقع على بعد (3م) من الكريف، وكانت تربطهما ساقية.

- الكريف (الأول):

يقع في الجهة الغربية من الموقع، إلى الشمال من مركز الرصد الزلزالي، وهو منحوت في الصخر، وله مدخل ارتفاعه(0.90م)، وعرضه(0.50م)، وعمقه(2.60م)، وله ساقية منحوتة في الصخر، تصل عبرها المياه إلى داخل الكريف، طولها(5م)، وعرضها(0.60م)، (لوحة رقم: 24، 25) (شكل رقم: 2).

- الكريف (الثاني):

يقع في الجهة الغربية من الموقع، وهو منحوت في الصخر، له مدخل ارتفاع ما تبقى منها(1م)، وعرضها(0.90م)، ومساحتها(3.70x3.80م)، وارتفاعها(1.90م)، وفي مؤخرتها عمود، ارتفاعه(1.90م)، وعرضه(1.30م)، وسمكه(0.80م)، وهي مطلية(حديثًا) بمادة الجص (لوحة رقم: 26، 27، 28) (شكل رقم: 2)، وهذا الكريف يتميز بأنه يقع بالقرب من غرفتي الحراسة.

- الكريف (الثالث):

يقع في الجهة الغربية من الموقع، وهو منحوت في الصخر على شكل دائرة، نصف قطرها (4.50م)، وعمقه يصل إلى (5م) (لوحة رقم: 24)، وله تسع درجات من الناحية الشرقية(لوحة رقم: 29)، ويتوسطه عمود من الصخر نفسه، سمكه (1م)، وعرضه (2م)، وارتفاعه (6م)، وهو ساند لسقف الكريف، ويتميز الكريف بأن له قناتين، الأولى من أعلى لإيصال مياه الأمطار إلى داخله بكميات كبيرة، والثانية من الناحية الشرقية، وهي تمر عبر سطح الأرض، والكريف مطلي بمادة القضاض بكامله (لوحة رقم: 30) (شكل رقم: 2).

- الكريف (الرابع):

يقع في الجهة الجنوبية الغربية من موقع هران، إلى الشرق من متحف ذمار الإقليمي، وهو منحوت في الصخر، ومطلي بمادة القضاض، له مدخل يبلغ ارتفاعه(2.80م)،

وعرضه(2.90م)، ويتكون من خزانين مربعين، الخزان الأول يقع في الجهة الشمالية ومساحته(2.60x5.90م)، يتخلله سلم حجري، له سبع درجات، والخزان الثاني يقع جنوب الخزان الأول، ومساحته(3.40 x5.90م)، ويبلغ عمق الخزانين(4م)، وبينهما عمود من الصخر نفسه، يبلغ ارتفاع ما تبقى منه(2م)، وعرضه(1.50م)، وسمكه(0.40م)،(لوحة رقم:31، 32) (شكل رقم: 2).

وإلى جوار الكريف الرابع إلى الجنوب من مدخله، يوجد مشنة منحوتة في الصخر، أرضيتها مطلية بمادة القضاض، وتبلغ مساحتها(1.50x1.50م)، وارتفاع ما تبقى في الجهة الشرقية(1,60م) وقد غطيت بالأتربة والحشائش التي تراكمت فيها عبر السنين؛ نتيجة لعدم رفعها، وهذا التراكم يؤكد كونها تعمل على تنقية المياه من الأتربة(لوحة رقم:33)(شكل رقم: 2).

- الكريف (الخامس):

يقع في الجهة الشمالية الغربية من الموقع، وقد نحت في الصخر، وله مدخلان، تبلغ مساحة الأول(0.82x0.96م)، والثاني شكله غير منتظم، ويصل عمق هذا الكريف إلى (1.60م)، وطول ضلع هذا الكريف من الشرق إلى الغرب (4.20م) (لوحة رقم:34) (شكل رقم: 2).

والجدير بالذكر أن المنشآت المائية القديمة كانت تغطى بطبقة من القضاض، لمنع تسرب الماء، وهو خليط من مواد النورة والنيس (الحصى الصغير) والماء، وكان يتم خلطه بطريقة معينة لعدة أيام، ثم تكسى به الجدران والأرضيات، حتى لا تترك أي فراغات تتخللها، ثم تطلى بعدها بطبقة رقيقة من الشحم؛ لمنع تسرب الماء[28]، وهذا ينطبق على كروف هران، التي حفرت في الصخور البركانية ذات اللون الأحمر، لأنها ذات مسامات تسمح بتسرب المياه، مما

أدى إلى تغطية هذه المسامات باستخدام مادة القضاض؛ لحفظ المياه بداخل الكروف لمدة طويلة.

جـ- المنشآت الدينية:

تعد المنشآت الدينية في موقع هران من المنشآت المهمة، وتنبع أهميتها من اهتمام الإنسان اليمني القديم بدفن موتاه، وهذا يشير إلى اعتقاد الإنسان القديم بالبعث والخلود بعد الموت[29]، ففي موقع هران استخدمت المقابر الصخرية، وهي نوعان: مقابر صخرية فردية، ومقابر صخرية جماعية، وكان استخدام المقابر الصخرية يهدف إلى حفظ جثث الموتى بداخلها لفتره طويلة، كما كان يفعل القدماء اليمنيون في شبام الغراس، وفي شبام كوكبان[30].

وتقع مقابر هران الصخرية في الجهتين الجنوبية والجنوبية الغربية من المرتفع الجبلي الطبيعي، ويمكن تقسيم المقابر الصخرية في الموقع إلى قسمين هما: المقابر الصخرية الفردية، والمقابر الصخرية الجماعية.

1- المقابر الصخرية الفردية:

تقع المقبرة الصخرية الفردية في الجهة الجنوبية الغربية من المرتفع الجبلي لموقع هران، وتختلف عن المقابر السابقة في نوعية الصخور، إذ إن الصخور التي نحتت فيها هذه المقبرة من النوع البازلتي الأسود شديد الصلابة، ويظهر على هذه المقبرة آثار التهدم بسبب الهزات الأرضية، وربما كان ذلك بفعل الإنسان نفسه، وتتكون هذه المقبرة من حجرتين، خارجية وداخلية، الحجرة الخارجية مربعة الشكل، مساحتها (4 x4م) (لوحة رقم: 35)، والحجرة الداخلية تلي الحجرة الخارجية إلى الشمال منها، وهي تجويف منحوت في الصخر، ولها مدخل مساحته (0.60x0.75م)، وسمكه (0.30م)، ويؤدي هذا المدخل إلى حجرة دفن فردية مستطيلة الشكل، تمتد من الشرق إلى الغرب، ومساحتها (0.65x1.80م) (1.80م)،

وارتفاعها (0.85م)، وعمق التجويف المنحوت (0.95م)، كان يوضع جثمان المتوفى فيها بشكل طولي (ممتد) (لوحة رقم: 35).

2- المقابر الصخرية متعددة حجرات الدفن:

تقع هذه المقبرة في الجهة الجنوبية الغربية من المرتفع الجبلي لموقع هران، وتمتد من الجنوب إلى الشمال، وقد نحتت في الصخر الأحمر، وتتميز هذه المقبرة عن المقابر الصخرية السابقة أنها كانت مكونة من حجرات دفن متعددة، حيث تم تقسيم المقبرة إلى ست حجرات، ثلاث حجرات في الجهة الشرقية من المقبرة، اثنتان منهما إحداهما فوق الأخرى، وحجرتان في الجهة الغربية، وحجرة واحدة في الجهة الشمالية مواجهة للمدخل، الذي يقع في الجهة الجنوبية، ويفصل بين الحجرات الست ممر يتوسط حجرات الدفن،(لوحة رقم: 36) (شكل رقم: 3).

وهذه المقبرة الصخرية عبارة عن تجويف منحوت في الصخر، يتم الدخول إليه عبر مدخل شبه دائري، قطره من الأسفل إلى الأعلى (1.35م)، ويؤدي هذا المدخل إلى ممر طوله نحو الداخل (3.25م)، يفصل بين حجرات الدفن، حيث توجد حجرة الدفن الأولى في الجهة الشرقية على يمين الممر، وهي مطمورة بالأحجار والأتربة، ولها مدخل مساحته (0.80 0.65xم)، يليها حجرتا دفن، إحداهما قوق الأخرى، حيث إن الحجرة السفلية لها مدخل، مساحته (0.43x0.75م)، وطول هذه الحجرة السفلية (1.84م)، وتمتد هذه الحجرة من الشمال إلى الجنوب، أما حجرة الدفن العلوية فلها مدخل، مساحته (0.55x0.78م)، وطول هذه الحجرة (1.80م)، وتمتد هذه الحجرة من الشمال إلى الجنوب،(لوحة رقم: 36)(شكل رقم: 3).

وفي الجهة الغربية توجد حجرتا دفن، الأولى لها مدخل مساحته(0.95x1م)، وطول هذه الحجرة (2.5م)، ويلي هذه الحجرة حجرة دفن ثانية لها مدخل مساحته (0.76

0.87xم)، وطول هذه الحجرة (2.20م)، وفي الجهة الشمالية من المقبرة نفسها، مقابل المدخل الرئيس، حجرة دفن، هي السادسة، لها مدخل مساحته(1.55x 0.88م)، وتمتد حجرة الدفن بطول(2.10م)، وكان يتم وضع المتوفين في حجرات الدفن بشكل طولي (ممتدين) (شكل رقم: 3).

وثمة أسباب أدت إلى التحول من نحت المقابر في الصخور السوداء(البازلتية) شديدة الصلابة، إلى الصخور الحمراء في الموقع، وهي كالآتي:

- لأن الصخور الحمراء تتسم بالليونة؛ مما يساعد على سهولة الحفر والتشكيل.
-لأنها أكثر احتفاظًا بالبرودة؛ لأن مساماتها كبيرة (يشبه الفخار المستخدم لتبريد الماء) مما يساعد على حفظ جثث الموتى.

ومن خلال ما سبق يتضح أن المقابر الصخرية في موقع هران تنوعت، من حيث أنواع الصخور التي نحتت فيها، حيث نحتت في الصخر الأسود وهي أقلها، وفي الصخر الأحمر وهي أكثرها، كما تنوعت من حيث تقنية الإنشاء، إذ إن بعضها ذات حجرات دفن منفردة، والأخرى ذات حجرات دفن متعددة، وكان الموتى يوضعون في حجرات الدفن بشكل طولي ممدد، وهو ما يتضح من خلال شكل حجرات الدفن.

الخاتمة:

يعد موقع هران من أهم المواقع في ذمار؛ لأنه يطل على عدد من القيعان المحيطة به، مما جعل منه مركز مراقبة متقدم.

يتسم موقع هران بتنوع منشآته المعمارية(تحصينية، ومدنية، ودينية)، فضلاً عن أنه حصن منيع يصعب اختراقه؛ لما يتمتع به من تحصينات دفاعية، ومنشآت مدنية(مخازن حبوب، وخزانات ماء)، وهي من المقومات التي تساعد على مقاومة الغزاة، وتحمل الحصار لأشهر عديدة.

أكد البحث على تنوع الاستحكامات الدفاعية في موقع هران، وتوزعها - حسب الاحتياج الدفاعي- في جهات متعددة من الموقع (أسوار حجرية، وزبور، ومداخل طبيعية، ومنحوتة في الصخر، وغرف حراسة).

أكدت الدراسة على أن الحفر الأربع المنحوتة في الصخور الحمراء، الواقعة في سفح الجبل من الجهة الغربية، ليست سوى مخازن للحبوب، لأنها حفرت بتقنية عمودية، خلافًا للمقابر الصخرية التي تحفر – في العادة – بتقنية أفقية، وتكون في مكان عالٍ بالقرب من قمة الجبل.

تفرد موقع هران عن غيره من مواقع منطقة ذمار الأثرية بتعدد مقابره الصخرية وتنوعها؛ إذ حفرت في الصخر البازلتي الأسود، وفي الصخر الأحمر، وحجرات الذفن فيها فردية ومتعددة.

تميز موقع هران عن غيره من المواقع الأثرية بذمار بوجود سور من مادة الزبور(اللبن- الطوب)، الذي بني في العصر الإسلامي، ما بين عامي(418هـ- 583هـ)، وكان يؤدي دور الأسوار التي شيدت في العصر الحميري، بعد أن فقدت الأسوار القديمة في الجهة الشرقية وظيفتها، نتيجة لتهدمها أو اندثارها، وما يزال سور الزبور ماثلاً للعيان حتى يومنا هذا.

يعد موقع هران من المواقع الأثرية القديمة التي استمر فيها النشاط البشري، إذ إنه كان موقعًا عسكريًّا في العصور القديمة، ثم في العصر الإسلامي(الوسيط)، فالعصر الحديث والمعاصر.

الهوامش :

(1) الجرفي، عبدالله أحمد ناصر، مدينة ذمار توسعها العمراني وأنماطها السكنية، مطابع الأمجاد، ط1، 2015م، ص 50.

(2) باسلامة، محمد عبدالله، هران بذمار أحد الحصون اليمنية، مجلة الإكليل، العدد(2)، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، 1987م، ص 88.

(3) الجمهورية اليمنية، وزارة الإدارة المحلية، محافظة ذمار، الدليل السياحي لمحافظة ذمار، إصدار خاص بمناسبة مهرجان أسعد الكامل السياحي الأول، 2007م، ص26.

(4) الجمهورية اليمنية، وزارة الإدارة المحلية، محافظة ذمار، الدليل السياحي، ص6.

(5) تقرير مكتب الآثار بذمار: الموسم العلمي الأثري لمكتب الهيئة العامة للآثار والمتاحف ذمار ابتداءً من شهر سبتمبر حتى نهاية شهر ديسمبر،(غير منشور)، 2005م، ص7.

(6) نعمان، خلدون هزاع، ذمار القرن موقع مدينة ذمار القديمة، إصدارات المؤتمر العلمي: صنعاء الحضارة والتاريخ، مج1، ط1، صنعاء، 2005م، ص120- 122.

(7) ابن الحسين، يحيى بن الحسن، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج1، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، 1986م، ص195.

(8) باسلامة، هران بذمار، مجلة الإكليل ، العدد2، ص90

(9) الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1990م، ص152.

(10)ابن الحسين، غاية الاماني، ج1، ص244.

(11)باسلامة، هران بذمار، مجلة الاكليل ، العدد2، ص90.

(12)ابن الديبع، أبو الضياء عبد الرحمن بن علي، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2006م، ص668.

(13)المصدر السابق، ص321، 322.

(14)المصدر السابق، ص 336.

(15)المصدر السابق، هامش(5) ص249، 250.

(16)الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن، العقد اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، صححه محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، القاهرة، 1929م، ص318-323.

(17)السياغي، حسين أحمد، معالم الآثار اليمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1980م، ص83.

(18)الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج2، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء ، ط2، 1996م ، ص 751.

(19)المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، مج2، دار الكلمة . صنعاء، 2002م، ص1813، 1815.

(20)الحسين، غاية الاماني، ج1، ص244.

(21)باسلامة، هران بذمار، مجلة الاكليل ، العدد2، ص90.

(22)ابن الديبع، قرة العيون، هامش(3)، ص336.

(23)باسلامة، هران بذمار، مجلة الإكليل، العدد2، ص90.

(24)المزاغل: المرامي الدفاعية، التي كانت تفتح في نهاية السور، وهي عنصر معماري دفاعي، تستخدم للدفاع عن الموقع، وهذه المزاغل تضيق من الخارج، وتتسع من الداخل؛ حتى تتيح للمدافعين الحركة بسلاسة، أثناء الدفاع عن الموقع، في حال تعرضه لهجوم. باسلامة، هران بذمار، مجلة الإكليل، العدد2، ص89

(25)باسلامة، هران بذمار، مجلة الإكليل، العدد(2)، ص 88، 89.

(26)المصدر السابق، ص89.

(27)باسلامة، هران بذمار، مجلة الإكليل، العدد(2)، ص89.

(28)الإرياني، مطهر علي، الموسوعة اليمنية ، مادة القضاض، مج3،موسسة العفيف الثقافية، صنعاء ، ط(2)، 2003م، ص2402- 2403؛ للاستزادة ينظر، الإرياني، مطهر علي، المعجم اليمني في اللغة والتراث ، درا الفكر. دمشق ، 1996م، ص724.

(29)الجرو، أسمهان سعيد، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2003م، ص217.

(30)باسلامة، محمد عبدالله، شبام الغراس، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، 1990، ص99.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الإرياني، مطهر علي، المعجم اليمني في اللغة والتراث ، دار الفكر. دمشق ، 1996م
2. باسلامة، محمد عبدالله، هران بذمار أحد الحصون اليمنية، مجلة الإكليل، العدد(2)، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، 1987م.
3. تقرير مكتب الآثار بذمار: الموسم العلمي الأثري لمكتب الهيئة العامة للآثار والمتاحف ذمار ابتداءً من شهر سبتمبر حتى نهاية شهر ديسمبر،(غير منشور)، 2005م.
4. الجرفي، عبدالله أحمد ناصر، مدينة ذمار توسعها العمراني وأنماطها السكنية، مطابع الأمجاد، ط1، 2015م.
5. الجرو، أسمهان سعيد، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2003م.
6. الجمهورية اليمنية، وزارة الإدارة المحلية، محافظة ذمار، الدليل السياحي لمحافظة ذمار، إصدار خاص بمناسبة مهرجان أسعد الكامل السياحي الأول، 2007م.
7. الحجري، محمد أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مج2، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء ، ط2، 1996م .

8. ابن الحسين، يحيى بن الحسن، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج1، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، 1986م.

9. الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن، العقد اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، صححه محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، القاهرة، 1929م.

10. ابن الديبع، أبو الضياء عبد الرحمن بن علي، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 2006م.

11. السياغي، حسين أحمد، معالم الآثار اليمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1980م.

12. شبام الغراس، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، 1990.

13. المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج2، دار الكلمة، صنعاء، 2002م.

14. الموسوعة اليمنية ، مادة القضاض، مج3، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط2، 2003م.

15. نعمان، خلدون هزاع، ذمار القرن موقع مدينة ذمار القديمة، من إصدارات المؤتمر العلمي: صنعاء الحضارة والتاريخ، مج1، ط1، صنعاء، 2005م.

16. الهمداني، الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1990م.

17. **Walter B. Harris**, F. R. T. S., Journey Through The Yemen, 1893

ملحق الخرائط

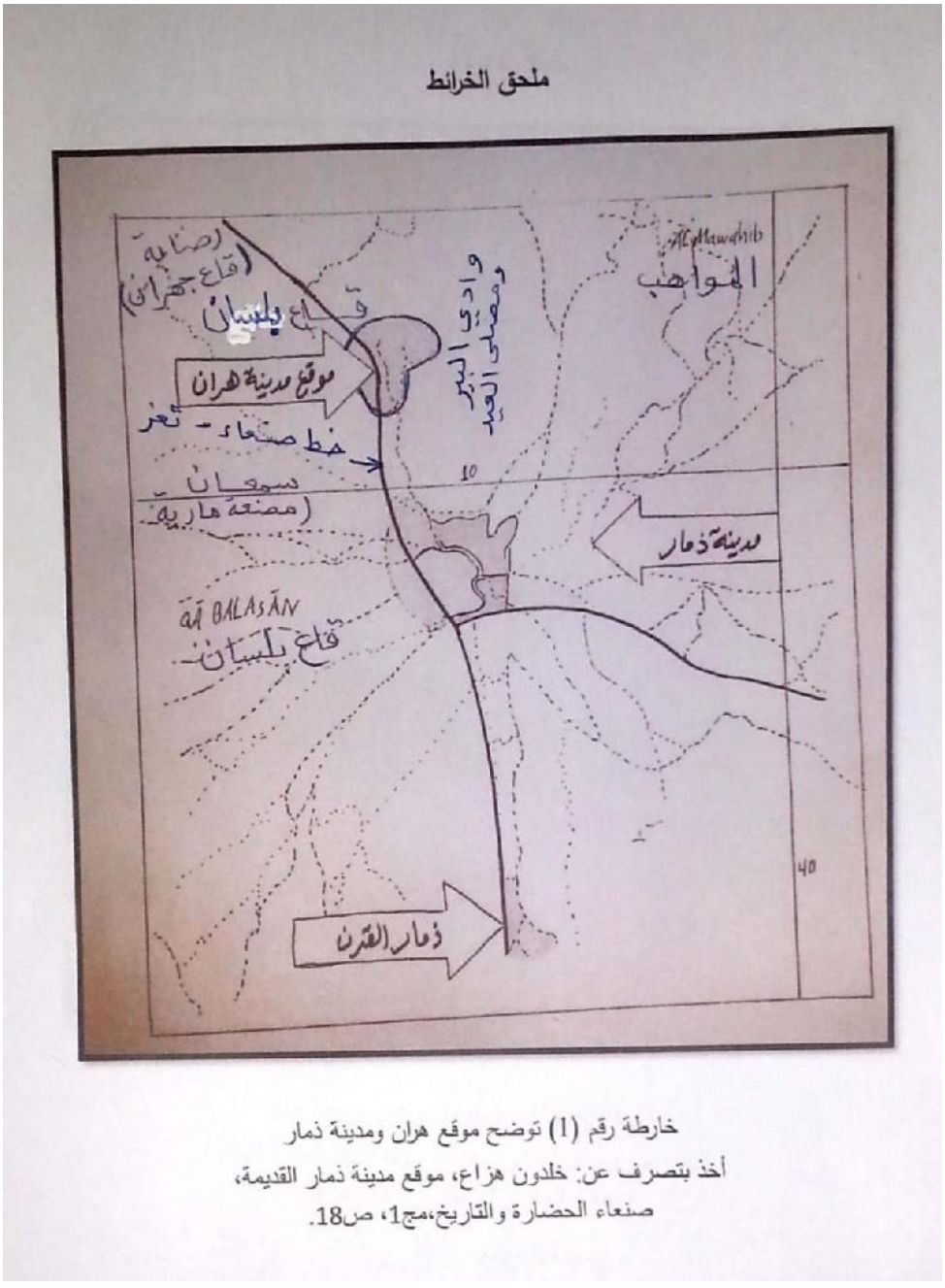

خارطة رقم (1) توضح موقع هران ومدينة ذمار
أخذ بتصرف عن: خلدون هزاع، موقع مدينة ذمار القديمة، صنعاء الحضارة والتاريخ،مج1، ص18.

ملحق الصورة الجوية

صورة جوية رقم (1): باستخدام برنامج Google Earth توضح الموقع الجغرافي لموقع هران.

ملحق الأشكال والصور

شكل رقم (1) يوضح التحصينات الدفاعية لموقع هران ومدينة ذمار

أخذ بتصرف عن: باسلامة، هران بذمار، مجلة الإكليل، العدد(2)، ص93.

شكل رقم(2) يوضح السور الزبور والمنشآت المائية والمدنية والدينية لموقع هران، نقلاً عن:

Walter B. Harris, F. R. T. S., Journey Through The Yemen, 1893,P.274.

مجلة المهرة للعلوم الإنسانية
مجلة علمية دولية محكمة
ISSN:2707-8655 EISSN: 2707-8663

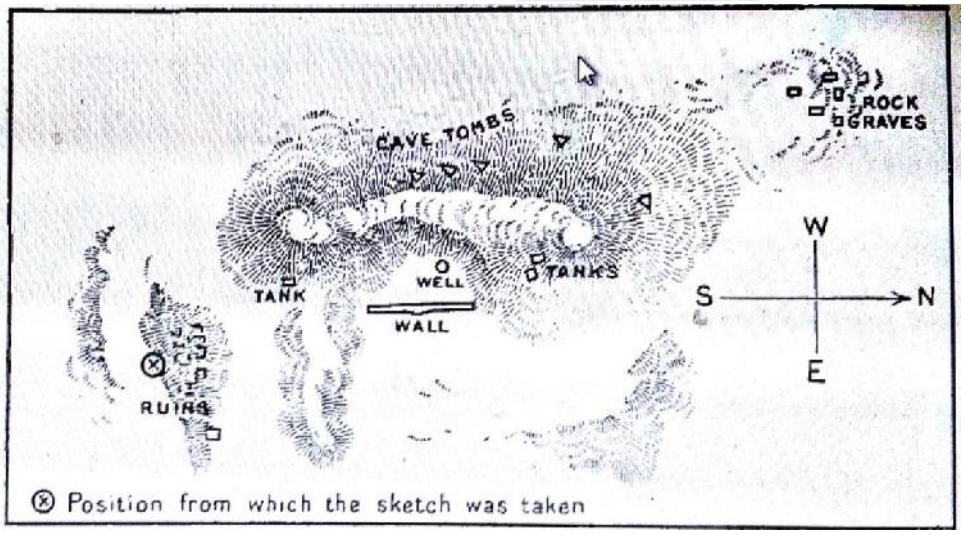

شكل رقم(2) يوضح المنشآت التحصينية والمدنية والدينية في موقع هران، نقلاً عن:

Walter B. Harris, F. R. T. S., Journey Through The Yemen, 1893,P.274.

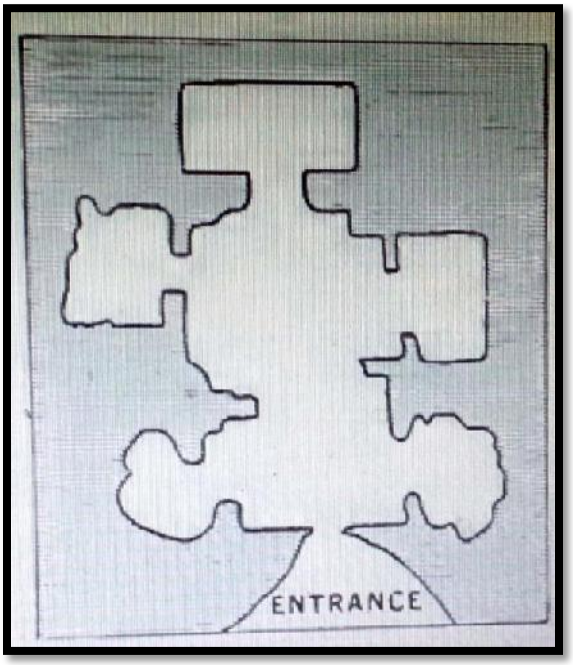

لوحة رقم (1) توضح السور الشمالي والمدخل. تصوير الباحث

لوحة رقم (2) توضح بقايا السور الشمالي. تصوير الباحث

لوحة رقم (3) توضح بقايا السور الغربي. تصوير الباحث

لوحة رقم (4) توضح السور الجنوبي الغربي. تصوير : رشاد الصلوي

لوحة رقم (5) توضح السور في الشمالي الغربي تصوير : رشاد الصلوي

لوحة رقم (6) توضح سور الزبور الممتد باتجاه الجنوب. تصوير الباحث

لوحة رقم (7) توضح سور الزبور الممتد باتجاه الشمال. تصوير الباحث

لوحة رقم (8) توضح البرج الدفاعي يتوسط السور. تصوير الباحث

لوحة رقم (9) توضح بداية سلم الدرج والمدخل. تصوير الباحث

لوحة رقم (10) توضح السلم الحجري الصاعد إلى قمة الحصن. تصوير الباحث

لوحة رقم (11) توضح غرفتي الحراسة. تصوير الباحث

لوحة رقم (12) توضح المنفذ الشرقي للسرداب. تصوير الباحث

لوحة رقم (13) توضح المنفذ الغربي للسرداب. تصوير الباحث

لوحة رقم (14) توضح المدخل الغربي المنقور في الصخر. تصوير الباحث

لوحة رقم (15) توضح مخزن الحبوب الأول. تصوير الباحث

لوحة رقم (16) توضح مخزن الحبوب الثاني. تصوير الباحث

لوحة رقم (17) توضح الدرج والترميمات. تصوير الباحث

لوحة رقم (18) توضح مخزن الحبوب الثالث. تصوير الباحث

لوحة رقم (19) توضح مخزن الحبوب الرابع. تصوير الباحث

لوحة رقم (20) توضح غرفة حراسة مخازن الحبوب . تصوير الباحث الرابع

لوحة رقم (21) البركة الأولى. . تصوير الباحث

لوحة رقم (22) توضح الماجل. . تصوير الباحث

لوحة رقم (23) توضح الحفرة الخماسية (المشنة) . تصوير الباحث

لوحة رقم (24) توضح الكريف الأول. تصوير الباحث

لوحة رقم (25) توضح ساقية الكريف الأول.
تصوير الباحث

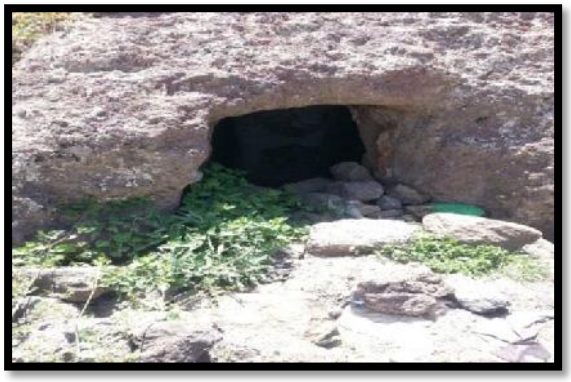

لوحة رقم (26) توضح مدخل الكريف الثاني. تصوير الباحث

لوحة رقم (27) توضح الكريف الثاني. تصوير الباحث

لوحة رقم (28) توضح عمود الكريف الثاني. تصوير الباحث.

لوحة رقم (29) توضح الكريف الثالث، ويظهر العمود في وسطه، تصوير الباحث

لوحة رقم (30) توضح درج الكريف الثالث. تصوير الباحث

لوحة رقم (31) توضح الكريف الرابع. تصوير الباحث

لوحة رقم (32) توضح الكريف الرابع. تصوير الباحث

لوحة رقم (33) توضح المشنة جوار الكريف الرابع تصوير الباحث

لوحة رقم (34) توضح الكريف الخامس. تصوير الباحث

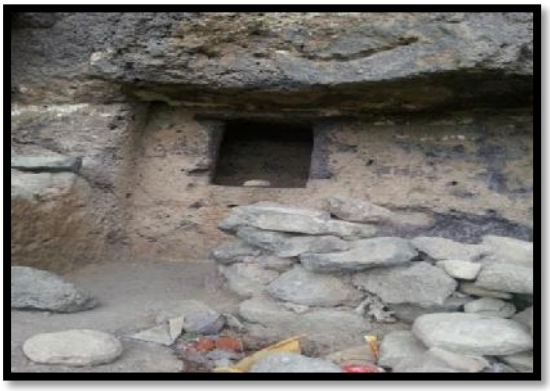

لوحة رقم (35) توضح المقبرة الصخرية الفردية. تصوير الباحث

لوحة رقم (36) توضح المقبرة الصخرية متعددة حجرات الدفن تصوير الباحث

ISSN:2707-8655
EISSN: 2707-8663

AL-Mahrah

Journal of Humanities

An Annual Peer- reviewed Scientific Scholarly Journal issued by the Faculty of Education, Al- Maharh

Hadhramout University

- Learning and Teaching Arabic Grammar: Readings of some Problems and Roles
- The Effect of Interrogation on Achieving the Purposes of Al-Anbiya Sura: A Semantic Grammatical study
- The Significance of the Arabic Preposition 'Min'as Seen by the Grammarians and Its Impact on Inferring Legal Rules from Scriptural Texts
- The word Lamas 'Touch' in the Purity verses: A Linguistic and Judiciary Study
- Grammar between Standard and Semantics
- The Allegory in Faisal Al-Bureihi's Poetry
- The Linguistic Composition and Semantics in Ahmed Dahbour's Poetry
- Technical and Rhetorical Reading of the Mimiat Al-Marqash the Smaller
- Electronic Means and their Impact on Achieving Customer Satisfaction in Banking Services: A Field Study on Al-Kuraimi Bank Customers in Taiz Governorate
- Haran Site:(An Archaeological Documentary Study)

Issue (No.8) June 2020

AL-Mahrah